ملاحظة:

* ترتيب الصفحات يكون حسب الكتاب المطبوع في دار العلوم بيروت لبنان عام ١٤١٠ هـ.

الفقه

موسوعة استدلالية في الفقه الإسلامي

آية الله العظمى

السيد محمد الحسيني الشيرازي

دام ظله

كتاب الآداب والسنن

الجزء الثالث

الطبعة الثانية

١٤١٠ هـ. ١٩٨٩م

دار العلوم: طباعة. نشر. توزيع.

العنوان: حارة حريك، بئر العبد، مقابل البنك اللبناني الفرنسي

كتاب الآداب والسنن

الجزء الثالث

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلقه سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، واللعنة الدائمة على أعدائهم إلى قيام يوم الدين.

فصل في صدق الوعد

عن منصور بن حازم، عن أبي عبدالله (عليه السلام)، قال: «إنما سمي إسماعيل (عليه السلام) صادق الوعد لأنه وعد رجلاً في مكان فانتظره سنة فسماه الله صادق الوعد، ثم إن الرجل أتاه بعد ذلك فقال له إسماعيل: ما زلت منتظراً لك».[1]

أقول :كان الأنبياء (عليهم السلام) يسيحون في الأرض للهداية فلم يكن مانع أن يبقى في مكان . لا يريده . لأجل الوفاء بالوعد، إذ كانت الهداية متوفرة له حول تلك المنطقة.

وعن شعيب العقرقوفي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليف إذا وعد».[2]

وعن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبدالله (عليه السلام) يقول: «عدة المؤمن أخاه نذر لا كفارة له، فمن أخلف فبخلف الله بدأ ولمقته تعرض، وذلك قوله: ﴿يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون، كبر مقتاً عندالله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾ »[3].

أقول: (نذر) النذر بمعني الوجوب، ومنه (نذر الله) أي أوجب علي

(١) الأصول: ص٣٦٠.

(٢) الأصول: ص٤٧٥.

(٣) الأصول: ص٤٧٤.

نفسه عملاً لله سبحانه كالصلاة والصيام لكنه نذر إذا خالفه لم تكن عليه كفارة، (بدأ) لأنه خالف أولاً الله الذي أمره بإنجاز الوعد (وذلك قوله) أي إنه من مصاديقه.

وعن سليمان الجعفري، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) قال: «أتدري لم سمي إسماعيل صادق الوعد»، قلت: لا أدري، قال: «وعد رجلاً فجلس حولاً ينتظره»[1].

وعن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعد رجلاً إلى صخرة، فقال: أنا لك ههنا حتى تأتي، قال: فاشتدت الشمس عليه، فقال له أصحابه: يا رسول الله لو أنك تحولت إلى الظل، قال: قد وعدته إلى ههنا وإن لم يجئ كان منه المحشر»[2].

أقول (المحشر) أي أبقى حتى أموت ويحشرني الله منه سبحانه، وهذا لإفادة أهمية إنجاز الوعد حتى أنه يقتضي بنفسه ذلك، نعم لا شك أن الرسول (صلى الله عليه وآله) كان له مهام كثيرة أهم من ذلك حتى أنه إذا لم يجئ لم يكن يبقى، فسوق الكلام لبيان الأهمية لا للفعلية.

فصل في استحباب الحياء

عن معاذ بن كثير، عن أحدهما (عليهما السلام) قال: «الحياء والإيمان مقرونان في قرن، فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه»[3].

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: الحياء من الإيمان، والإيمان

---

(١) علل الشرايع: ص٣٧، عيون الأخبار: ص٢٣٣.

(٢) علل الشرايع: ص٣٧.

(٣) الأصول: ص٣٦٠.

في الجنة»[1].

وعن الفضيل بن كثير، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا إيمان لمن لا حياء له»[2].

أقول: (لا إيمان) أي كاملاً، إذ الإيمان له أجزاء إذا فُقد جزء منه لم يكن الإيمان الكامل، كسائر المركبات الحقيقية أو الاعتبارية.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «من كساه الحياء ثوبه لم ير الناس عيبه»[3].

أقول: لأن المستحيي يستر عيوب نفسه فلا يراها الناس، بالإضافة إلى أن حياءه مانع عن هتك ستر الناس، ومن صان الناس صانوه، فلا يكشفون ستره حتى تظهر معايبه.

وعن أنس قال: قال الرسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما كان الفخر في شيء قط إلاّ شانه، ولا كان الحياء في شيء قط إلاّ زانه»[4].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: من ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة: «الحياء خير كله»[5].

وعن أنس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الحياء خير كله، يعني إنه يكف ذا الدين، ومن لا دين له عن القبيح فهو جماع كل جميل»[6].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ينزع الله من العبد الحياء فيصير ماقتاً ممقتاً، ثم ينزع

---

(١) الأصول: ص٣٥٩.

(٢) الأصول: ص٣٦٠.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩٤.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص١١٩.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٤٣.

(٦) معاني الأخبار: ص١١٦.

منه الحياء ثم الرحمة ثم يخلع دين الإسلام من عنقه فيصير شيطاناً لعيناً»[1].

أقول: ماقتاً يمقت الناس لأنهم يلهجون بعيوبه، وممقتاً لأن الناس يكرهونه لكشفه ستر نفسه وأستارهم، (شيطاناً) أي كالشيطان في الفساد والإفساد، (لعيناً) مطروداً عن الخير.

فصل في عدم الحياء في السؤال عن أحكام الدين

عن العوام بن الزبير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من رق وجهه رق علمه»[2].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الحياء حياءان، حياء عقل وحياء حمق، فحياء العقل هو العلم، وحياء الحمق هو الجهل»[3].

أقول: لأنه يستحي أن يسأل وهذا الحياء من جهله بموازين الحياء، ثم إذا لم يسأل جهل، فهو بين جهلين.

فصل في استحباب العفو

عن أبي فضال، قال: سمعت أبا الحسن (عليه إسلام) يقول: «ما التقت فئتان قط إلاّ نصر أعظمهما عفواً»[4].

وعن إسماعيل بن أبي زياد السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليكم بالعفو، فإن العفو لا يزيد العبد إلاّ عزاً، فتعافوا يعزكم الله»[5].

---

(١) معاني الأخبار: ص١١٦.

(٢) الأصول: ص٣٦٠.

(٣) الأصول: ص٣٦٠.

(٤) الأصول: ص٣٦٢.

(٥) الأصول: ص٣٦١.

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتي باليهودية التي سمت الشاة للنبي (صلى الله عليه وآله) فقال لها: ما حملك على ما صنعت، فقالت: قلت: إن كان نبياً لم يضره، وإن كان ملكاً أرحت الناس منه، قال: فعفا رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنها»[١].

وعن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الندامة على العفو أفضل وأيسر من الندامة على العقوبة»[٢].

أقول: لأن الإنسان إذا عفى تمكن بعد ذلك من العقوبة وإن كان ذلك خلاف الموازين، أما إذا عاقب لم يتمكن بعد ذلك من إسقاط عقوبته حتى كأنه لم يعاقب.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: من ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله) الموجزة: «عفو الملك أبقى للملك»[٣].

أقول: لأن الملك يبقى بسبب حب الناس، فإذا لم يعف الملك أخذوا في هدم ملكه حتى يسقط.

وعن علي بن الحسن بن علي بن فضال، عن أبيه قال: قال الرضا (عليه السلام): في قول الله عزوجل: ﴿فاصفح الصفح الجميل﴾ قال: «العفو من غير عتاب»[٤].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغه)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «إذا قدرت علي عدوك فاجعل العفو عنه شكراً للقدرة عليه»[٥].

وقال (عليه السلام): «أولى الناس بالعفو أقدرهم على العقوبة»[٦].

---

(١) الأصول: ص٣٦٢.

(٢) الأصول: ص٣٦١.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٤٣.

(٤) معاني الأخبار: ص١٠٦.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٤٥.

(٦) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٥.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال الرسول الله (صلى الله عليه وآله): في حديث: «إذا كان يوم القيامة ينادي مناد يسمع آخرهم كما يسمع أولهم، فيقول: أين أهل الفضل، فيقوم عنق من الناس فيستقبلهم الملائكة فيقولون: ما فضلكم هذا الذي نوديتم به، فيقولون: كنا يجهل علينا في الدنيا فنحمل، ويساء إلينا فنعفو، فينادي مناد من الله تعالى: صدق عبادي خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب»[1].

فصل في استحباب العفو عمن ظلم الإنسان

وصلة القاطع والإحسان إلى المسيء

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبة: «ألا أخبركم بخير خلايق (أخلاق) الدنيا والآخرة، العفو عمن ظلمك، وتصل من قطعك، والإحسان إلى من أساء إليك، وإعطاء من حرمك»[2].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «إذا كان يوم القيامة جمع الله تبارك وتعالى الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم ينادي مناد أين أهل الفضل، قال: فيقوم عنق من الناس، فتتلقاهم الملائكة فيقولون: وما كان فضلكم، فيقولون: كنا نصل من قطعنا ونعطي من حرمنا ونعفو عمن ظلمنا، قال: فيقال لهم: صدقتم ادخلوا الجنة»[3].

وعن حمران بن أعين، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ثلاث من مكارم الدنيا والآخرة: تعفو

(١) مجالس ابن الشيخ: ص٦٣.

(٢) الأصول: ص٣٦١.

(٣) الأصول: ص٣٦١.

عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم إذا جهل عليك»[1].

أقول: إذا ذكر (وصل من قطع) شمل المال أيضاً، أما إذا قوبل بـ (إعطاء من حرم) كان يراد به الصلة فقط كالزيارة وما أشبه، وكذلك حال قوله (عليه السلام) في الرواية الآتية (أن يعود من لا يعوده).

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ثلاث لا يزيد الله بهن المرء المسلم إلاّ عزاً، الصفح عمن ظلمه، وإعطاء من حرمه، والصلة لمن قطعه»[2].

وعن أبي إسحاق السبيعي رفعه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ألا أدلكم على خير خلائق الدنيا والآخرة، تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»[3].

وعن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليكم بمكارم الأخلاق، فإن ربي بعثني بها، وإن من مكارم الأخلاق أن يعفو الرجل عمن ظلمه، ويعطي من حرمه، ويصل من قطعه، وأن يعود من لا يعوده»[4].

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في وصيته لمحمد ابن الحنيفة، قال: «لا يكونن أخوك على قطيعتك أقوى منك على صلته، ولا على الإساءة إليك أقدر منك على الإحسان إليه»[5].

أقول: أي كلما قطع صل، وكلما أساء أحسن.

عن علي بن جعفر بن محمد: إن محمد بن إسماعيل شاء أن يستأذن عمه أبا

---

(١) الأصول: ص٣٦١.

(٢) الأصول: ص٣٦٢.

(٣) الأصول: ص٣٦١.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص٣٠٤.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٤٨.

الحسن موسى (عليه السلام) في الخروج إلى العراق، قال: فأذن له، فقام محمد بن إسماعيل فقال: يا عم أحب أن توصيني، فقال: «أوصيك أن تتقي الله في دمي، فقال: لعن الله من يسعى في دمك، ثم قال: يا عم أوصني، فقال: أوصيك أن تتقي الله في دمي، قال: ثم ناوله أبو الحسن (عليه السلام) صرة فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها محمد، ثم ناوله أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أعطاه أخرى فيها مائة وخمسون ديناراً فقبضها، ثم أمر له بألف وخمسمائة درهم كانت عنده، فقلت له في ذلك فاستكثرته، فقال: هذا ليكون أوكد لحجتي عليه إذا قطعني ووصلته، ثم ذكر أنه سعى بعمه إلى الرشيد وأنه يدعي الخلافة ويجيء له الخراج، فأمر له بمائة ألف درهم ومات في تلك الليلة[١].

فصل في استحباب كظم الغيظ

عن زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «نعم الجرعة الغيظ لمن صبر عليها، فإن عظيم الأجر لمن عظيم البلاء، وما أحب الله قوماً إلاّ ابتلاهم»[٢].

وعن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: ما أحب أن لي بذلّ نفسي حمر النعم، وما تجرعت جرعة أحب إليّ من جرعة غيظ لا أكافي بها صاحبها»[٣].

أقول: (بذل نفسي) أي لا أذل نفسي لأجل الماديات ولو كان أثمن شيء وهي النعم الحمر.

وعن ربعي، عمن حدثه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال لي أبي (عليه السلام): «ما من شيء أقر لعين أبيك من جرعة غيظ عاقبتها صبر، وما يسرني أن لي بذلّ نفسي حمر

---

(١) رجال الكشي: ص١٧١، الأصول: ص٢٧٦.

(٢) الأصول: ص٣٦٢.

(٣) الأصول: ص٣٦٣.

النعم»[1].

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أحب السبيل إلى الله عزوجل جرعتان، جرعة غيظ تردها بحلم، وجرعة مصيبة تردها بصبر»[2].

وعن مالك بن حصين السكوني، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما من عبد كظم غيظاً إلاّ زاده الله عزوجل عزاً في الدنيا والآخرة، وقد قال الله عزوجل: ﴿والكاظمين الغيظ، والعافين عن الناس، والله يحب المحسنين﴾، وأثابه الله مكان غيظة ذلك»[3].

وعن أبي حمزة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما من جرعة يتجرعها العبد أحب إلى الله عزوجل من جرعة غيظ يتجرعها عند ترددها في قلبه إما بصبر وإما بحلم»[4].

أقول: إذا قوبل الصبر بالحلم أريد بالثاني عن إنسان آخر، وبالأول الصبر عن المصيبة مثلاً، فإذا غاظ الإنسان من مسيء وصبر قيل حلم، وإذا غاظ عن فقد حبيب أو مرض أو ما أشبه ولم يقل شيئاً يكره الله أو لم يفعل فعلاً كذلك قيل صبر، فإما في الرواية للتقسيم.

وعن سيف بن عميرة، قال: حدثني من سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من كظم غيظاً ولو شاء أن يمضيه أمضاه ملأ الله قلبه يوم القيامة رضاه»[5].

وعن الوصافي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه حشا الله قلبه أمناً وإيماناً يوم القيامة»[6].

---

(١) الأصول: ص٣٦٣.

(٢) الأصول: ص٣٦٣.

(٣) الأصول: ص٣٦٢.

(٤) الأصول: ص٣٦٣. المحاسن: ص٢٩٢.

(٥) الأصول: ص٣٦٢.

(٦) الأصول: ص٣٦٢.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: من ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من يكظم الغيظ يأجره الله، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله»(١).

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): إنه قال: «يا علي أوصيك بوصيته فاحفظها، فلا تزال بخير ما حفظت وصيتي، يا علي من كظم غيظاً وهو يقدر على إمضائه أعقبه الله أمناً وإيماناً يجد طعمه»(٢)، الحديث.

أقول: (أمناً) لأن من ينفذ غيظه لا يأمن من رد الفعل، (إيماناً) لأن الكظم يوجب الراحة النفسية فيجد لذة الإيمان.

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي، قال: «ومن كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه وحلم عنه أعطاه الله أجر شهيد»(٣).

وعن ربيع بن عبد الرحمن، قال: «كان والله موسى بن جعفر (عليه السلام) من المتوسمين، يعلم من يقف عليه ويجحد الإمام بعده إمامته، وكان يكظم غيظه عليهم ولا يبدي لهم ما يعرفه لهم، فسمي الكاظم لذلك»(٤).

أقول: هذا أحد الأسباب وإلاّ فهو (عليه السلام) كان في زمان سيء جداً من جهة الخلفاء المنحرفين، فكان يكظم غيظه لأجل حفظ الإسلام حتى لا يطفأ الإسلام الصحيح الذي كان يحمله (عليه السلام) خلافة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله).

وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ثلاث من كن فيه زوجه الله من الحور العين كيف شاء،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٢.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٣.

(٣) الفقيه: ج٢ ص١٩٨.

(٤) علل الشرائع: ص٨٩.

كظم الغيظ والصبر على السيوف لله، ورجل أشرف على مال حرام فتركه لله»[1].

وعن ثابت مولى آل حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كظم الغيظ عن العدو في دولاتهم تقية حزم لمن أخذ به، وتحرز به من التعرض البلاء في الدنيا، ومعاندة الأعداء في دولاتهم ومماظتهم في غير تقيه ترك أمر الله عزوجل، فجاملوا الناس يسمن ذلك لكم عندهم، ولا تعادوهم فتحملوهم على رقابكم فتذلوا»[2].

أقول: إذا لم يكن الواجب محاربتهم.

(في غير تقية) بيان (مماظتهم)، أي المماظة وتلك تكون بدون تقية وتركاً لها.

فصل في استحباب الصبر على الحساد

عن معاوية بن وهب، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «اصبر على أعداء النعم فإنك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه»[3].

وعن أبي حمزة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله أخذ ميثاق المؤمن على بلايا أربع، أشدها عليه مؤمن يقول بقوله يحسده، أو منافق يقفو أثره، أو شيطان يغويه، أو كافر يرى جهاده، فما بقاء المؤمن بعد هذا»[4].

أقول: (فما بقاء المؤمن) أي لا ينبغي له أن يرجو البقاء في الدنيا بعد هذه المشاكل.

وعن داود بن سرحان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أربع لا يخلو منهن المؤمن أو واحدة منهن: مؤمن يحسده وهو أشدهن عليه، ومنافق يقفو أثره، أو

---

(١) المحاسن: ٦.

(٢) الأصول: ص٣٦٢. المحاسن: ص٢٥٩.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٥٠، الخصال: ج١ ص١٣.

(٤) الأصول: ص٤٣٢.

عدو يجاهده أو شيطان يغويه»[1].

وعن عمار بن مروان، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: «اصبر على أعداء النعم فإنك لن تكافئ من عصى الله فيك بأفضل من أن تطيع الله فيه»[2].

فصل في استحباب الصمت إلاّ عن الخير

عن أحمد بن محمد بن أبي نصر، قال: قال أبو الحسن (عليه السلام): «من علامات الفقه، العلم والحلم والصمت، إن الصمت باب من أبواب الحكمة، إن الصمت يكسب المحبة، إنه دليل على كل خير»[3].

وعن أبي حمزة، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إنما شيعتنا الخرس»[4].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لرجل أتاه: «ألا أدلك على أمر يدخلك الله به الجنة، قال: بلى يا رسول الله، قال: أنل مما أنالك الله، قال: فإن كنت أحوج ممن أنيله، قال: فانصر المظلوم، قال: فإن كنت أضعف ممن أنصره، قال: فاصنع للأخرق يعني أشر عليه، قال: فإن كنت أخرق ممن أصنع له، قال: فاصمت لسانك إلاّ من خير، أما يسرك أن يكون فيك خصلة من هذه الخصال تجرك إلى الجنة»[5].

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال لقمان لابنه: يا بني إن كنت

(١) الأصول: ص٤٣٢.

(٢) الأصول: ص٣٦١.

(٣) الأصول: ص٣٦٤.

(٤) الأصول: ص٣٦٤.

(٥) الأصول: ص٣٦٤.

زعمت أن الكلام من فضة فالسكوت من ذهب»[1].

أقول: هذا على سبيل الكثرة لا الإطلاق، إذ كثيراً ما يجب الكلام من باب الإرشاد أو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أو نصح المستشير إلى غير ذلك، وحيث إن الغالب أن الناس يثرثرون بالكلام يقال لهم ذلك.

وعن الوشاء، قال: سمعت الرضا (عليه السلام)، يقول: «كان الرجل من بني إسرائيل إذا أراد العبادة صمت قبل ذلك عشر سنين»[2].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصيته لأصحابه قال: «إياكم أن تذلقوا ألسنتكم بقول الزور والبهتان والإثم والعدوان، فإنكم إن كففتم ألسنتكم عما يكرهه الله مما نهاكم عنه كان ذلك خيراً لكم من أن تذلقوا ألسنتكم به، فإن ذلق اللسان فيما يكره الله وما نهي عنه رداءة (مرداة) العبد عند الله ومقت من الله وصمم وعمي يورثه الله إياه يوم القيامة»[3] الحديث.

وعن الحلبي رفعه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «امسك لسانك فإنها صدقة تتصدق بها على نفسك»، ثم قال: «ولا يعرف عبد حقيقة الإيمان حتى يخزن لسانه»[4].

أقول: الإمساك عن اختيار عمل، ولذا كان صدقة، فلا يقال العدم لا يكون مؤثراً كما لا يكون متأثراً.

وعن علي بن الحسن بن رباط، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا يزال العبد المؤمن يكتب محسناً ما دام ساكتاً فإذا تكلم كتب محسناً أو مسيئاً»[5].

---

(١) الأصول: ص٣٦٤.

(٢) الأصول: ص٣٦٥، عيون أخبار الرضا: ص١٨٥.

(٣) الروضة: ص٣.

(٤) الأصول: ص٣٦٤.

(٥) الأصول: ص٣٦٤. الفقيه: ج٢ ص٣٤٩.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: وقال (عليه السلام): «كلام في حق خير من سكوت على الباطل»[1].

أقول: (خير) ليس من الأفضلية، بل هو مثل (أولى لك فأولى)[2].

قال: وقال الصادق (عليه السلام): «الصمت كنز وافر وزين الحلم وستر الجاهل»[3].

وعن الربيع بن محمد المسلي، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما عبد الله بشيء مثل الصمت والمشي إلى بيت الله»[4].

وعن علي بن مهزيار رفعه، قال: «يأتي على الناس زمان تكون العافية عشرة أجزاء، تسعة منها في اعتزال الناس، وواحدة في الصمت»[5].

وعن سعدان بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «النوم راحة الجسد، والنطق راحة للروح، والسكوت راحة للعقل»[6].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «القول الحسن يثري المال، وينمي الرزق، وينسي في الأجل، ويحبب إلى الأهل، ويدخل الجنة»[7].

أقول: تقدم وجه هذا مثل هذا الحديث.

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال داود لسليمان (عليه السلام): «يا بني عليك بطول الصمت، فإن الندامة على طول الصمت مرة واحدة خير من الندامة على كثرة الكلام مرات، يا بني لو أن الكلام كان من فضة كان

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٩.

(٢) سورة القيامة: ٣٤.

(٣) الفقيه: ص٣٤٩.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٧.

(٥) ثواب الأعمال: ص٩٧. الخصال: ج٢ ص٥٨.

(٦) المجالس: ص٢٦٤.

(٧) المجالس: ص٢. الخصال: ج١ ص١٥٣.

ينبغي الصمت أن يكون من ذهب»[1].

أقول: مثلاً إذا سب الإنسان شخصاً مرتين، لأنه آذاه يندم بعد ذلك مرتين، أما إذا لم يسبه كظماً للغيظ ورأى بعد ذلك أنه كان مستحقاً للسب فإنه يندم على السكوت مرة، وربما يقال: إن العدم واحد بينما الوجودات متعددة، لكن لا يخفى أن ما قاله (عليه السلام) من باب الغلبة، فإن العدم المطلق واحد كالوجود المطلق، وأفراد كل منهما متعدد وإن كان إطلاق الفرد والمتعدد على الوجود حقيقة، وعلى العدم مجاز، وذلك لأن الإنسان قد يندم على كل عدم.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «لا خير في الصمت عن الحكم كما أنه لا خير في القول بالجهل»[2].

أقول: أي الحكم الذي يلزم قوله، فإن الإرشاد والأمر بالمعروف ونحوهما يسمى حكماً، لأن الإنسان يحكم به، والمراد بالجهل ما يجهل، أي أن يقول ما يجهله لا يعلم هل هو صحيح أم لا، أو يعلم أنه صحيح لكن الموضع ليس موضع الكلام فإنه يسمى أيضاً قولاً بجهل.

قال: وقال (عليه السلام): «بكثرة الصمت تكون الهيبة»[3].

قال: وقال (عليه السلام): «من كثر كلامه كثر خطأه، ومن كثر خطأه قل حياؤه، ومن قل حياؤه قل ورعه، ومن قل ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار»[4].

أقول: (قل حياؤه) أي من آثار الحياء حفظ ماء الوجه أمام الناس، فإذا

---

(١) قرب الإسناد: ص٣٣.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٨٦ و٢٥٤.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩٤.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٧.

كثر خطأه لم يكن ماء وجهه محفوظاً، يرتكب ما لا ينبغي لأن الإنسان لا يرتكب القبائح لحفظ ماء وجهه.

قال: وقال (عليه السلام): «الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فرب كلمة سلبت نعمة»[١].

أقول: (صرت في وثاقه) لأنك مقيد بأن تفعل بما قلت، مثلاً إذا لم يعد الإنسان شخصاً كان مخيراً في أن يفعل ذلك أم لا، فإذا وعده كان مقيداً بأن يعمل بوعده.

فصل في استحباب اختيار الكلام في الخير

عن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصيته له قال: «يا أباذر، الذاكر في الغافلين كالمقاتل في الفارين في سبيل الله. يا أباذر، الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء، وإملاء الخير خير من السكوت، والسكوت خير من إملاء الشر. يا أباذر، اترك فضول الكلام، وحسبك من الكلام ما تبلغ به حاجتك. يا أباذر، كفي بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع. يا أباذر، إنه ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان. يا أباذر، إن الله عند لسان كل قائل فليتق الله امرء وليعلم ما يقول»[٢].

أقول: (حاجتك) أي بقدر الحاجة، سواء في طلب الحوائج أو إذا كانت حاجته الدرس أو السؤال أو الأمر بالمعروف أو ما أشبه ذلك، فإن كل ذلك

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٣٧.

(٢) المجالس والأخبار: ص٣٣٩.

حاجة الإنسان فلا يتكلم الإنسان بأكثر من قدر الحاجة.

(بكل ما سمع) إذ جملة مما يسمعه الإنسان كذب، فإذا تكلم بكل ما سمع كان بعض كلامه كذباً، فلا يلزم في الكذب أن ينشأ الكذب هو، أو يحكي ما يعلم أنه كذب.

وعن علي بن الحسين (عليه السلام)، إنه سئل عن الكلام والسكوت أيهما أفضل، فقال (عليه السلام): «لكل واحد منهما آفات، فإذا سلما من الآفات فالكلام أفضل من السكوت»، قيل: وكيف ذلك يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقال: «لأن الله عزوجل ما بعث الأنبياء والأوصياء بالسكوت، إنما بعثهم بالكلام، ولا استحقت الجنة بالسكوت، ولا استوجبت ولاية الله بالسكوت، ولا وقيت النار بالسكوت، ولا تجنب سخط الله بالسكوت، إنما ذلك كله بالكلام، ما كنت لأعدل القمر بالشمس، إنك لتصف فضل السكوت بالكلام، ولست تصف فضل الكلام بالسكوت»[1].

أقول: (ولا استحقت) هذه الأربعة كلها بشهادتين ونحوها، وكلها كلام.

(إنك لتصف) فإن الكلام هو الذي يبين فضل السكوت، فالسكوت في ظهور فضله احتاج إلى الكلام، والكتابة وإن كانت تظهر ذلك أيضاً إلاّ أنها قليلة بالنسبة إلى الكلام.

فصل في وجوب حفظ اللسان عما لا يجوز

عن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «إن لسان ابن آدم يشرف كل يوم على جوارحه كل صباح فيقول: كيف أصبحتم، فيقولون: بخير إن تركتنا، ويقولون: الله الله فينا ويناشدونه ويقولون: إنما نثاب ونعاقب بك»[2].

أقول: إما المراد تكلم اللسان بلسان الحال، أو تكلمه تكويناً، فإن كل

(١) الاحتجاج: ص١٧٢.

(٢) الأصول: ص٣٦٥، الخصال: ج١ ص٦.

شيء له إدراك (إن من شيء إلاّ يسبح بحمده)، وعدم فهمنا ذلك لأن كل شيء يعمل في محيط صلاحيته، وما كان محيط صلاحيته خارجاً عن محيطنا لا نشعر به نحن، ولذا لا نحس المرئيات أو الأصوات الخارجة عن الحد المحدود في علم الفيزياء، إلى غير ذلك.

وعن أبي علي الجواني، قال: شهدت أبا عبد الله (عليه السلام) وهو يقول لمولى له يقال له سالم، ووضع يده على شفته، وقال: «يا سالم احفظ لسانك تسلم، ولا تحمل الناس على رقابنا»[١].

أقول: (لا تحمل) لأنه إن تكلم بما لا يدركه الناس من أسرارهم، وكل إنسان له عقائد خاصة، أو ضد الدولة أسرار، أخذ الناس في التهجم عليهم (صلوات الله عليهم)، وذلك ثقل على أرواحهم، كما أن حمل الإنسان شيئاً على عاتقه ثقل على رقبته، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس مثل (عليه دين).

وعن عثمان بن عيسى، قال: حضرت أبا الحسن (عليه السلام) وقال له رجل: أوصني، فقال: «احفظ لسانك تعز، ولا تمكن الناس من قيادك فتذل رقبتك»[٢].

أقول: (من قيادك) أي يقودونك إلى حيث شاؤوا، كما هي عادة البسطاء من الناس ينجرون إلى حيث شهوات الناس.

وعن مسعدة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال لرجل وقد كلمه بكلام كثير، فقال: «أيها الرجل تحتقر الكلام وتستصغره، إن الله لم يبعث رسله حيث بعثها ومعها فضة ولا ذهب، ولكن بعثها بالكلام، وإنما عرف الله نفسه إلى خلقه بالكلام والدلالات عليه والإعلام»[٣].

أقول: المراد إن الكلام له قيمة فلا تبذله كثيراً، فهو كمن يبذل ماله

---

(١) الأصول: ص٣٦٤.

(٢) الأصول: ص٣٦٤.

(٣) الروضة: ص١٤٨.

بدون تقدير أن يكون في مورده.

وعن الحلبي رفعه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نجاة المؤمن حفظ لسانه»[1].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «كان أبوذر (رحمه الله) يقول: يا مبتغي العلم إن هذا اللسان مفتاح خير ومفتاح شر، فاختم على لسانك كما تختم على ذهبك وورقك»[2].

أقول: فكما لا تصرف المال إلاّ في مصالحك كذلك لا تبذل كلامك إلاّ في مورد المصلحة.

وفي حديث: جاء رجل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أوصني، فقال: «احفظ لسانك»، قال: يا رسول الله أوصني، قال: «احفظ لسانك»، قال: يا رسول الله أوصني، قال: «احفظ لسانك، ويحك وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم»[3].

أقول: لعل الرجل كان ثرثاراً، ومن عادة الرسول (صلى الله عليه وآله) كحال المصلحين أن يقولوا ما يعالج مرض الطرف.

(وهل يكب الناس) لبيان كثرة مجيء العقاب من اللسان، فإن الزناة ونحوهم قليل بالنسبة إلى الكذابين والمغتابين والباهتين وأضرابهم.

وعن منصور بن يونس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «في حكمة آل داود: على العاقل أن يكون عارفاً بأهل زمانه، مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه»[4].

أقول: العرفان بأهل الزمان من جهة أخلاقهم الفردية حتى لا يقابل إنساناً

---

(١) الأصول: ص٣٦٥.

(٢) الأصول: ص٣٦٥.

(٣) الأصول: ص٣٦٥.

(٤) الأصول: ص٣٦٥.

بما يوجب الإساءة إلى ذلك الإنسان، أو إلى نفس هذا الإنسان وأخلاقهم الاجتماعية، حتى يعرف الاتجاهات التي تجري في المجتمع فلا ينجرف به السيل أو يسبب انزواءه، فإن السيل الاجتماعي كالسيل من الماء إن لم يعرف الإنسان مسيره ومصيره فإما أن يأخذه إلى حيث الهلاك، أو يطرحه إلى حيث الانزواء.

وعن أبي جميلة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من يوم إلاّ وكل عضو من أعضاء الجسد يكفر اللسان يقول: نشدتك الله أن نعذب فيك»[١].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن كان في شيء شوم ففي اللسان»[٢].

عن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «اللسان سبع عقور، إن خلي عنه عقر»[٣].

قال: وقال (عليه السلام): «إذا تم العقل نقص الكلام»[٤].

وعن حماد بن عثمان، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «في حكمة آل داود: ينبغي للعاقل أن يكون مقبلاً على شأنه، حافظاً للسانه، عارفاً بأهل زمانه»[٥].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في وصيته لمحمد بن الحنيفة، قال: «وما خلق الله عزوجل شيئاً أحسن من الكلام ولا أقبح منه، بالكلام ابيضت الوجوه، وبالكلام اسودت الوجوه، واعلم أن الكلام في وثاقك ما لم تتكلم به، فإذا تكلمت به صرت في وثاقه، فاخزن لسانك كما تخزن ذهبك وورقك، فإن اللسان كلب عقور فإن أنت خليته

---

(١) الأصول: ص٣٦٥.

(٢) الأصول: ص٣٦٥.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٦.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٧.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٥٩.

عقر، ورب كلمة سلبت نعمة، من سيب عذاره قاده إلى كل كريهة وفضيحة، ثم لم يخلص من دهره إلاّ على مقت من الله وذم من الناس»[1].

أقول: (سيب عذاره) أي ترك لجامه، تشبيه بترك لجام الدابة حيث تورد صاحبها موارد الهلكة.

وعن الحارث، عن علي (عليه السلام)، قال: «ما من شيء أحق بطول السجن من اللسان»[2].

وعن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن الرضا، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «نجاة المؤمن في حفظ لسانه»، قال: وقال أمير المؤ منين (عليه السلام): «من حفظ لسانه ستر الله عورته»[3].

أقول: أولاً هو لا يظهر عورته بسبب كلامه، وثانياً الناس لا يظهرون عورته، لأنه لا يظهر عوراتهم بسبب كلامه.

وعن سليمان بن مهران، قال: دخلت على الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) وعنده نفر من الشيعة، فسمعته وهو يقول: «معاشر الشيعة، كونوا لنا زيناً، ولا تكونوا علينا شيناً، قولوا للناس حسناً، واحفظوا ألسنتكم وكفوها عن الفضول وقبيح القول»[4].

وعن ابن أبي عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله، فإن كثرة الكلام بغير ذكر الله قسو (قسى) القلب، إن أبعد الناس من الله القلب القاسي»[5].

أقول: ذكر الله يرقق القلب حيث إن الإنسان يرى نفسه حقيراً أمام الله،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص١١٩، نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٣٧.

(٢) الخصال: ج١ ص١١.

(٣) ثواب الأعمال: ص٩٩.

(٤) المجالس: ص٢٨١.

(٥) مجالس ابن الشيخ: ص٢.

أما إذا كان الكلام الكثير بغير ذكره سبحانه دخل في الإنسان العجب بنفسه والغرور وما أشبه، لما يرى من قدرته على البيان والذهاب كل مذهب، والعجب والغرور وما أشبه من أسباب قسوة القلب، فكما أن الحجر القاسي لا يخرج منه الماء ونحوه ولا يدخل فيه شيء، كذلك اللب القاسي لا يخرج منه خير ولا يدخله خير حيث العجب والغرور.

وعن عبد الله بن عبد الله، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) أنه قال لأصحابه: «اسمعوا مني كلاماً هو خير لكم من الدرهم الموقفة، لا يتكلم أحدكم بما لا يعنيه، وليدع كثيراً من الكلام فيما يعينه حتى يجد له موضعاً، فرب متكلم في غير موضعه خطا على نفسه بكلامه، ولا يمارين أحدكم حليماً ولا سفيهاً، فإنه من مارى حليماً أقصاه، ومن مارى سفيه أرداه، واذكروا أخاكم إذا غاب عنكم بأحسن ما تحبون أن تذكروا إذا غبتم عنه، واعملوا عمل من يعلم أنه مجازى بالإحسان مأخوذ بالإجرام»[1].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي (عليه السلام)، قال: «ثلاث منجيات، تكف لسانك وتبكي علي خطيئتك ويسعك بيتك»[2].

أقول: إن الباكي على خطيئة النادم من أجلها يتوب ويترك الذنب، بالإضافة إلى أن نفس البكاء له آثار محمودة، (بيتك) كناية عن عدم توسيع الإنسان لأمور هي خارجة عن قدرته في أي باب من الأبواب.

عن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال: «يا فضيل بلغ من لقيت من موالينا السلام وقل لهم إني أقول: إني لا أغني عنهم من الله شيئاً إلاّ بورع، فاحفظوا

---

(١) مجالس ابن الشيخ: ص١٣٩.

(٢) المحاسن: ص٤.

ألسنتكم، وكفوا أيديكم، وعليكم بالصبر والصلاة إن الله مع الصابرين»[١].

عن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن على لسان كل قائل رقيباً، فليتق الله العبد ولينظر ما يقول»[٢].

وعن جعفر، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)، قال: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[٣].

أقول: أي ليس فيه جهة فائدة له، لا بمعنى ما لا يقصده، فهو من باب سلب الموضوع بسبب انسلاب الحكم.

فصل في كراهة كثرة الكلام بغير ذكر الله

عن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان المسيح (عليه السلام) يقول: لا تكثروا الكلام في غير ذكر الله، فإن الذين يكثرون الكلام في غير ذكر الله قاسية قلوبهم ولكن لا يعلمون»[٤].

وعن ابن فضال، عمن رواه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (عليه السلام): «من لا يحسب كلامه من عمله كثرت خطاياه وحضر عذابه»[٥].

أقول: الكلام حقيقة من العمل، إذ الأعمال قلبية ولفظية وجوارحية، فعلى الإنسان أن يعلم أن كلامه أيضاً من أعماله التي يجزى عليها، إن خيراً فخير،

---

(١) السرائر: ص٤٧٢.

(٢) قرب الإسناد: ص٣٢.

(٣) قرب الإسناد: ص٣٢.

(٤) الأصول: ص٣٦٥.

(٥) الأصول: ص٣٦٥.

وإن شراً فشر»[1].

وعن جعفر بن إبراهيم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من رأى موضع كلامه من عمله قل كلامه إلاّ فيما يعنيه»[2].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام) في رسالته إلى أصحابه، قال: «فاتقوا الله، وكفوا ألسنتكم إلاّ من خير» إلى أن قال: «وعليكم بالصمت إلاّ فيما ينفعكم الله به من أمر آخرتكم ويأجركم عليه، وأكثروا من التهليل والتقديس والتسبيح والثناء على الله والتضرع إليه والرغبة فيما عنده من الخير الذي لا يقدر قدره ولا يبلغ كنهه أحد، فأشغلوا ألسنتكم بذلك عما نهى الله عنه من أقاويل الباطل التي تعقب أهلها خلوداً في النار، من مات عليها ولم يتب إلى الله ولم ينزع عنها»[3].

أقول: (من الخير) بيان (ما عنده)، وقوله (ولم ينزع) لأنه قد يتوب الإنسان ثم يعود فاللازم في من لايريد العقاب التوبة والنزوع.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: مر أمير المؤمنين (عليه السلام) برجل يتكلم بفضول الكلام، فوقف عليه ثم قال: «يا هذا إنك تملي على حافظيك كتاباً إلى ربك، فتكلم بما يعنيك ودع ما لا يعنيك»[4].

قال: وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) جمع الخير كله في ثلاث خصال: النظروالسكوت والكلام فكل نظر ليس فيه اعتبار فهو سهو وكل كلام ليس فيه ذكر فهو لغو وكل سكوت ليس فيه فكرة فهو غفلة فطوبي لمن كان نظره عبراً وصمته تفكراً وكلامع ذكراً وبكي علي خطيئته وآمن الناس شره.

أقول: (جمع الخير) هذا من باب أنها مبعث الخير الغالب، لا على

---

(١) الأصول: ص٣٦٥.

(٢) الروضة: ص٣ ـ ٤.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٤٩، المجالس: ص٢١.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٥٤، المجالس: ص٥.

سبيل الانحصار.

وعن جعفر بن إبراهيم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من ماز موضع كلامه من عقله قل كلامه فيما لا يعنيه»[1].

أقول: (ماز) من التميز أي عرف أن كلامه ناشئ عن عقله وأنه أثر من آثار زيادة العقل أو نقصانه.

قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إياكم وجدال المفتون، فإن كل مفتون ملقى حجته إلى انقضاء مدته، فإذا انقضت مدته أحرقته فتنته بالنار»[2].

أقول: أي لا تجادلوا من افتتن بشيء من زخارف الدنيا كسلطانه أو ماله أو غير ذلك، إذ حبه لذلك الشيء يمنعه عن قبول الحق فلا ينفع فيه الجدال.

(ملقى حجته) أي يأتي بالحجج التي يلقيها الشيطان إليه ولا يستعد هو إلى الرجوع إلى الحق.

(فتنته) أي الشيء الذي سبب افتتانه، والمراد بالنار إما نار الدنيا حيث تهب عليه نفحة من الخيرات فتذهب سلطته وماله وغيرهما، أو نار الآخرة التي هيأها بسبب تلك الفتنة.

ولا يخفى أن عدم الجدال معه لا يلازم عدم تذكيره بالحق، قال سبحانه: ﴿لم تعظون قوماً الله مهلكهم أو معذبهم عذاباً شديداً، قالوا معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾.

وعن أبي أراكة، قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: «إن لله عباداً كسرت قلوبهم خشية الله فاستنكفوا من المنطق وإنهم لفصحاء ألباء نبلاء، يستبقون إليه بالأعمال الزاكية، لا يستكثرون له الكثير ولا يرضون له القليل، يرون أنفسهم أنهم شرار، وإنهم

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٣٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٣٩.

لأكياس الأبرار»[1].

أقول: (لأكياس الأبرار) أي في ذروة الأبرار، إذ الأبرار فيهم الكيس والأكثر كياسة.

وعن زيد بن علي، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «الكلام ثلاثة، فرابح وسالم وشاحب، فأما الرابح فالذي يذكر الله، وأما السالم فالذي يقول أحب الله، وأما الشاحب فالذي يخوض في الناس»[2].

أقول: (يقول أحب الله) ليس المراد بالقول اللفظ بل العمل، أي يحب الله لكنه لا يذكر الله كالأول، ولا يخوض في الناس كالثالث، والمراد بالشاحب الخاسر.

وعن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعت أبي يقول: «من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»[3].

فصل في استحباب مداراة الناس

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أمرني ربي بمداراة الناس كما أمرني بأداء الفرائض»[4].

أقول: فأداء الفرائض في كفة، والمداراة في كفة.

وعن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «في التوراة مكتوب فيما ناجى الله به موسى بن عمران: يا موسى اكتم مكتوم سري في سريرتك، وأظهر

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٣٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٣٩.

(٣) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٣٩.

(٤) الأصول: ص٣٦٦.

في علانيتك المداراة عني لعدوي وعدوك عن خلقي، ولا تستسب لي عندهم بإظهار مكتوم سري، فتشرك عدوك وعدوي في سبي»[1].

أقول: (مكتوم سري) إما من باب البيان، أي السر المكتوم، أو من باب السر الشديد كتمانه، في قبال ما ليس بهذه السرية، قال سبحانه: ﴿ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم﴾[2]، وقال السجاد (عليه السلام): «إني لأكتم من علمي جواهره».

وعن الحسين بن الحسن، قال: سمعت جعفراً (عليه السلام) يقول: «جاء جبرئيل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد ربك يقرؤك السلام ويقول لك: دار خلقي»[3].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث من لم لكن فيه لم يتم له عمل، ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل»[4].

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «مداراة الناس نصف الإيمان، والرفق بهم نصف العيش»، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): «خالطوا الأبرار سراً، وخالطوا الفجار جهراً (جهاراً)، ولا تميلوا عليهم فيظلموكم، فإنه سيأتي عليكم زمان لا ينجو فيه من ذوي الدين إلاّ من ظنوا أنه أبله، وصبر نفسه على أن يقال: إنه أبله لا عقل له»[5].

أقول: (نصف الإيمان) والنصف الآخر ما يرتبط بالله سبحانه، (نصف العيش) والنصف الآخر ما يرتبط بالإنسان نفسه بدون ربط بالاجتماع، فالمدارة

(١) الأصول: ص٣٦٦.

(٢) سورة الأنعام: ١٠٨

(٣) الأصول: ص٣٦٦.

(٤) الأصول: ص٣٦٦.

(٥) الأصول: ص٣٦٦.

من (درء) بمعند رفع الشر، والرفق بمعنى الارتباط الحسن، ولذا كان الأول سلبياً والثاني إيجابياً.

وعن حذيفة بن منصور، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن قوماً قلت مداراتهم للناس فألقوا من قريش، وأيم الله ما كان بأحسابهم بأس، وإن قوماً من غير قريش حسنت مداراتهم فالحقوا بالبيت الرفيع»، ثم قال: «من كف يده عن الناس فإنما يكف عنهم يداً واحدة ويكفون عنه أيدي كثيرة»[١].

أقول: (ألقوا من قريش) أي طردوا منهم ولم ينسبوا إليهم.

(البيت الرفيع) كسلمان، حيث قال (صلى الله عليه وآله): «سلمان منا أهل البيت».

(من كف): قد تقدم تفسيره.

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال الصادق (عليه السلام): «يا إسحاق، صانع المنافق بلسانك، وأخلص ودك للمؤمن»[٢].

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنيفة، قال: «وأحسن إلى جميع الناس كما تحب أن يحسن إليك، وارض لهم ما ترضاه لنفسك، واستقبح لهم ما تستقبحه من غيرك، وحسن مع الناس خلقك حتى إذا غبت عنهم حنوا إليك، وإذا مت بكوا عليك وقالوا: إنا لله وإنا إليه راجعون، ولا تكن من الذين يقال عند موته: الحمد لله رب العالمين، واعلم أن رأس العقل بعد الإيمان بالله عزوجل مداراة الناس، ولا خير في من لا يعاشر بالمعروف من لابد من معاشرته حتى يجعل الله إلى الخلاص منه سبيلاً، فإني وجدت جميع ما يتعايش به الناس وبه يتعاشرون ملؤ مكيال ثلثاه

---

(١) الأصول: ص٣٦٦.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٥٢.

استحسان وثلثه تغافل»[١].

أقول: سيئات الناس غالباً، أقل من حسناتهم، فإن كان الأمر بين الثلث والثلثين ـ ولو عرفياً لا دقياً ـ كان غفلة الإنسان عن سيئات الناس واستحسانه لحسناتهم موجبين لصفاء الود بينهم، وبذلك يكون بينهم تعاشر حسن.

وعن محمد بن أحمد الكاتب رفعه، إن علي بن أبي طالب (عليه السلام) قال لبنيه: «يا بني إياكم ومعاداة الرجال، فإنهم لا يخلون من ضربين، من عقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل (يجهل) عليكم، والكلام ذكر والجواب أنثى، فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج، ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا

ومن دارى الرجال فقد أصابا

و من هاب الرجال تهيبوه

ومن حقر الرجال فلن يهابا [٢]

أقول: (والكلام ذكر) أي إذا قالوا وقلت في الجدال والمراء.

وعن سفيان بن عيينة، قال: قلت للزهري: لقيت علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: نعم لقيته وما لقيت أحداً أفضل منه، وما علمت له صديقاً في السر ولا عدواً في العلانية، فقيل له: وكيف ذلك، قال: لأني لم أر أحداً وإن كان يحبه إلاّ وهو لشدة معرفته بفضله يحسده، ولا رأيت أحداً وإن كان يبغضه إلاّ وهو لشدة مداراته له يداريه[٣].

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٦.

(٢) الخصال: ج١ ص٣٧.

(٣) علل الشرائع: ص٨٨.

فصل في جملة من حقوق المؤمن

عن مرازم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من أداء حق المؤمن»[1].

أقول: (أفضل) لأن مثل الصلاة والصيام حق الله سبحانه، أما أداء حق المؤمن فهو حق الله وحق الناس معاً، والله سبحانه يعطي له أفضل من عطائه لحقه وحده.

وعن أبي المعزا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يخونه، ويحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل والتعاقد على التعاطف والمواساة لأهل الحاجة وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل، رحماء بينكم متراحمين مغتمين لما غاب عنكم من أمرهم على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)»[2].

أقول: (والتعاقد) كأنه عقد اجتماعي يعطف هذا عل ذاك في قبال عطف ذاك على هذا.

(رحماء متراحمين) الأول من باب الطبيعة، أي ليكن طبيعة كل واحد الرحم، والثاني من باب التفاعل، أي فعلية الرحم المتقابل عملاً.

(مغتمين) أي يغتم ويحزن إذا غاب عنه شيء من أمور المؤمنين بأن لم يعلم حتى يقوم بشأنه، أو علمه ولم يتمكن من رفع مشكلته.

وعن عيسى بن أبي منصور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله عزوجل وعن يمين الله، فقال له ابن أبي يعفور: وما هن جعلت فداك، قال: يحب المرء المسلم لأخيه ما يحب لأعز أهله، ويكره المرء المسلم لأخيه ما يكره لأعز أهله ويناصحه الولاية» إلى أن قال:

---

(١) الأصول: ص٣٩٤.

(٢) الأصول: ص٣٩٦.

«إذا كان منه بتلك المنزلة بثه همه، ففرح لفرحه إن هو فرح، وحزن لحزنه إن هو حزن، وإن كان عنده ما يفرج عنه فرج عنه، وإلاّ دعا له» إلى أن قال: «قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن لله خلقاً عن يمين العرش بين يدي الله وجوههم أبيض من الثلج وأضوأ من الشمس الضاحية، يسأل السائل ما هؤلاء، فيقال: هؤلاء الذين تحابوا في جلال الله»[1].

أقول: الله ليس بجسم وإنما ذلك من باب التشبيه بأن لطفه سبحانه على هذا الإنسان كلطف الملك بمن أوقفه أمامه وعن يمينه.

(يناصحه الولاية) أي يكون كل واحد منهما في توليه وحبه للآخر ناصحاً، بالإضافة إلى أصل العمل، إذ قد يعمل الإنسان بعنوان قدر اللازم، وقد يعمل أكثر من ذلك، لأنه ناصح شفيق.

(تحابوا) أي كانت محبة بعضهم لبعض لا لأجل الدنيا أو الجنة بل لأجل أن الله الجليل أمرهم بذلك.

وعن الحارث بن المغيرة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه»[2].

أقول: (عينه) يرى لنفعه كعين الإنسان، (مرآته) يرى نفسه فيه فيكمل نواقصه، (دليله) يكون هادياً له إلى منافعه.

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن من حق المؤمن على أخيه المؤمن أن يشبع جوعته، ويواري عورته، ويفرج عنه كربته، ويقضي دينه، فإذا مات خلفه في أهله وولده»[3].

وعن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المؤمن أخو المؤمن، عينه ودليله،

---

(١) الأصول: ص٣٩٥.

(٢) الأصول: ص٣٩٢.

(٣) الأصول: ص٣٩٣.

لا يخونه ولا يظلمه ولا يغشه ولا يعده عدة فيخلفه»[1].

وعن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: ما حق المسلم على المسلم، قال: «له سبع حقوق واجبات، ما منهن حق إلاّ وهو عليه واجب، إن ضيع منها شيئاً خرج من ولاية الله وطاعته ولم يكن لله فيه نصيب»، قلت له: جعلت فداك وما هي، قال: «يا معلى إني عليك شفيق، أخاف أن تضيع ولا تحفظ وتعلم ولا تعمل»، قلت: لا قوة إلاّ بالله، قال: «أيسر حق منها أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك، والحق الثاني أن تجتنب سخطه وتتبع مرضاته وتطيع أمره، والحق الثالث أن تعينه بنفسك ومالك ولسانك ويدك ورجلك، والحق الرابع أن تكون عينه ودليله ومرآته، والحق الخامس أن لا تشبع ويجوع، ولا تروي ويظمأ، ولا تلبس ويعرى، والحق السادس أن يكون لك خادم وليس لأخيك خادم فواجب أن تبعث خادمك فتغسل ثيابه وتصنع طعامه وتمهد فراشه، والحق السابع أن تبر قسمه وتجيب دعوته وتعود مريضه وتشهد جنازته، وإذا علمت أن له حاجة تبادره إلى قضائها ولا تلجئه إلى أن يسألكها ولكن تبادره مبادرة، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايته وولايته بولايتك»[2].

أقول: (من ولاية الله) أي الولاية الكاملة.

(أيسر) لأن الحب قلبي وهو خفيف المؤنة، بخلاف العمل الذي هو أصعب، وما ذكر في أمثال هذه الروايات من باب المثال الغالب، وإلاّ فالسكنى ونحوها أيضاً من الحقوق، أو يقال إن غيرها داخل فيها بالملاك أو نحو ذلك.

وعن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «حق المسلم على المسلم أن لا يشبع ويجوع أخوه، ولا يروى ويعطش أخوه، ولا يكتسي ويعرى

---

(١) الأصول: ص٣٩١ ـ ٣٩٢.

(٢) الأصول: ص٣٩٣. الخصال: ج١ ص٦.

أخوه، فما أعظم حق المسلم على أخيه المسلم»، وقال: «أحب لأخيك المسلم ما تحب لنفسك، وإن احتجت فسله، وإن سألك فأعطه، لا تمله خيراً ولا يمله لك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إذا غاب فاحفظه في غيبته، وإذا شهد فزره وأجله وأكرمه، فإنه منك وأنت منه، فإن كان عليك عاتبا فلا تفارقه حتى تسل (تسأل) سخيمته، وإن أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فاعضده، وإن تمحل له فأعنه، وإذا قال الرجل لأخيه: اف، انقطع ما بينهما من الولاية، وإذا قال له: أنت عدوي، كفر أحدهما، فإذا اتهمه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء» الحديث[1].

أقول: (لا تمله خيراً) أي من حيث الخير، فإذا أراد منك خيراً أعطيته له.

(تسل) أي تخرج ما في قلبه عليك من الغضاضة.

(تمحل) بصيغة المجهول أي أرادوا به محالاً، وهو الأمر الصعب بسبب عدو أو لص أو جائر أو ما أشبه.

(كفر) أي كفراً عملياً في قبال الكفر العقيدي الذي يوجب الخروج عن الدين.

وعن علي بن عقبة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «للمسلم على المسلم من الحق أن يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، وينصح له إذا غاب، ويسمته إذا عطس، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات»[2].

وعن أبي الميمون الحارثي، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ما حق المؤمن على المؤمن، قال: «إن من حق المؤمن على المؤمن المودة له في صدره، والمواساة له في ماله، والخلف له في أهله، والنصرة له على من ظلمه، وإن كان نافلة في المسلمين وكان غائباً أخذ له بنصيبه، وإذا مات الزيارة له إلى قبره، وأن لا يظلمه، وأن لا يغشه، وأن لا يخونه، وأن لا يخذله، وأن لا يكذبه، وأن لا يقول له: أف، وإذا قال له أف فليس بينهما ولاية، وإذا قال له أنت عدوي فقد كفر أحدهما، وإذا اتهمه

---

(١) الأصول: ص٣٩٤.

(٢) الأصول: ص٣٩٤.

انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[1].

وعن معلى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن حق المؤمن، فقال: «سبعون حقاً لا أخبرك إلاّ بسبعة، فإني عليك مشفق أخشى أن لا تحتمل»، قلت: بلى إن شاء الله، فقال: «لا تشبع ويجوع، ولا تكتسي ويعرى، وتكون دليله وقميصه الذي يلبسه، ولسانه الذي يتكلم به، وتحب له ما تحب لنفسك، وإن كانت لك جارية بعثتها لتمهد فراشه، وتسعى في حوائجه بالليل والنهار، فإذا فعلت ذلك وصلت ولايتك بولايتنا، وولايتنا بولاية الله»[2].

أقول: (يلبسه) أي كما يتقي الإنسان بالقميص مادياً كذلك يتقي بالمؤمن معنوياً، قال سبحانه: ﴿هن لباس لكم وأنتم لباس لهن﴾[3].

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في وصيته لمحمد ابن الحنيفة قال: «لا تضيعن حق أخيك اتكالاً على ما بينك وبينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه»[4].

وعن مسعدة بن صدقة، عن الصادق (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «للمؤمن على المؤمن سبعة حقوق واجبة من الله عزوجل، الإجلال له في غيبته، والود له في صدره، والمواساة له في ماله، وأن يحرم غيبته، وأن يعوده في مرضه، وأن يشيع جنازته، وأن لا يقول فيه بعد موته إلاّ خيراً»[5].

أقول: (الإجلال) أي يجله ويرفعه عن النقائص من ذكر له بسوء أو

---

(١) الأصول: ص٤٩٤.

(٢) الأصول: ص٣٩٩.

(٣) سورة البقرة: ١٨٧.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٤٨.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٥٠.

حدوث مشكلة له أو لعائلته أو ما أشبه ذلك.

وعن إبراهيم بن العباس، قال: ما رأيت الرضا (عليه السلام) جفا أحداً بكلمة قط، ولا رأيته قطع على أحد كلامه حتى يفرغ منه، وما رد أحداً عن حاجة يقدر عليها، ولا مد رجله بين يدي جليس له قط، ولا اتكأ بين يدي جليس له قط، ولا رأيته شتم أحداً من مواليه ومماليكه قط، ولا رأيته تفل قط، ولا رأيته تقهقه في ضحكه قط، بل كان ضحكه التبسم» الحديث[1].

وعن داود بن حفص، قال: كنا عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ عطس، فهممنا أن نسمته، فقال: «ألا سمتم، إن من حق المؤمن على أخيه أربع خصال، إذا عطس أن يسمته، وإذا دعا أن يجيبه، وإذا مرض أن يعوده، وإذا توفي شيع جنازته»[2].

وعن أبان بن تغلب، قال: كنت أطوف مع أبي عبد الله (عليه السلام) فعرض لي رجل من أصحابنا كان سألني الذهاب معه في حاجته (حاجتي)، فأشار إليّ، فرآه أبو عبد الله (عليه السلام) فقال: «يا أبان إياك يريد هذا، قلت: نعم، قال: «هو على مثل ما أنت عليه»، قلت: نعم، قال: «فاذهب إليه واقطع الطواف»، قلت: وإن كان طواف الفريضة، قال: «نعم»، قال: فذهبت معه، ثم دخلت عليه بعد فسألته عن حق المؤمن، فقال: «دعه لا ترده»، فلم أزل أرد عليه، قال: «يا أبان تقاسمه شطر مالك»، ثم نظر إليّ فرأي ما دخلني فقال: «يا أبان أما تعلم أن الله قد ذكر المؤثرين على أنفسهم»، قلت: بلى، قال: «إذا أنت قاسمته فلم تؤثره، إنما تؤثره إذا أنت أعطيته من النصف الآخر»[3].

أقول: (فلم أزل) تقدم وجهه فيما سبق (فلم تؤثره) لا يخفى أن العطاء نوع من الإيثار، لأن المعطي يرفع يده عن الشيء لأنه يرجح الغير على نفسه،

---

(١) عيون الأخبار: ص٣١١.

(٢) مصادقة الإخوان: ص١٠.

(٣) مصادقة الإخوان: ص١٠.

وإنما ذكر الإمام (عليه السلام) الفرد البالغ من الإيثار.

وعن مرازم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال: «ما أقبح بالرجل أن يعرف أخوه حقه ولا يعرف حق أخيه»[1].

وعن حفص بن غياث، يرفعه إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «المؤمن مرآة أخيه يميط عنه الأذى»[2].

أقول: (الأذى) المادي في جسده وداره وما أشبه، والمعنوي بأن يدافع عنه لرفع ما يشينه في المجتمع.

وعن عبد الله بن مسكان، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، إنه قال: «أحب أخاك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، إذا احتجت فسله، وإذا سألك فأعطه، ولا تدخر عنه خيراً فإنه لا يدخر عنك، كن له ظهراً فإنه لك ظهر، إن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فزره، وأجله وأكرمه فإنه منك وأنت منه، وإن كان عليك عاتباً فلا تفارقه حتى تسل سخيمته وما في نفسه، فإذا أصابه خير فاحمد الله، وإن ابتلي فاعضده وتمحل له»[3].

أقول: (تمحل) أي اعمل المحال، والمراد كل ما بوسعك وإن كان ذلك صعباً جداً، لأجل رفع ابتلائه.

وعن يونس بين ظبيان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن من حبس حق المؤمن أقامه الله مائة عام على رجليه حتى يسيل من عرقه أودية، ثم ينادي مناد من عند الله جل جلاله: هذا الظالم الذي حبس عن الله حقه، قال: فيوبخ أربعين عاماً، ثم

---

(١) مصادقة الإخوان: ص١٤.

(٢) مصادقة الإخوان: ص١٤.

(٣) المجالس: ص١٩٥.

يؤمر به إلى نار جهنم»[1].

أقول: ذكرنا في بعض مباحث الأصول أن العقوبات الواردة إنما هي بموازين الآخرة مما لا ندرك خصوصياتها أصلاً، كما لا ندرك خصوصيات المثوبات (ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر)، وقد ورد في القرآن الحكيم: ﴿فلا يجزى إلاّ مثلها﴾[2]، و﴿جزاءً وفاقاً﴾[3]، إلى غيرهما، فالاستغراب من كثرة العقاب لأجل أشياء لا يدرك العرف النسبة بينها وبين تلك العقوبات في غير مورده، والحاصل إن الجزاء وفاق، وحقيقة ما في الآخرة لا تدرك، لأنه عالم خارج عن إدراكنا، كخروج عالم خارج الرحم عن إدراك الجنين الذي في الرحم.

وعن الحرث الهمداني، عن علي (عليه السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «إن للمسلم على أخيه من المعروف ستاً، يسلم عليه إذا لقيه، ويعوده إذا مرض، ويسمته إذا عطس، ويشهده إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويحب له ما يحب لنفسه، ويكره ما يكره لنفسه»[4].

وعن محمد بن مسلم، قال: أتاني رجل من أهل الجبل فدخلت معه على أبي عبد الله (عليه السلام)، فقال له عند الوداع: أوصني، فقال: «أوصيك بتقوى الله وبرّ أخيك المسلم، وأحب له ما تحب لنفسك، واكره له ما تكره لنفسك، وإن سألك فأعطه، وإن كف عنك فأعرض عليه، لا تمله خيراً فإنه لا يملّك، وكن له عضداً فإنه لك عضد، وإن وجد عليك فلا تفارقه حتى تسل سخيمته، وإن غاب فاحفظه في غيبته، وإن شهد فاكنفه واعضده ووازره وأكرمه ولاطفه فإنه منك وأنت منه»[5].

---

(١) الخصال: ج١ ص١٥٩.

(٢) سورة الأنعام: ١٦٠، سورة غافر: ٤٠.

(٣) سورة النبأ: ٢٦.

(٤) أمالي ابن الشيخ: ص٣٠٤.

(٥) أمالي ابن الشيخ: ص٥٩.

وعن علي بن عثمان بن رزين، عمن رواه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «ست خصال من كن فيه كان بين يدي الله وعن يمينه، إن الله يحب المرء المسلم الذي يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ويكره له ما يكره لنفسه، ويناصحه الولاية، ويعرف فضلي، ويطأ عقبي، وينظر عاقبتي»[1].

أقول: (يطأ عقبي) أي يضع رجله مكان رجلي وهو كناية عن الاتباع الكامل.

(ينظر) أي يفكر في أن أعمالي كيف كانت عاقبتها من الثواب في الآخرة والذكر الحسن في الدنيا، إلى غير ذلك، فإنه إذا فكر في ذلك كانت الشدائد المترتبة على عمله كعملي سهلة عليه.

وعن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «للمسلم على أخيه ثلاثون حقاً، لا براءة له منها إلاّ بالأداء أو العفو، يغفر زلته، ويرحم عبرته ويستر عورته، ويقيل عثرته، ويقبل معذرته، ويرد غيبته، ويديم نصيحته، ويحفظ خلته، ويرعى ذمته، ويعود مرضته، ويشهد ميتته، ويجيب دعوته، ويقبل هديته، ويكافؤ صلته، ويشكر نعمته، ويحسن نصرته، ويحفظ حليلته، ويقضي حاجته، ويشفع مسألته، ويسمت عطسته، ويرشد ضالته، ويرد سلامه، ويطيب كلامه، ويبر إنعامه، ويصدق أقسامه، ويوالي وليه ولا يعاديه، وينصره ظالماً ومظلوماً، فأما نصرته ظالماً فيرده عن ظلمه، وأما نصرته مظلوماً فيعينه على أخذ حقه ولا يسلمه ولا يخذله، ويحب له من الخير ما يحب لنفسه، ويكره له من الشر ما يكره لنفسه»، ثم قال (عليه السلام): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «إن أحدكم ليدع من حقوق أخيه شيئاً فيطالبه به يوم القيامة فيقضي له وعليه»[2].

أقول: (يرعى ذمته) أي إذا كان المؤمن على ذمته شيء أداه، لا أن ينكره، أو المراد إن كان في ذمة المؤمن شيء سعى لأن يتمكن من أدائه، (له) أي لذي الحق،

(١) المحاسن: ص٩.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٥٠.

(وعليه) أي على من ضيع الحق لا أن الله يتداركه بدون أخذه من المضيع.

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام): «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أمرهم بسبع ونهاهم عن سبع، أمرهم بعيادة المرضى واتباع الجنائز وإبرار القسم وتسميت العاطس ونصرة المظلوم وإفشاء السلام وإجابة الداعي» الحديث[1].

فصل في ما يتأكد استحبابه من حق العالم

عن سليمان بن جعفر الجعفري، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إن من حق العالم أن لا يكثر عليه السؤال، ولا تأخذ بثوبه، وإذا دخلت عليه وعنده قوم فسلم عليهم جميعاً وخصه بالتحية، واجلس بين يديه ولا تجلس خلفه، ولا تغمز بعينك ولا تشر بيدك، ولا تكثر من القول قال فلان وقال فلان خلافاً لقوله، ولا تضجر بطول صحبته، فإنما مثل العالم مثل النخلة تنتظرها متى يسقط عليك منها شيء، وإن العالم أعظم أجراً من الصائم القائم الغازي في سبيل الله»[2].

وعن علي (عليه السلام)، قال: «من حق العالم أن لا تكثر عليه السؤال، ولا تسبقه في الجواب، ولا تلح إذا أعرض، ولا تأخذ بثوبه إذا كسل، ولا تشر إليه بيدك، ولا تغمز بعينك، ولا تساره في مجلسه، ولا تطلب عوراته، وأن لا تقول قال فلان خلاف قولك، ولا تفشي له سراً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تحفظ له شاهداً وغائباً، وأن تعم القوم بالسلام وتخصه بالتحية، وتجلس بين يديه، وإن كانت له حاجة سبقت القوم إلى خدمته، ولا تمل من طول صحبته، فإنما هو مثل النخلة فانتظر متى تسقط عليك منه منفعته، والعالم بمنزلة الصائم القائم المجاهد في سبيل الله، وإذا مات العالم انثلم في الإسلام ثلمة لا تسد

---

(١) قرب الإسناد: ص٣٤.

(٢) الأصول: ص١٨.

إلى يوم القيامة، وإن طالب العلم ليشيعه سبعون ألف ملك من مقربي السماء»[1].

أقول: (ولا تطلب عوراته) أي عوراته في علمه فإنه الخاص بالعالم، وإلا فطلب العورات غير صحيح، ويحتمل أن يراد مطلقاً بقرينة (ولا تفشي له سراً) إلخ.

(لا تسد) إذا فرض العالم كبناء واحد من أوله إلى آخره، وسوره العلماء بمجموعهم، فإن كل عالم يذهب لا يأتي آخر مكانه، بل يبقى مكانه فارغاً، إن العالم الذي بعده هو من جملة نفس السور لا أنه مكان العالم السابق، مثلا المرتضى في مكان نفسه لا في مكان المفيد حتى يسد بالمرتضى (رحمه الله) مكان المفيد (رحمه الله) وهكذا.

فصل في استحباب التراحم والتزاور والألفة

عن شعيب العقرقوفي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول لأصحابه: «اتقوا الله وكونوا إخوة بررة متحابين في الله، متواصلين متراحمين، تزاوروا وتلاقوا وتذاكروا أمرنا وأحيوه»[2].

أقول: (التلاقي) أعم من (التزاور) لغة، وهنا أريد به في قباله.

وعن أبي المعزاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «يحق على المسلمين الاجتهاد في التواصل، والتعاون على التعاطف، والمواساة لأهل الحاجة، وتعاطف بعضهم على بعض حتى تكونوا كما أمركم الله عزوجل (رحماء بينهم) متراحمين مغتمين لما غاب عنهم من أمرهم، على ما مضى عليه معشر الأنصار على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله)»[3].

وعن كليب الصيداوي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «تواصلوا وتباروا وتراحموا

(١) الخصال: ج٢ ص٩٣.

(٢) الأصول: ص٣٩٦.

(٣) الأصول: ص٣٩٦.

وكونوا إخوة أبراراً كما أمركم الله عزوجل»[1].

أقول: تقدم الكلام في هذا الحديث.

وعن عبد الله بن يحيى الكاهلي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «تواصلوا وتباروا وتراحموا وتعاطفوا»[2].

أقول: احترام أحدهما الآخر تعاطف، وخدمته تراحم، وإعطاؤه المال ونحوه تبار، وذهابه إليه تواصل، وربما يطلق أحدها على الجميع إن لم تذكر متقابلات.

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث، قال: «رحم الله امرءاً ألف بين وليين لنا، يا معشر المؤمنين تآلفوا وتعاطفوا»[3].

وعن الحرث، عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله عزوجل رحيم يحب كل رحيم»[4].

فصل في استحباب قبول العذر

عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام) قال: «يا علي من لم يقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً لم ينل شفاعتي»[5].

أقول: (المتنصل) هو المعتذر يقال تنصل إذا أراد الخروج عن الإشكال الموجه إليه.

---

(١) الأصول: ص٣٩٦.

(٢) الأصول: ص٣٩٦.

(٣) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٥٢.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص٣٢٩.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٣٣.

وعن أمير المؤمنين (عليه السلام)، في وصيته لمحمد بن الحنفية، قال: «لا تصرم أخاك على ارتياب، ولا تقطعه دون استعتاب، لعل له عذراً وأنت تلوم به، اقبل من متنصل عذراً صادقاً كان أو كاذباً، فتنالك الشفاعة»[1].

أقول: (على ارتياب) أي لأنك شككت فيه فتقطع عنه، بل اللازم أن يكون القطع عنه لما ثبت له من الإثم يقيناً، في ما إذا كان ذلك الإثم مستحقاً للمقاطعة.

وعن علي بن جعفر، عن أبي الحسن، عن آبائه (عليهم السلام) في حديث: إن علي بن الحسين (عليه السلام) قال لولده: «إن شتمك رجل عن يمينك ثم تحول إليك عن يسارك فاعتذر إليك فاقبل عذره»[2].

فصل في استحباب التسليم والمصافحة عند الملاقاة والاستغفار عند التفرق

عن أبي عبيدة، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إذا التقى المؤمنان فتصافحا أقبل الله بوجهه عليهما وتحاتت الذنوب عن وجوههما حتى يفترقا»[3].

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أقبل الله عليهما بوجهه وتساقطت عنهما الذنوب كما يتساقط الورق من الشجر»[4].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول في حديث: «المؤمن

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٧.

(٢) الروضة: ص١٥٢.

(٣) الأصول: ص٤٠١.

(٤) الأصول: ص٣٩٩.

لا يوصف، وإن المؤمن ليلقى أخاه فيصافحه فلا يزال الله ينظر إليهما والذنوب تتحات عن وجوههما كما يتحات الورق عن الشجر»[1].

أقول: (لا يوصف) أي ليس قابلاً للوصف لما له من الكرامة والمنزلة عند الله سبحانه.

وعن يونس، عن رفاعة، قال: سمعته يقول: «مصافحة المؤمن أفضل من مصافحة الملائكة»[2].

أقول: المصافحة لها آثار خارجية كإزالة السخيمة على ما تقدم، ومن جهة الأجر، وكلاهما في مصافحة المؤمن أكثر، ولعل تعب الملائكة يزال بالمصافحة، فقد روي عن النبي (صلى الله عليه وآله) وهو أفضل من الملائكة: «وأنه يران على قلبي».

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «تصافحوا فإنها تذهب بالسخيمة»[3].

وعن أبي خالد القماط، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن المؤمنين إذا التقيا وتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما فتصافح أشدهما حباً لصاحبه»[4].

أقول: (يده) أي رحمته ولطفه، مثل: ﴿يد الله فوق أيديهم﴾[5] فكأنهم بايعوا الله سبحانه.

وعن مالك بن أعين الجهني، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أدخل الله يده بين أيديهما وأقبل بوجهه على أشدهما حباً لصاحبه، فإذا

---

(١) الأصول: ص٤٠٠.

(٢) الأصول: ص٤٠١.

(٣) الأصول: ص٤٠١.

(٤) الأصول: ص٣٩٩.

(٥) سورة الفتح: ١٠.

أقبل الله بوجهه عليهما تحاتت عنهما الذنوب كما يتحات الورق من الشجر»[1].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا لقي أحدكم أخاه فليسلم عليه وليصافحه، فإن الله عزوجل أكرم بذلك الملائكة فاصنعوا صنع الملائكة»[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا لقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار»[3].

وعن ابن قداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لقي النبي (صلى الله عليه وآله) حذيفة فمد النبي (صلى الله عليه وآله) يده وكف حذيفة يده، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): يا حذيفة بسطت يدي إليك فكففت يدك عني، فقال حذيفة: يا رسول الله بيدك الرغبة ولكني كنت جنباً فلم أحب أن تمس يدك وأنا جنب، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): أما تعلم أن المسلمين إذا التقيا فتصافحا تحاتت ذنوبهما كما يتحات ورق الشجر»[4].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث: «لا يقدر قدر المؤمن، إنه ليلقى أخاه فيصافحه فينظر الله إليهما والذنوب تتحات عن وجوههما حتى يفترقا كما تتحات الريح الشديدة الورق من الشجر»[5].

أقول: (لا يقدر) لما له من عظيم المنزلة، فلا يمكن تقديره كم هو، وهو مثل ما تقدم: (لا يوصف).

وعن أبي عبيدة الحذاء، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «إن المؤمن إذا صافح المؤمن

---

(١) الأصول: ص٣٩٩.

(٢) الأصول: ص٤٠٠. مصادقة الإخوان: ص٣٠.

(٣) الأصول: ص٤٠٠.

(٤) الأصول: ص٤٠١.

(٥) الأصول: ص٤٠١.

تفرقا من غير ذنب»[1].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «أول اثنين تصافحا على وجه الأرض ذو القرنين، وإبراهيم الخليل استقبله إبراهيم (عليه السلام) فصافحه»[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا تلاقيتم فتلاقوا بالتسليم والتصافح، وإذا تفرقتم فتفرقوا بالاستغفار»[3].

وعن مالك بن أعين الجهني، قال: أقبل إليّ أبو عبد الله (عليه السلام) فقال: «أنتم والله شيعتنا» إلى أن قال: «لا يقدر أحد أن يصف حق المؤمن ويقوم به مما أوجب الله على أخيه المؤمن، والله يا مالك إن المؤمنين ليلتقيان فيصافح كل واحد منهما صاحبه، فما يزال الله ناظراً إليهما بالمحبة والمغفرة، وإن الذنوب لتحات عن وجوههما وجوارحهما حتى يفترقا، فمن يقدر على صفة الله، وصفة من هو هكذا عند الله»[4].

وعن الحسن بن محمد الديلمي في (الإرشاد)، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «مصافحة المؤمن بألف حسنة»[5].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سألته عن حد المصافحة، فقال: «دور نخلة»[6].

وعن أبي عبيدة، قال: كنت زميل أبي جعفر (عليه السلام) وكنت أبدأ بالركوب ثم

---

(١) الخصال: ج١ ص١٤.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص١٣٤.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص١٣٤.

(٤) المحاسن: ص١٤٣.

(٥) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٥٧.

(٦) الأصول: ص٤٠٠.

يركب هو فإذا استوينا سلم وسائل مسائلة رجل لا عهد له بصاحبه وصافح، قال: وكان إذا نزل نزل قلبي فإذا استويت أنا وهو على الأرض سلم وسائل مسائلة من لا عهد له بصاحبه، فقلت: يا بن رسول الله إنك لتفعل شيئاً ما يفعله من قبلنا وإن فعل مرة فكثير، فقال: «أما علمت ما في المصافحة، إن المؤمنين يلتقيان فيصافح أحدهما صاحبه فما تزال الذنوب تتحات عنهما كما يتحات الورق عن الشجر، والله ينظر إليهما حتى يفترقا»[1].

وعن أبي حمزة، قال: زاملت أبا جعفر (عليه السلام) فحططنا الرحل ثم مشى قليلاً ثم جاء فأخذ يدي فغمزها غمزة شديدة، فقلت جعلت فدك: أو ما كنت معك في المحمل، فقال: «أو ما علمت أن المؤمن إذا جال جولة ثم أخذ بيد أخيه نظر الله إليهما بوجهه، فلم يزل مقبلاً عليهما بوجهه ويقول للذنوب: تتحات عنهما، فتتحات يا أبا حمزة كما يتحات الورق من الشجر، فيفترقان وما عليهما من ذنب»[2].

أقول: لعل هذا الحديث سبب ما يتعارف من المصافحة بعد إتمام الصلاة في الجماعة لوحدة الملاك، فإن الإقبال على الله ابتعاد عن جليسه فهو معنوي والجسدي مادي.

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ينبغي للمؤمنين إذا توارى أحدهما عن صاحبه شجرة ثم التقيا أن يتصافحا»[3].

وعن رزين، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان المسلمون إذا غزوا مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومروا بمكان كثير الشجر ثم خرجوا إلى الفضاء نظر بعضهم

---

(١) الأصول: ص٣٩٨.

(٢) الأصول: ص٣٩٩.

(٣) الأصول: ص٤٠٠.

إلى بعض فتصافحوا»[1].

وعن علي (عليه السلام) في حديث الأربعمائة، قال: «إذا لقيتم إخوانكم فتصافحوا وأظهروا لهم البشاشة والبشر، تتفرقوا وما عليكم من الأوزار قد ذهب، صافح عدوك وإن كره فإنه مما أمر الله عزوجل عباده يقول: ادفع بالتي هي أحسن السيئة، الآيتين»[2].

أقول: (البشاشة) الانفتاح في الوجه في قبال الانقباض، و(البشر) السرور في قبال الحزن، فربما يبشر الإنسان لكن يظهر على ملامحه الحزن، فبينهما عموم من وجه مصداقاً، وإن تباينا مفهوماً.

فصل في آداب استقبل القادم وتشييعه

عن يوسف بن محمد بن زياد، عن أبيه، عن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما جاء جعفر بن أبي طالب من الحبشة قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطية (خطوة خ ل) وعانقه وقبل ما بين عينيه» إلى أن قال: «وبكي فرحاً برؤيته»[3].

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من حق الضيف أن تمشي معه فتخرجه من حريمك إلى الباب»[4].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): من قام من مجلسه تعظيماً لرجل، قال: «مكروه إلا لرجل في الدين»[5].

أقول: (في الدين) سواء كان عالماً أو عابداً أو لأجل أخذ

(١) الأصول: ص٤٠٠.

(٢) الفقيه: ج٢ ص١٦٨.

(٣) عيون الأخبار: ص١٤٠.

(٤) عيون الأخبار: ص٢٢٧.

(٥) المحاسن: ص٢٣٣.

المال منه للفقراء والمساجد وما أشبه.

وعن الحسن بن الفضل الطبرسي في (مكارم الأخلاق)، قال: دخل على النبي (صلى الله عليه وآله) رجل المسجد وهو جالس وحده فتزحزح له، وقال: «إن من حق المسلم على المسلم إذا أراد الجلوس أن يتزحزح له»[1].

وروي أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «من أحب أن تمثل له الرجال قياماً فيتبوأ مقعده من النار»[2].

أقول: الظاهر أن المراد من باب الكبر، وإلاّ فمجرد حب القلب لا عقاب عليه، كما ثبت في بحث التجري، فكبره الذي أورث هذا الحب هو المأخوذ عليه.

فصل في تقبيل البساط بين يدي الكبراء والترجل لهم

عن صفوان بن يحيى، قال: سألني أبو قرة صاحب الجاثليق أن أوصله إلى الرضا (عليه السلام)، فاستأذنته في ذلك، فقال: «أدخله علي»، فلما دخل عليه قبّل بساطه وقال: هكذا علينا في ديننا أن نفعل بأشراف زماننا، الحديث[3].

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام) وقد لقاه عند مسيره إلى الشام دهاقين أهل الأنبار فترجلوا له واشتدوا بين يديه: «ما هذا الذي صنعتموه»، قالوا: خلق نعظم به أمراءنا، فقال (عليه السلام): «والله ما ينتفع بهذا أمراؤكم، وإنكم لتشقون به على أنفسكم، وتشقون به في آخرتكم، فما أخسر المشقة وراها العقاب، وما أربح الدعة معها الأمان من النار»[4].

أقول: هذا العمل يوجب إذلال الرعية وتكبر الراعي ولذا حرم، بينما

---

(١) مكارم الأخلاق: ص١٥.

(٢) مكارم الأخلاق: ص١٥.

(٣) عيون الأخبار: ص٣٤٤.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥١.

في الإسلام المؤمنون إخوة.

فصل في حجب المؤمن

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قلت له: جعلت فداك ما تقول في مسلم أتى مسلماً وهو في منزله فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج إليه، قال: «يا أبا حمزة أيما مسلم أتى مسلماً زائراً أو طالب حاجة وهو في منزله فاستأذن عليه فلم يأذن له ولم يخرج إليه لم يزل في لعنة الله حتى يلتقيا»، قلت: جعلت فداك في لعنة الله حتى يلتقيا، قال: «نعم»[1].

أقول: هذا إذا لم يكن لعدم الخروج عذر شرعي كما لا يخفى.

وعن إسحاق بن عمار، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) فنظر إليّ بوجه قاطب، فقلت: ما الذي غيرك لي، قال: «الذي غيرك لإخوانك، بلغني يا إسحاق أنك أقعدت ببابك بواباً يرد عنك فقراء الشيعة»، فقلت: جعلت فداك إني خفت الشهرة، قال: «أفلا خفت البلية، أو ما علمت أن المؤمنين إذا التقيا فتصافحا أنزل الله عزوجل الرحمة عليهما، فكانت تسعة وتسعين لأشدهما حباً لصاحبه، فإذا توافقا غمرتهما الرحمة، وإذا قعدا يتحادثان قالت الحفظة بعضها لبعض: اعتزلوا بنا لعل لهما سراً وقد ستر الله عليهما»، فقلت: أليس الله عزوجل يقول: ﴿ما يلفظ من قول إلاّ لديه رقيب عتيد﴾[2]، فقال: «يا إسحاق إن كانت الحفظة لا تسمع فإن عالم السر يسمع ويرى»[3].

أقول: (فقلت) سئل عن أنه كيف يتنحى الملك وهو الموكل بكتابة كل لفظ، فأجاب الإمام (عليه السلام) بأن هذا المورد مستثنى، وأن الله سبحانه هو السامع وكفى به محاسباً.

---

(١) الأصول: ص٤٧٥.

(٢) سورة ق: ١٨.

(٣) الأصول: ص٤٠٠.

وعن محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أيما مؤمن كان بينه وبين مؤمن حجاب ضرب الله بينه وبين الجنة سبعين ألف سور، من السور إلى السور مسيرة ألف عام»[١].

أقول: (حجاب) حجبه في غير حق.

وعن محمد بن سنان، قال: كنت عند الرضا (عليه السلام)، ثم ذكر حديثاً طويلاً مضمونه: إن ثلاثة من بني إسرائيل حجبوا مؤمناً ولم يأذنوا له ثم صحبوه فنزلت نار من السماء فأحرقتهم وبقي هو[٢].

وعن أبي الحسن موسى الرضا (عليه السلام) قال: «المؤمن أخو المؤمن لأبيه وأمه، ملعون ملعون من اتهم اخاه، ملعون ملعون من غش أخاه، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه، ملعون ملعون من احتجب عن أخيه، ملعون ملعون من اغتاب أخاه»[٣].

أقول: (لأبيه وأمه) أي بهذه المنزلة.

فصل في استحباب المعانقة للمؤمن والمساءلة له

عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام) قالا: «أيما مؤمن خرج إلى أخيه يزوره عارفاً بحقه، كتب الله له بكل خطوة حسنة، ومحيت عنه سيئة، ورفعت له درجة، فإذا طرق الباب فتحت له أبواب السماء، فإذا التقيا وتصافحا وتعانقا أقبل الله عليهما بوجهه ثم باهى بهم الملائكة فيقول: انظروا إلى عبدَيّ تزاورا وتحابا في، حق علي أن لا أعذبهما بالنار بعد ذلك الموقف»[٤].

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن المؤمنين إذا اعتنقا غمرتهما

---

(١) الأصول: ص٤٧٥. عقاب الأعمال: ص٢٣.

(٢) الأصول: ص٤٧٥.

(٣) عدة الداعي: ص١٣١.

(٤) الأصول: ص٤٠١.

الرحمة، فإذا التزما لا يريدان بذلك إلاّ وجه الله ولا يريدان غرضاً من أغراض الدنيا، قيل لهما: مغفور لكما فاستأنفا، فإذا أقبلا على المساءلة قالت الملائكة بعضها لبعض: تنحوا عنهما فإن لهما سراً وقد ستره الله عليهما» الحديث[1].

أقول: (التزاما) شد بعضهما ببعض وهو غير المعانقة.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث إنه قال له: «لا تمل من زيارة إخوانك، فإن المؤمن إذا لقي أخاه فقال له: مرحباً، كتب له مرحباً إلى يوم القيامة، فإذا صافحه أنزل الله فيما بين إبهامهما مائة رحمة، تسعة وتسعون منها لأشدهما حباً لصاحبه، ثم أقبل الله عليهما بوجهه فكان على أشدهما حباً لصاحبه أشد إقبالاً، فإذا تعانقا غمرتهما الرحمة»[2]، ثم ذكر بقية الحديث نحو الحديث السابق.

أقول: (كتب له مرحباً) فإن هذا القول يوجب الثواب، فإذا استمر إلى يوم القيامة كان ثوابه عظيماً، ويحتمل أن يكون دعاءً، أي يدعون له دائماً بالرحب والسعة في الدنيا والآخرة.

فصل في استحباب تقبيل المؤمن

عن علي بن جعفر، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «من قبّل الرحم ذا قرابة فليس عليه شيء، وقبلة الأخ على الخدود، وقبلة الإمام بين عينيه»[3].

أقول: هذه على وجه الأولوية لا اللزوم، فإطلاق الأدلة شامل لغير ذلك أيضاً، ويؤيده عدم خصوصية بين العينين لقبلة الإمام.

---

(١) الأصول: ص٤٠١.

(٢) ثواب الأعمال: ص٨٠.

(٣) الأصول: ص٤٠٢.

عن الصباح مولى آل سام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ليس القبلة على الفم إلاّ للزوجة والولد الصغير»[1].

أقول: تقدم وجهه في الحديث السابق، فكلما لم يكن محرماً من جهة الملامسة أو إثارة الشهوة المحرمة كان جائزاً.

وعن رفاعة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا يقبل رأس أحد ولا يده إلاّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) أو من أريد به رسول الله (صلى الله عليه وآله)»[2].

وعن علي بن مزيد صاحب السابري، قال: دخلته على أبي عبد الله (عليه السلام) فتناولت يده فقبلتها، فقال: «أما إنها لا تصلح إلاّ لنبي أو وصي نبي»[3].

أقول: تقدم وجه الكلام فيه ولذا لم نذهب إلى الحرمة، ووصي النبي (عليهما السلام) شامل للعلماء الذين هم على طريق الأنبياء كما في حديث شريح في باب القضاء.

وعن يونس بن ظبيان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن لكم لنوراً تعرفون به في الدنيا حتى أن أحدكم إذا لقي أخاه قبله في موضع النور من جبهته»[4].

وعن أحمد بن إبراهيم بن إدريس، عن أبيه، قال: رأيته يعني صاحب الزمان (عليه السلام) بعد مضي أبي محمد (عليه السلام) حين أيفع وقبلت يديه ورأسه[5].

وعن على بن جعفر في كتابه عن أخيه (عليه السلام)، قال: سألته عن الرجل أيصلح له أن يقبل الرجل أو المرأة، قال: «الأخ والابن والأخت والابنة ونحو ذلك فلا بأس»[6].

---

(١) الأصول: ص٤٠٢.

(٢) الأصول: ص٤٠٢.

(٣) الأصول: ص٤٠٢.

(٤) الأصول: ص٤٠٢.

(٥) الأصول: ص١٧٢.

(٦) بحار الأنوار: ج١٠ ص٢٨٠.

فصل في كراهة التكفير للناس

عن يعقوب بن جعفر بن إبراهيم، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في حديث: إن رجلاً قص عليه قصة طويلة وهو قائم وأبلغه سلام رجل كافر، ثم قال الرجل: إن أذنت لي يا سيدي كفّرت لك وجلست، فقال: «آذن لك أن تجلس ولا آذن لك أن تكفر»، فجلس ثم قال: اردد على صاحبي السلام أو ما تُرَدّ السلام، فقال: «على صاحبك إن هداه الله، فأما التسليم فذاك إذا صار في ديننا»[١].

أقول: (كفرت) أي وضعت إحدى يدي على يدي الأخرى، و(إذا صار) من باب الفضيلة، وقد تقدم الكلام فيه في السلام على الكافر.

فصل في المراء والخصومة

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إياكم والمراء والخصومة، فإنهما يمرضان القلوب على الإخوان وينبت عليهما النفاق»[٢].

أقول: (الخصومة) ولو بدون المراء، كما إذا كانت خصومته لأجل التفاف الناس حوله أو ما أشبه ذلك.

وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «ثلاث من لقي الله بهن دخل الجنة من أي باب شاء، من حسن خلقه، وخشي الله في المغيب والمحضر، وترك المراء وإن كان محقاً»[٣].

وعن عمار بن مروان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تمارين حليماً ولا سفيهاً، فإن

---

(١) الأصول: ص٢٦٢.

(٢) الأصول: ص٤٥١.

(٣) الأصول: ص٤٥١.

الحليم يقليك والسفيه يؤذيك»[1].

وعن عنبسة العابد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إياكم والخصومة، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق وتكسب الضغاين»[2].

وعن معروف بن خربوذ، عن علي بن الحسين (عليه السلام) إنه كان يقول: «ويل أمة فاسقاً من لا يزال ممارياً، وويل أمة فاجراً من لا يزال مخاصماً، وويل أمة آثماً من كثر كلامه في غير ذات الله»[3].

أقول: (فاسقاً) ونحوه تمييز، أي من جهة كونه فاسقاً فالويل له، (غير ذات الله) أي غير المرتبط به سبحانه لا التكلم في ذاته فإن ذلك ممنوع شرعاً.

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أنا زعيم ببيت في أعلى الجنة وبيت في وسط الجنة وبيت في رياض الجنة لمن ترك المراء وإن كان محقاً»[4].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «من ضن بعرضه فليدع المراء»[5].

أقول: أي أراد أن يحفظ عرضه عن تكلم الناس والوقوع فيه، وذلك لأن المراء يوجب العداوة تسبب تكلم الأعداء على الإنسان فيستبيحون عرضه.

---

(١) الأصول: ص٤٥١.

(٢) الأصول: ص٤٥١.

(٣) الأصول: ص٣٩١.

(٤) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٦٨.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني: ص٢٣٠.

فصل في اجتناب شحناء الرجال وعداوتهم

عن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما كاد جبرئيل يأتيني إلاّ قال: يا محمد اتق شحناء الرجال وعداوتهم»(١).

وعن الوليد بن صبيح، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما عهد إليّ جبرئيل في شيء ما عهده إليّ في معاداة الرجال»(٢).

أقول: أي كما حذرني من معاداتهم، وذلك لأن العداوة تبدأ صغيرة وتنتهي أحياناً إلى سقوط الدولة والأمة.

وعن الحسن بن الحسين الكندي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال جبرئيل (عليه السلام) للنبي (صلى الله عليه وآله): «إياك وملاحاة الرجال»(٣).

أقول: (ملاحاة) من (لحى) وهو جلد الشجر، كأن كل واحد من المتلاحيين يقلع جلد صاحبه.

وعن عبد الرحمن بن سيابة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إياكم والمشادة، فإنها تورث المعرة وتظهر العورة»(٤).

أقول: (المعرة) العيب والنقص، و(العورة) نقائص الإنسان المستورة.

وعن أحمد بن أبي عبد الله، عن بعض أصحابه رفعه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من زرع العداوة حصد ما بذر»(٥).

أقول: فإن عمل الإنسان مهما كان بذر يبذره وهو لابد من أن يثمر

---

(١) الأصول: ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٢) الأصول: ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٣) الأصول: ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٤) الأصول: ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٥) الأصول: ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

عاجلا أو آجلا.

وعن محمد بن مهران، عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما أتاني جبرئيل قط إلاّ وعظني، فآخر قوله لي: إياك ومشادة الناس فإنها تكشف العورة وتذهب بالعز»[1].

وعن مسمع بن عبد الملك، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «ألا أن في التباغض الحالقة، لا أعني حالقة الشعر ولكن حالقة الدين»[2].

أقول: كما أن الموسى تحلق الشعر وتزيله نهائياً، كذلك التباغض بالنسبة إلى الدين، حيث إن البغضاء توجب وقوع الإنسان في معاص عديدة طلباً للغلبة على صاحبه، وفي ذلك قتل الأبرياء وهتك الأعراض وذهاب الأموال وأحياناً يسري إلى العقيدة أيضاً.

وعن أبي جعفر محمد بن علي بن الحسين، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كثر همه سقم بدنه، ومن ساء خلقه عذب نفسه، ومن لاحى الرجال سقطت مروته»، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لم يزل جبرئيل (عليه السلام) ينهاني عن ملاحاة الرجال، كما نهاني عن شرب الخمر وعبادة الأوثان»[3].

أقول: (سقم بدنه) لعله إرشاد إلى التقليل من الهمّ لا مجرد الإخبار، (عذب نفسه) فإن سيء الخلق إما في عذاب أنه لم ينجح مقصده، وإما في عذاب ما حدث له من رد فعل الناس نحوه، بخلاف حسن الخلق حيث إنه سمح لا يهتم إذا لم ينجح مقصده، كما لا يسيء إلى الناس حتى يكون لهم رد الفعل نحوه، (مروته) حيث إنه يجادل مع الناس، والناس يكرهونه ويزدرون به، لم تكن له

---

(١) الأصول: ص٤٥١ ـ ٤٥٢.

(٢) الأصول: ص٤٦٨.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص٣٢٦.

مروة ورجولة كما أن الناس لا يرون له ذلك.

فصل في المكر والحسد والغش والخيانة

عن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان مسلماً فلا يمكر ولا يخدع، فإني سمعت جبرئيل يقول: إن المكر والخديعة في النار»، ثم قال: «ليس منا من غش مسلماً، وليس منا من خان مسلماً»، ثم قال: «إن جبرئيل الروح الأمين نزل عليّ من عند رب العالمين فقال: يا محمد عليك بحسن الخلق، فإن سوء الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة، ألا وأن أشبهكم بي أحسنكم خلقاً»[1].

أقول: تقدم الكلام في الفرق بين المكر والخدعة فإن الثاني العمل على خلاف الظاهر، كمن يقول للآخر: آخذ بنتك لولدي، ثم لم يأخذها وقد ذهب وقت زواجها، والأول التوصل إلى المقصود بأسباب غير شريفة مخفية، كما إذا خطب بنته زيد فذهب إليه خفية وذكر له من المعائب ما رغبه عنها، فإنه مكر وليس بخدعة، (ذهب) أي سبب ذهاب الخيرين عن يد سيء الخلق.

وعن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام)، إنه كان يقول: «المكر والخديعة في النار»[2].

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ليس منا من ماكر مسلماً»[3].

وعن هشام بن سالم رفعه، قال: قال علي (عليه السلام): «لولا أن المكر والخديعة في

---

(١) المجالس: ص١٦٣.

(٢) عقاب الأعمال: ص١٢.

(٣) عقاب الأعمال: ص٤٠، الأصول: ص٤٦٥.

النار لكنت أمكر الناس»[1].

وعن ذاذان، قال: سمعت علياً (عليه السلام) يقول: «لولا أني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: إن المكر والخديعة والخيانة في النار، لكنت أمكر العرب»[2].

وعن عبد الرحمن بن أبي نجران، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام)، عن قول الله عزوجل: ﴿ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض﴾[3] قال: «لا يتمنى الرجل امرأة الرجل ولا ابنته ولكن يتمنى مثلها»[4].

أقول: (ابنته) أي لو كانت له تلك البنت، فإن مثل هذه الأمنية لا تنتج غير التحسر واشتغال القلب، بخلاف ما إذا تمنى مثل زوجته أو بنته حيث ذلك ممكن إذا سعى وتفضل الله عليه، وما ذكره (عليه السلام) من باب المثال كما هو واضح.

فصل في تحريم الكذب

عن فضيل بن يسار، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن أول من يكذب الكذاب، الله عزوجل ثم الملكان اللذان معه، ثم هو يعلم أنه كاذب»[5].

وعن عمر بن يزيد، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الكذاب يهلك بالبينات، ويهلك أتباعه بالشبهات»[6].

أقول: (بالبينات) لأنه يعلم كذب نفسه، أما أتباعه فلا يعلمون بل يشكون، واتباعهم مع الشبهة والشك هلاك لهم، قال سبحانه: ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم﴾[7].

---

(١) عقاب الأعمال: ص٤٠، الأصول: ص٤٦٥.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤٠.

(٣) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٧١.

(٤) سورة النساء: ٣٢.

(٥) الأصول: ص٤٦٦. المحاسن: ص١١٨.

(٦) الأصول: ص٤٦٦.

(٧) سورة الإسراء: ٣٦.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الله عزوجل جعل للشر أقفالاً، وجعل مفاتيح تلك الأقفال الشراب، والكذب شر من الشراب»[1].

أقول: إذا سكر الشخص يفعل الموبقات كالزنا واللواط والقتل وإتلاف أموال الناس إلى غير ذلك، فكأنها محبوسة في غرفة مقفولة بالعقل، فإذا شرب الخمر انفتحت الغرفة وظهر ما فيها.

أما أن الكذب شر فلأن الكذب شائع بين الناس ويوجب انفصام عرى الاجتماع، لأنه يسلب الثقة، وانهدام الاجتماع مبعث كل شر.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عمن ذكره، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن الكذب هو خراب الإيمان»[2].

وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال عيسى بن مريم (عليه السلام): «من كثر كذبه ذهب بهاؤه»[3].

وعن محمد بن سالم رفعه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ينبغي للرجل المسلم أن يجتنب مواخاة الكذاب، فإنه يكذب حتى يجيء بالصدق فلا يصدق»[4].

أقول: (فإنه) علة الاجتناب، إذ مواخاة الإنسان لشخص لا يقبل صدقه عند الناس شين له.

وعن عبيد بن زرارة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن مما أعان الله به على الكذابين النسيان»[5].

وأقول: (على الكذابين) أي على فضحهم، وقد جعل الله سبحانه ذلك من

(١) الأصول: ص٤٦٥. عقاب الأعمال: ص٢٥.

(٢) الأصول: ص٤٦٦.

(٣) الأصول: ص٤٦٦.

(٤) الأصول: ص٤٦٦.

(٥) الأصول: ص٤٦٦.

طبيعة الإنسان أن لا يبقى في ذهنه إلاّ الواقعيات لا ما اختلقه من الأكاذيب.

وعن أبي إسحاق الخراساني، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «إياكم والكذب، فإن كل راج طالب وكل خائف هارب»[1].

أقول: (فإن كل راج) إذا رجى الإنسان ثواب الله طلب رضاه، وطلب الرضا لا يلائم الكذب الذي هو خلاف رضاه، كما إنه إذا خاف عقاب الله هرب من سخطه، والهروب من السخط لا يلائم الكذب الذي فيه سخطه.

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول: «إن العبد ليكذب حتى يكتب من الكذابين، فإذا كذب قال الله عزوجل: كذب وفجر»[2].

أقول: إذا تعدى في الكذب كان فجوراً، وقد تقدم أن أصله الانفجار وخروج شيء عن شيء، كأنه انفجر بالكذب كانفجار الصخرة بالماء.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: من ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أربى الربا الكذب»[3].

أقول: إنما كان الكذب أربى الربا لأن الكذب أضر من الربا، فإن الربا يهدم الاجتماع بين الأغنياء والفقراء، بينما الكذب يهدم كل الاجتماع، فإن الفقراء هم المعطون للربا، أما الكذب فيرتكبه الفقير والغني، وبذلك ينهدم الاجتماع كلا من جميع أطرافه، لأنه يرفع الثقة وإذا ارتفعت الثقة لا يبقى الناس على وتيرة واحدة.

قال: وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «ألا فاصدقوا إن الله مع الصادقين، وجانبوا الكذب فإنه يجانب الإيمان، ألا وإن الصادق على شفا منجاة وكرامة، ألا وإن

---

(١) الأصول: ص٤٦٧.

(٢) المحاسن: ص١١٨.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٤٢.

الكاذب على شفا مخزاة وهلكة، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وصلوا أرحام من قطعكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم»[1].

أقول: (منجاة) فإن الصادق حيث يعرف الناس منه الصدق يكون محترماً عندهم وذلك موجب لنجاته، بخلاف الكاذب فإنه إذا ظهر كذبه ينهار احترامه عند المجتمع وفي ذلك هلاكه.

وعن ابن فضال رفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الكبر»[2].

أقول: هذا من باب التشبيه، أو أن له حقيقة بسيطة كالنور والهواء والجراثيم التي لها حقائق خفيفة، والنعاس إذا كان من جهة البطالة أو كثرة الأكل والشرب أو ما أشبه فهو مما يأمر به الشيطان وإن كان بنفسه غير اختياري، واللعوق للّسان، والسعوط للأنف، لأن الكبر ينسب إليه وإن كان مبعثه حقيقة النفس المتكبرة كسائر الصفات، كما أنه ربما ينسب شيء إلى القلب مع أن العضو الصنوبري لا شأن له في المبعثية، قال سبحانه: ﴿آثم قلبه﴾[3]، وقال: ﴿إلاّ أن تقطع قلوبهم﴾[4].

وعن عبد الله بن عجلان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن العبد إذا صدق كان أول من يصدقه الله، ونفسه تعلم أنه صادق، وإذا كذب كان أول من يكذبه الله، ونفسه تعلم أنه كاذب»[5].

---

(١) الفقيه: ج١ ص٧٦، علل الشرائع: ص٩٣.

(٢) معاني الأخبار: ص٤٦.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٣.

(٤) سورة التوبة: ١١٠.

(٥) ثواب الأعمال: ص٩٧.

فصل في شدة حرمة الكذب على الله

وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) وعلى الأئمة (عليهم السلام)

عن أبي النعمان، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «يا أبا النعمان لا تكذب علينا كذبة فتسلب الحنيفية، ولا تطلبن أن تكون رأساً فتكون ذنباً، ولا تستأكل الناس بنا فتفتقر، فإنك موقوف لا محالة ومسئول، فإن صدقت صدقناك، وإن كذبت كذبناك»[1].

أقول: (فتكون ذنباً) إن صحت النسخة كان معناه إن الرأس لابد وأن يكون تابعاً لأتباعه مدارياً لهم ليلتفوا حوله، فيكون في الحقيقة ذنباً وإن كان في المظهر رأساً.

وهذا في ما إذا لم يكن طلب الرئاسة واجباً عينياً أو كفائياً من جهة إرادة خدمة الإسلام والأنام، كما هو واضح.

(ولا تستأكل) قسم من الناس يجعلون الدين وسيلة للدنيا، فيريدون بصلاة جماعتهم أو منبرهم أو تعليمهم للناس الحصول على الشهرة والمال وما أشبه، وقسم يريدون وجه الله والدار الآخرة، وعلامة الأولين التطاول وعدم الاعتناء بالحرام والحلال والكبر والاستعلاء، كما أن علامة الآخرين مقابل كل ذلك، فالأول هو الاستئكال والثاني ليس منه وإن كان رزقه على الناس، لأنه لا مكسب له حيث لا وقت يبقى له للكسب.

وإنما يفتقر المستأكل لأنه كلما زاد مالاً زاد طلباً، فهو فقير النفس وإن كان غني المظهر، قال سبحانه: ﴿وضربت عليهم الذلة والمسكنة﴾[2] حيث إن اليهود فقراء النفس دائماً وإن كانوا أثرياء المال.

(فإن صدقت) أي في كونك مستأكلاً بنا أم لا، إذ كل إنسان مستأكل يدعي أنه مخلص وإنما يظهر كذبه في الآخرة، نعم يظهر في الدنيا أيضاً لدى

---

(١) الأصول: ص٤٦٥.

(٢) سورة البقرة: ٦١.

الخواص، أما الفضح ففي الموقف.

وروي أنه: ذكر الحائك عند أبي عبد الله (عليه السلام) أنه ملعون، فقال: «إنما ذلك الذي يحوك الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله)»[1].

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) من الكبائر»[2].

وعن عمر بن عطية، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، إنه قال لرجل من أهل الشام: «يا أخا أهل الشام اسمع حديثنا ولا تكذب علينا، فإنه من كذب علينا في شيء فقد كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله)، ومن كذب على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد كذب على الله، ومن كذب على الله عذبه الله عزوجل»[3].

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «يا علي من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[4].

أقول: (فليتبوأ) أي يملأ مكانه، فإن (تبوأ) بمعنى اتخذه مكاناً، من (باء) بمعني رجع، لأن الإنسان كلما خرج عن مكانه رجع إليه، فأثر الكذب عليهم (عليهم السلام) ملأ المقعد ـ أي محل قعوده ـ بالنار، فإن الأعمال تتحول إلى آثار خارجية، كما قالوا في باب تجسيم الأعمال.

وعن أبي خديجة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) وعلى الأوصياء (عليهم السلام) من الكبائر»، قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده عن النار»[5].

---

(١) الأصول: ص٤٦٦.

(٢) الأصول: ص٤٦٦، المحاسن: ص١١٨.

(٣) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٧٥.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٣٨، المحاسن: ص١١٨.

(٥) عقاب الأعمال: ص٣٩، المحاسن: ص١١٨.

فصل في تحريم الكذب في الصغير والكبير

والجد والهزل عدا ما استثني

عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول لولده: اتقوا الكذب، الصغير منه والكبير، في كل جد وهزل، فإن الرجل إذا كذب في الصغير اجترأ على الكبير، أما علمتم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صديقاً، وما يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذاباً»[1].

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله وجده»[2].

وعن الحارث الأعور، عن علي (عليه السلام)، قال: «لا يصلح من الكذب جد ولا هزل، ولا أن يعد أحدكم صبيه ثم لا يفي له، إن الكذب يهدي إلى الفجور، والفجور يهدي إلى النار، وما يزال أحدكم يكذب حتى يقال كذب وفجر، وما يزال أحدكم يكذب حتى لا تبقى موضع إبرة صدق فيسمى عند الله كذاباً»[3].

أقول: (يهدي إلى الفجور) إما بمعنى أن الكذب يطرد ويتوسع حتى يكون الكاذب فاجراً، وهو الانفجار بالكذب كانفجار الصخرة بالماء، وإما بمعنى أن عاقبة الكاذب الفجور والزنا، لكون الغالب أن الكاذب إذا استمر في الكذب ذهب حياؤه فلا يبالي أن يراه الناس زانياً شارباً، إلى غير ذلك.

(إبرة) كناية عن كثرة كذبه حتى كأنه كذب محض لا مجال للصدق فيه.

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصية له، قال: «يا أباذر، من ملك ما بين فخذيه وما بين لحييه دخل الجنة»، قلت: وإنا لنؤاخذ بما تنطق به ألسنتنا، فقال: «وهل يكب

---

(١) الأصول: ص٤٦٥.

(٢) الأصول: ص٤٦٦، المحاسن: ص١١٨.

(٣) المحاسن: ص٢٥٢.

الناس على مناخرهم في النار إلاّ حصائد ألسنتهم، إنك لا تزال سالماً ما سكت، فإذا تكلمت كتب لك أو عليك، يا أباذر إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله عزوجل فيكتب بها رضوانه يوم القيامة، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة في المجلس ليضحكهم بها فيهوي في جهنم ما بين السماء والأرض، يا أباذر ويل للذي يحدث فيكذب ليضحك به القوم، ويل له ويل له ويل له، يا أباذر من صمت نجى، فعليك بالصمت ولا تخرجن من فيك كذبة أبداً»، قلت: يا رسول الله فما توبة الرجل الذي يكذب متعمداً، قال: «الاستغفار وصلوات الخمس تغسل ذلك»[1].

أقول: (وهل يكب الناس) تقدم أن الكلام صيغ على المبالغة في إضرار اللسان، (سالماً) من جهة الكلام وإلاّ فقد لا يكون الإنسان سالماً من جهة السكوت، بأن كان سكوته حراماً حيث يجب عليه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، (ما بين السماء) أي بهذا القدر ينزل في النار، إما من جهة الهول حيث إن السقوط مهول وإن لم يصب الإنسان بأذى، وإما من جهة أشدية العذاب حيث إن الدركات كلما نزلت كانت أشد عذاباً، والظاهر أنه في الحرام لا في مجرد الإضحاك، كما يدل عليه ما بعده.

فصل في جواز الكذب في الإصلاح دون الصدق في الفساد

عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام)، قال: «يا علي إن الله أحب الكذب في الصلاح، وأبغض الصدق في الفساد»، إلى أن قال: «يا علي ثلاث يحسن فيهن الكذب، المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك،

(١) المجالس: ص٣٤٠.

والإصلاح بين الناس»[1].

أقول: عدة الزوجة من باب الاضطرار، لأن عدم عدها ينتهي إلى المشاكل، ولذا جاز الكذب لها من باب الأهم والمهم.

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «ثلاثة يحسن فيهن الكذب، المكيدة في الحرب، وعدتك زوجتك، والإصلاح بين الناس، وثلاثة يقبح فيهن الصدق، النميمة، وإخبارك الرجل عن أهله بما يكرهه، وتكذيبك الرجل عن الخبر»[2].

أقول: تقدم وجه عدة الزوجة، أما تكذيب الرجل فهو عبارة عن أن تقول الصدق حيث نقل خبراً كاذباً مما يلزم كذبه.

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «المصلح ليس بكذاب»[3].

أقول: أي لم يرتكب القبيح، أو يقال: إن ما لا يطابق الواقع ليس له قبح في نفسه، وإنما قبحه لأثره السيء، فإذا لم يكن له ذلك الأثر بل بالعكس له أثر حسن كان حسناً.

لا يقال: غير المطابق كيف يعطي الإصلاح، الذي هو مطابقة العمل للواقع، إذ الإفساد خلاف قوانين الكون، والإصلاح وفق قوانينه.

لأنه يقال: تداعي المعاني في ذهن المصالح أوجب الصلاح لا الكذب، مثلا الكاذب قال: عدوك سلم عليك، فإن هذا الكلام كان مشتملاً على مفردين (عدوك) و(سلم) وكلاهما ليسا بكذب، لأنه لا كذب في المفردات، وإنما الكذب في النسبة، وهذان المفردان أوقعا في نفس المصالح أن العدو أصبح صديقاً، وصورته الذهنية أوجبت صلحه، كما أن هذه الصورة الذهنية إذا أتته في المنام أو في

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٣٣ ـ ٣٣٦.

(٢) الخصال: ج١ ص٤٣.

(٣) الأصول: ص٤٦٧.

التصور أو ما أشبه ذلك كان كذلك، وهذا بحث فلسفي المقام في غنى عن تفصيله.

وعن عيسى بن حسان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «كل كذب مسؤول عنه صاحبه يوماً إلاّ كذباً في ثلاثة، رجل كائد في حربه فهو موضوع عنه، أو رجل أصلح بين اثنين يلقي هذا بغير ما يلقي به هذا يريد بذلك الإصلاح ما بينهما، أو رجل وعد أهله شيئاً وهو لا يريد أن يتم لهم»[1].

وعن أبي يحيى الواسطي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الكلام ثلاثة، صدق وكذب وإصلاح بين الناس»، قال: قيل له: جعلت فداك ما الإصلاح بين الناس، قال: «تسمع من الرجل كلاماً يبلغه فتخبث نفسه فتقول: سمعت من فلان قال فيك من الخير كذا وكذا، خلاف ما سمعت منه»[2].

وعن معاوية بن حكيم، عن أبيه، عن جده، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في حديث إنه قال له: «أبلغ أصحابي كذا وكذا، وأبلغهم كذا وكذا»، قال: قلت: فإني لا أحفظ هذا فأقول ما حفظت ولم أحفظ أحسن ما يحضرني، قال: «نعم المصلح ليس بكذاب»[3].

وعن الرضا (عليه السلام)، قال: «إن الرجل ليصدق على أخيه فيناله عنت من صدقه فيكون كذاباً عند الله، وإن الرجل ليكذب على أخيه يريد به نفعه فيكون عند الله صادقاً»[4].

أقول: الوجه في كلا الأمرين ما تقدم في التفسير الآنف.

---

(١) الأصول: ص٤٦٧.

(٢) الأصول: ص٤٦٦.

(٣) رجال الكشي: ص١٩٠.

(٤) مصادقة الإخوان: ص٤٨.

فصل في أنه لا يقال للمؤمن زعمت

عن عبد الأعلي مولى آل سام، حدثني أبو عبد الله (عليه السلام) بحديث، فقلت له: جعلت فداك أليس زعمت إلى الساعة كذا وكذا، فقال: «لا»، فعظم ذلك علي فقلت: بلى والله زعمت، قال: «لا والله ما زعمت»، قال: فعظم ذلك علي فقلت: بلى والله قد قلته، قال: «نعم قد قلته، أما علمت أن كل زعم في القرآن كذب»[1].

أقول: كل لفظ خلاف الأدب غير مستحسن استعماله حتى مع غير المسلم، ويشمله هذا الحديث بالملاك.

فصل في تحريم كون الإنسان ذا وجهين ولسانين

عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من لقي المسلمين بوجهين ولسانين جاء يوم القيامة وله لسانان من نار»[2].

وعن الزهري، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «بئس العبد عبد يكون ذا وجهين ولسانين، يطري أخاه شاهداً، ويأكله غائباً، إن أعطي حسده وإن أبتلي خذله»[3].

أقول: (ذو وجهين) غير (ذي لسانين)، فالأول مثلاً من له بشر في المواجهة وانقباض في الغياب، مثلاً إذا جيء باسم طرفه قبض أساريره علامة لكراهته له.

وهل يشمل الحديث من كان بالعكس أي يذمه شاهداً ويمدحه غائباً، وهكذا بالنسبة إلى الوجهين، احتمالان، ولا يبعد الشمول من جهة إرادة الإسلام استقامة الناس على وجه ولسان واحد، ويؤيده الحديث الآتي.

---

(١) الأصول: ص٤٦٧.

(٢) الأصول: ص٤٦٧. عقاب الأعمال: ص٣٩.

(٣) الأصول: ص٤٦٧. المجالس: ص٢٠٣.

وعن عبد الرحمن بن حماد رفعه، قال: قال الله تبارك وتعالى لعيسى (عليه السلام): «يا عيسى ليكن لسانك في السر والعلانية لساناً واحداً، وكذلك قلبك، إني أحذرك نفسك، وكفى بك خبيراً، لا يصلح لسانان في فم واحد، ولا سيفان في غمد واحد، ولا قلبان في صدر واحد، وكذلك الأذهان»[1].

أقول: (قلبان في صدر واحد) أي يكون الإنسان تارة مريداً وتارة كارهاً، وهكذا بالنسبة إلى صفتين متقابلتين، وحيث لا يجتمعان في وقت واحد، فاللازم أن يراد الاستقامة مع صفة واحدة صحيحة، لا تارة صفة وتارة ضدها.

(وكذلك الأذهان) لعل المراد العاطفة، فإن العاطفة والتعقل أمران، فإذا رأيت فقيراً يرتجف من البرد وتريد أن تشتري كسوة لولدك أخذتك العاطفة في إعطاء المال للفقير، مع أن التعقل أن تعطي بعضه له وتشتري ببعضه الآخر ثوباً لمقصدك الأول، فالمراد بالأذهان توحيد العاطفة، لا أن يكون في هذا اليوم عاطفة وفي يوم آخر ضدها.

وعن زيد بن علي، عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يجيء يوم القيامة ذو الوجهين دالعاً لسانه في قفاه وآخر من قدامه يلتهبان ناراً حتى يلهبا جسده، ثم يقال: هذا الذي كان في الدنيا ذا وجهين ولسانين، يعرف بذلك يوم القيامة»[2].

وعن عمار، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان له وجهان في الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار»[3].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال في خطبة له: «ومن كان ذا وجهين وذا لسانين كان

(١) الأصول: ص٤٦٧، عقاب الأعمال: ص٣٩.

(٢) عقاب الأعمال: ص٣٩، الخصال: ج١ ص٢٠.

(٣) الخصال: ج١ ص٢٠.

ذا وجهين ولسانين يوم القيامة من نار»[1].

أقول: لعله يصنع له وجهان هناك كما يصنع له لسانان، كما يرى الإنسان في بعض التصاوير وجهين لواحد إما متوازيين أو أحدهما في قفا الآخر، ومقتضى كون اللسانين عن أمام وخلف أن الوجهين كذلك.

وعن عبد الله بن أبي يعفور، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، يقول: «من لقي الإنسان بوجه وعابهم بوجه جاء يوم القيامة وله لسانان من نار»[2].

وعن حفص بن غياث، عن الصادق جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من مدح أخاه المؤمن في وجهه واغتابه من ورائه فقد انقطع ما بينهما من العصمة»[3].

أقول: (من العصمة) أي إن الإيمان الكامل العاصم من كل جهة لا يكون بينهما بعد ذلك

فصل في النهي عن هجر المؤمن

واستحباب المسابقة إلى الصلة

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا هجرة فوق ثلاث»[4].

وعن عمه مرازم بن حكيم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «لا خير

(١) عقاب الأعمال: ص٤٨.

(٢) المجالس: ص٢٠٣، الخصال: ج١ ص٢٠.

(٣) المجالس: ص٣٤٦.

(٤) الأصول: ص٤٦٨.

في المهاجرة»[1].

وعن القاسم بن الربيع، قال في وصية المفضل: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لا يفترق رجلان على الهجران إلاّ استوجب أحدهما البراءة واللعنة، وربما استحق ذلك كلاهما»، فقال له معتب: جعلت فداك هذا الظالم فما بال المظلوم، قال: «لأنه لا يدعو أخاه إلى صلته ولا يتغامس له من كلامه»، سمعت أبي عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا تنازع اثنان فعازّ أحدهما الآخر فليرجع المظلوم إلى صاحبه حتى يقول لصاحبه: أي أخي أنا الظالم، حتى يقطع الهجران بينه وبين صاحبه، فإن الله تبارك حكم عدل يأخذ للمظلوم من الظالم»[2].

أقول: قد تقدم أن الكذب في الإصلاح لا بأس به، أو يريد أنه ظالم لنفسه أو ما أشبه فيكون من باب التورية لا الكذب في الإصلاح.

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (صلوات الله عليه) عن الرجل يصرم ذوي قرابته ممن لا يعرف الحق، قال: «لا ينبغي له أن يصرمه»[3].

وعن داود بن كثير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال أبي (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيما مسلمين تهاجرا فمكثا ثلاثاً لا يصطلحان إلاّ كانا خارجين من الإسلام ولم يكن بينهما ولاية، فأيهما سبق إلى كلام أخيه كان السابق إلى الجنة يوم الحساب»[4].

أقول: (من الإسلام) أي الإسلام الكامل.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لا يزال الشيطان فرحاً ما اهتجر المسلمان

---

(١) الأصول: ص٤٦٨.

(٢) الأصول: ص٤٦٧.

(٣) الأصول: ص٤٦٨.

(٤) الأصول: ص٤٦٨.

فإذا التقيا اصطكت ركبتاه وتخلعت أوصاله ونادى يا ويله ما لقي من الثبور»[١].

أقول: (ركبتاه) الشخص إذا انهارت أعصابه خوفاً أو غضباً أو ما أشبه أشرف على السقوط وعدم التوازن وبذلك تصطك ركبتاه، (و تخلعت) أي انفصل بعضها عن بعض.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة»[٢].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي قال: «ونهى عن الهجران، فمن كان لابد فاعلاً فلا يهجر أخاه أكثر من ثلاثة أيام، فمن كان مهاجراً لأخيه أكثر من ذلك كانت النار أولى به»[٣].

وعن أنس، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يحل للمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[٤].

وعن محمد بن حمران، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، إنه قال: «ما من مؤمنين اهتجرا فوق ثلاث إلاّ وبرئت منهما في الثالثة»، قيل: هذا حال الظالم فما بال المظلوم، فقال: «ما بال المظلوم لا يصير إلى الظالم فيقول: أنا الظالم حتى يصطلحا»[٥].

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصية له، قال: «يا أباذر، إياك وهجران أخيك، فإن العمل لا يقتبل مع الهجران، يا أباذر أنهاك عن الهجران، فإن كنت لابد فاعلاً فلا تهجره ثلاثة أيام كملاً، فمن مات فيها مهاجراً لأخيه كانت النار أولى به»[٦].

---

(١) الأصول: ص٤٦٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٨٥.

(٣) الفقيه: ج٢ ص١٩٦.

(٤) الخصال: ج١ ص٨٦.

(٥) الخصال: ج١ ص٨٦.

(٦) المجالس والأخبار: ص٣٤١.

فصل في تحريم إيذاء المؤمن

عن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال الله عزوجل: «ليأذن بحرب مني من آذى عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن» الحديث[1].

وعن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا كان يوم القيامة نادى مناد أين الصدود لأوليائي، فيقوم قوم ليس على وجوههم لحم، فيقال: هؤلاء الذين آذوا المؤمنين ونصبوا لهم وعاندهم وعنفوهم في دينهم، ثم يؤمر بهم إلى جهنم»[2].

وعن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) وذكر مثله، وزاد: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كانوا والله الذين يقولون بقولهم ولكنهم حبسوا حقوقهم وأذاعوا عليهم سرهم»[3].

فصل في تحريم إهانة المؤمن وخذلانه

عن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لما أسري بالنبي (صلى الله عليه وآله) قال: يا رب ما حال المؤمن عندك، قال: يا محمد من أهان لي ولياً فقد بارزني بالمحاربة، وأنا أسرع شيء إلى نصره أوليائي»[4].

وعن معلى بن خنيس، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الله تبارك وتعالى يقول: من أهان لي ولياً فقد أرصد لمحاربتي، وأنا أسرع شيء إلى نصره أوليائي»[5].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)،

---

(١) الأصول: ص٤٧٠.

(٢) الأصول: ص٤٧٠.

(٣) عقاب الأعمال: ص٣٢.

(٤) الأصول: ص٤٧١.

(٥) الأصول: ص١٧٠.

في حديث المناهي، قال: «ومن استخف بفقير مسلم فقد استخف بحق الله، والله يستخف به يوم القيامة إلاّ أن يتوب»[1].

وعنه (عليه السلام): «من أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض، ألا ومن أكرم أخاه المسلم فإنما يكرم الله عزوجل»[2].

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من استذل مؤمناً أو حقره لفقره وقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة»[3].

أقول: (الاستذلال) طلب ذلته، و(التحقير) فرضه حقيراً، فبينهما عموم من وجه، وإن كان كل واحد منهما يشمل الآخر إذا ذكر وحده.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا تحقروا مؤمناً فقيراً، فإن من حقر مؤمناً أو استخف به حقره الله ولم يزل ماقتاً له حتى يرجع عن محقرته أو يتوب»، وقال: «من استذل مؤمناً أو احتقره لقلة ذات يده شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»[4].

أقول: الحقارة في الحجم والخفة في الوزن، وهذان يتصوران في المعنويات كالماديات.

وعن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة»[5].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال في خطبة له: «ومن أهان فقيراً مسلماً من أجل

---

(١) الفقيه: ج٢ ص١٩٧.

(٢) الفقيه: ج٢ ص١٩٧.

(٣) عيون الأخبار: ص٢٠١.

(٤) عقاب الأعمال: ص٢٩.

(٥) عقاب الأعمال: ص٢٣، المجالس: ص٩٩.

فقره واستخف به فقد استخف بالله ولم يزل في غضب الله عزوجل وسخطه حتى يرضيه، ومن أكرم فقيراً مسلماً لقي الله يوم القيامة وهو يضحك إليه»، ثم قال: «ومن بغى على فقير أو تطاول عليه أو استحقره حقره (حشره) الله يوم القيامة مثل الذرة في صورة رجل حتى يدخل النار»[1].

أقول: (يضحك) كما أن الضاحك فرحاً بإنسان يعطيه كل ما يرضيه، كذلك إعطاء الله كني عنه بالضحك من باب خذ الغايات واترك المبادئ.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «رب أشعث أغبر ذي طمرين مدقع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره»[2].

أقول: (مدقع) أي جالس على أبواب الدور لفقره، والدقعاء: التراب.

(طمرين) لأنه ليس له إلاّ إزار ومئزر.

فصل في تحريم إذلال المؤمن واحتقاره

عن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «قال الله عزوجل: ليأذن بحرب مني من أذل عبدي المؤمن، وليأمن غضبي من أكرم عبدي المؤمن»[3].

وعن معاوية، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لقد أسري ربي بي فأوحى إليّ من وراء الحجاب ما أوحى، وشافهني أن قال لي: يا محمد من أذل لي ولياً فقد أرصد لي بالمحاربة، ومن حاربني حاربته، قلت: يا رب ومن وليك هذا، فقد علمت أن من حاربك حاربته، فقال: ذاك من أخذت ميثاقه لك

---

(١) عقاب الأعمال: ص٤٦.

(٢) المجالس: ص٢٣٢، مجالس ابن الشيخ: ص٢٧٤.

(٣) المحاسن: ص٩٧.

ولوصيك ولذريتكما بالولاية»[1].

أقول: أي بينه وبيني ميثاق بالإيمان الصحيح المشتمل على الولاية.

وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عزوجل: «من استذل عبدي المؤمن فقد بارزني بالمحاربة»[2] الحديث.

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من استذل مؤمناً واحتقره لقلة ذات يده ولفقره شهره الله يوم القيامة على رؤوس الخلائق»[3].

وعن محمد بن أبي حمزة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من حقر مؤمناً مسكيناً أو غير مسكين لم يزل الله عزوجل حاقراً له ماقتاً حتى يرجع عن محقرته إياه»[4].

وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عزوجل: «قد نابذني من أذل عبدي المؤمن»[5].

وعن المعلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عزوجل: «إني لحرب لمن استذل عبدي المؤمن، وإني أسرع إلى نصرة أوليائي» الحديث[6].

فصل في تحريم الاستخفاف بالمؤمن

عن أبي هارون، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال لنفر عنده وأنا حاضر: «ما لكم

---

(١) الأصول: ص٤٧١.

(٢) الأصول: ص٤٧١.

(٣) الأصول: ص٤٧١. المحاسن: ص٩٧.

(٤) الأصول: ص٤٧٠.

(٥) الأصول: ص٤٧٠. عقاب الأعمال: ص٢٢.

(٦) مصادقة الإخوان: ص٤٦.

تستخفون بنا»، قال: فقام إليه رجل من خراسان فقال: معاذ لوجه الله أن نستخف بك أو بشيء من أمرك، فقال: «بلى إنك أحد من استخف بي»، فقال: معاذ لوجه الله أن استخف بك، فقال له: «ويحك ألم تسمع فلاناً ونحن بقرب الجحفة وهو يقول لك: احملني قدر ميل فقد والله عييت، والله ما رفعت به رأساً، لقد استخففت به، ومن استخف بمؤمن فبنا استخف، وضيع حرمة الله عزوجل»[1].

فصل في تحريم قطيعة الأرحام

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إذا قطعوا الأرحام جُعلت الأموال في أيدي الأشرار»[2].

أقول: هل هو من الآثار الغيبية أو الخارجية حيث إن قطع الرحم يوجب تفكك الاجتماع الصالح، وإذا تفكك الاجتماع اغتنم الأشرار نهب الأموال، احتمالان، ويمكن كلا الأمرين.

وهذان الاحتمالان يأتيان في حديث (قطيعة الرحم تعجل الفناء) فإن الأرحام هي اللبنة الثانية في الاجتماع الصالح، بعد اللبنة الأولى التي هي العائلة من الزوجين والأولاد، فإنه إذا انهدمت لبنات الاجتماع ينهدم الاجتماع، لأنه لا تعاون وإذ لم يكن تعاون يكون الفناء.

لا يقال: فلماذا نرى أنه لا فناء في المجتمعين الشرقي والغربي مع أن قطيعة الرحم فيهما في ذروتها.

لأنه يقال: ما هو أزيد من حربين عالميتين في أقل من نصف قرن، والثالثة محتملة، ولا استقرار فيهما إطلاقاً، والكلام في ذلك طويل أردنا الإلماع إليه فقط.

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٩٢.

(٢) الأصول: ص٤٦٩.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث: «إن من الذنوب التي تعجل الفناء قطيعة الرحم»[١].

وعن عنبسة العابد، قال: جاء رجل فشكا إلى أبي عبد الله (عليه السلام) أقاربه، فقال له: «أكظم غيظك وافعل»، فقال: إنهم يفعلون ويفعلون، فقال: «أتريد أن تكون مثلهم فلا ينظر الله إليكم»[٢].

أقول: (وافعل) أي افعل الخير معهم، أو تأكيد لأكظم، مثل: ﴿إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون﴾[٣].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تقطع رحمك وإن قطعك»[٤].

فصل في تحريم إحصاء عثرات المؤمن

عن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أبعد ما يكون العبد من الله أن يكون الرجل يواخي الرجل وهو يحفظ زلاته فيعيره يوماً ما»[٥].

أقول: يلزم ترك الإحصاء حتى ينساها.

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن أقرب ما يكون العبد إلى الكفر أن يواخي الرجل الرجل على الدين فيحصي عليه زلاته ليعنفه بها يوما ما»[٦].

وعن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

---

(١) الأصول: ص٤٦٩.

(٢) الأصول: ص٤٦٩.

(٣) سورة النمل: ٣٤.

(٤) الأصول: ص٤٦٩.

(٥) الأصول: ص٤٧٢.

(٦) الأصول: ص٤٧١ ـ ٤٧٢، المحاسن: ص١٠٤.

«يا معشر من أسلم بلسانه ولم يخلص الإيمان إلى قلبه، لا تذموا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عوراتهم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في بيته»[1].

أقول: إن من يتبع عورات الناس ونقائصهم يتبع الناس عورته ومنقصته، وذلك ما يوجب فضحه، وهكذا يفضحه الله سبحانه، أو إن هناك أثراً غيبياً أيضاً.

وعن سيف بن عميرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أدنى ما يخرج به الرجل من الإيمان أن يواخي الرجل الرجل على دينه فيحصي عليه عثراته وزلاته ليعيره بها يوماً ما»[2].

فصل في تحريم تعيير المؤمن وتأنيبه

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من عير مؤمناً بذنب لم يمت حتى يركبه»[3].

أقول: التعيير غير النهي عن المنكر، فإن الأول شماتة وإظهار فرح بسقطة المعير ـ بالفتح ـ بخلاف الثاني.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عير مؤمناً بشيء لم يمت حتى يركبه»[4].

وعن حسين بن عثمان، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من أنب مؤمناً أنبه الله عزوجل في الدنيا والآخرة»[5].

أقول: التعيير والتأنيب متحد مصداقاً متغاير مفهوماً، كغالب ما يقال إنهما

---

(١) الأصول: ص٤٧١ ـ ٤٧٢، عقاب الأعمال: ص٢٤.

(٢) معاني الأخبار: ص١١٢.

(٣) الأصول: ص٤٧٢.

(٤) الأصول: ص٤٧٢.

(٥) الأصول: ص٤٧٢.

مترادفان، فالتعيير باعتبار إلصاق وصمة العار بالطرف، والتأنيب باعتبار طلب الرجوع إلى الاستقامة من الطرف، فإن الذنب عار ومطلوب من المذنب رجوعه عن الذنب بالترك وعدم الاستمرار.

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من لقي أخاه بما يؤنبه أنبه الله في الدنيا والآخرة»[١].

وعن منصور بن حازم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذاع فاحشة كان كمبتديها، ومن عير مسلماً بذنب لم يمت حتى يركبه»[٢].

أقول: (كان كمبتدئها) لأن المبتدئ خارق لحرمة الاجتماع، والمذيع خارق أيضاً لأنه يوصل خبر الذنب إلى من لم يصل إليه خبره.

فصل في تحريم اغتياب المؤمن

عن سليمان بن خالد، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «المؤمن من ائتمنه المؤمنون على أنفسهم وأموالهم، والمسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه، والمهاجر من هجر السيئات وترك ما حرم الله، والمؤمن حرام على المؤمن أن يظلمه أو يخذله أو يغتابه أو يدفعه دفعة»[٣].

أقول: (دفعة) أي ولو دفعة بدون الاستمرار في الدفع.

وعن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من عامل الناس فلم يظلمهم وحدثهم فلم يكذبهم ووعدهم فلم يخلفهم كان ممن حرمت غيبته وكملت مروته

---

(١) الأصول: ص٤٧٢.

(٢) المحاسن: ص١٠٤.

(٣) الأصول: ص٤٢٥ ـ ٤٢٦.

وظهر عدله ووجبت أخوته»[1].

أقول: احتمل بعض الفقهاء أن غيبته مثل هذا المتصف بهذه الصفات محرم، لا الغيبة مطلقاً، لكن لا يبعد أقوائية الإطلاقات في مفادها من هذا التقييد، فيكون التقييد من باب الفرد الأكمل سلباً في مثل حرمة الغيبة وإيجاباً في مثل الأخوة.

وعن الحرث بن المغيرة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «المسلم أخو المسلم، هو عينه ومرآته ودليله، لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذّبه ولا يغتابه»[2].

أقول: (ولا يكذبه) من باب التفعيل، أي إذا حدث لا ينسب حديثه إلى الكذب.

وعن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله ولا يغتابه ولا يغشه ولا يحرمه»[3].

أقول: ما ذكر بعد (لا يظلمه) من مصاديق الظلم، لكن ذكرت لأنها من أهم أقسام الظلم، و(لا يحرمه) أي من العطاء مما هو مورده وجوباً أو استحباباً.

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من قال في مؤمن ما رأته عيناه وسمعته أذناه فهو من الذين قال الله عزوجل: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم﴾[4]»[5].

أقول: هذا في غير مقام النهي عن المنكر ونحوه.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الغيبة أسرع

---

(١) الأصول: ص٤٢٨، صحيفة الرضا: ص٧.

(٢) الأصول: ص٣٩٢.

(٣) الأصول: ص٣٩٢.

(٤) سورة النور: ١٩.

(٥) الأصول: ص٤٧٢ . الأمالي ص٢٠٣.

في دين الرجل المسلم من الآكلة في جوفه»[1].

وفي حديث قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الجلوس في المسجد انتظاراً للصلاة عبادة ما لم يحدث»، قيل: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما يحدث، قال: «الاغتياب»[2].

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصية له، قال: «يا أباذر إياك والغيبة، فإن الغيبة أشد من الزنا»، قلت: ولم ذاك يا رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «لأن الرجل يزني فيتوب إلى الله فيتوب الله عليه، والغيبة لا تغفر حتى يغفرها صاحبها، يا أباذر سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وأكل لحمه من معاصي الله، وحرمة ماله كحرمة دمه»، قلت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وما الغيبة، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قلت: يا رسول الله فإن كان فيه الذي يذكر به، قال: «اعلم أنك إذا ذكرته بما هو فيه فقد اغتبته، وإذا ذكرته بما ليس فيه فقد بهته»[3].

أقول: (بما يكره) الظاهر أنه لا يشمل ذكر خصاله الحسنة وإن كره.

وعن زيد بن علي، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «تحرم الجنة على ثلاثة: على المنان وعلى المغتاب وعلى مدمن الخمر»[4].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية لله، وحرمة ماله كحرمة دمه»[5].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في المناهي: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن الغيبة والاستماع إليها، ونهى عن النميمة والاستماع إليها وقال: لا يدخل الجنة قتات يعني نماماً، ونهى عن المحادثة التي تدعو إلى غير الله،

---

(١) الأصول: ص٤٧٢.

(٢) الأصول: ص٤٧٢.

(٣) المجالس: ص٣٤١.

(٤) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٩٩.

(٥) وسائل الشيعة: ج٥ ص٥٩٩.

ونهي عن الغيبة وقال: من اغتاب امرءاً مسلماً بطل صومه ونقض وضوؤه وجاء يوم القيامة يفوح من فيه رائحة أنتن من الجيفة يتأذي به أهل الموقف، وإن مات قبل أن يتوب مات مستحلاً لما حرم الله عزوجل، ألا ومن تطول على أخيه في غيبة سمعها فيه في مجلس فردها عنه رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، فإن هو لم يردها وهو قادر على ردها كان عليه كوزر من اغتابه سبعين مرة»[1].

أقول: (سبعين مرة) كأنه لأن السامع يشجع المغتاب مما يوجب تكثير الغيبة، أو المراد العقاب الأولي على ما ذكرنا تفصيله في (الدعاء والزيارة) وقد سبق هنا الإلماع إليه.

وعن عبد الرحمن بن سيابة، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «إن من الغيبة أن تقول في أخيك ما ستره الله عليه، وإن من البهتان أن تقول في أخيك ما ليس فيه»[2].

وعن نوف البكالي، قال: أتيت أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو في رحبة في مسجد الكوفة فقلت: السلام عليك يا أمير المؤمنين (عليه السلام) ورحمة الله وبركاته، فقال: «وعليك السلام يا نوف ورحمة الله وبركاته»، قلت له: يا أمير المؤمنين (عليه السلام) عظني، فقال: «يا نوف أحسن يحسن إليك» إلى أن قال: قلت: زدني، قال: «اجتنب الغيبة فإنها إدام كلاب النار»، ثم قال: «يا نوف كذب من زعم أنه ولد من حلال وهو يأكل لحوم الناس بالغيبة» الحديث[3].

أقول: أي إنه شركة شيطان، فإن الشيطان يشترك في النطفة، قال سبحانه:

(١) الفقيه: ج٢ ص١٩٥ ـ ١٩٨.

(٢) المجالس: ص٢٠٣، معاني الأخبار: ص٥٧.

(٣) المجالس: ص١٢٦.

﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾[1]، وعليه فمعنى (ولد من حلال) لا في قبال الزنا بل الحلية الخالصة عن اشتراك الشيطان.

أما إدام كلاب النار فقد تقدم أن تجسيم الأعمال يقتضي أن كل فكر وقول وعمل ينفخ فيه حتى يكون جسماً خارجياً، والكلام الذي هو غيبة يجعل بالتجسيم طعاماً يأكله الكلاب في جهنم، وبذلك يتأذي المغتاب ـ بالكسر ـ كما أن الإنسان إذا رأى كلباً عقوراً يعقر الناس ويطعمه فلان حتى يتقوى على عقر الناس يشمئز من ذلك المطعم، بل ونفس المطعم إذا رجع إلى عقله تأذي بما فعله من الإطعام.

وعن الحسين بن خالد، عن الرضا، عن أبيه، عن الصادق (عليهم السلام) قال: «إن الله يبغض البيت اللحم واللحم السمين، قال: فقيل له: إنا لنحب اللحم وما تخلو بيوتنا منه، فقال: ليس حيث تذهب، إنما البيت اللحم البيت الذي تؤكل فيه لحوم الناس بالغيبة، وأما اللحم السمين فهو المتبختر المتكبر المختال في مشيه»[2].

أقول: لحم الإنسان يوجب بهاءه وبقاءه، وكذلك عرضه وشخصيته، والمغتاب ـ بالكسر ـ حيث يذهب عرض المغتاب ـ بالفتح ـ فقد شبه في المعنويات بفري لحم جسده في الماديات، وحيث إنه يتكلم بذلك بلسانه، غالباً في الغيبة لا بالإشارة ونحوها، عبر عن الغيبة بالأكل، ولذا يتجسم في الآخرة بلحم يأكله كلاب النار كما تقدم في الحديث، والتكبر إعطاء الروح أكثر من واقعها كما أن سمين الجسم أعطي جسمه أكثر من الواقع المطلوب من قدر الجسم.

وعن أسباط بن محمد، رفعه عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «ألا أخبركم بالذي هو أشد من الزنا، وقع الرجل في عرض أخيه»[3].

---

(١) سورة الإسراء: ٦٤.

(٢) عيون الأخبار: ص١٧٤، معاني الأخبار: ص١١٠.

(٣) مصادقة الإخوان: ص٤٨.

وعن علقمة بن محمد، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) في حديث إنه قال: «فمن لم تره بعينك يرتكب ذنباً ولم يشهد عليه عندك شاهدان فهو من أهل العدالة والستر وشهادته مقبولة وإن كان في نفسه مذنباً، ومن اغتابه بما فيه فهو خارج عن ولاية الله تعالى ذكره، داخل في ولاية الشيطان، ولقد حدثني أبي، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من اغتاب مؤمناً بما فيه لم يجمع الله بينهما في الجنة أبداً، ومن اغتاب مؤمناً بما ليس فيه فقد انقطعت العصمة بينهما، وكان المغتاب في النار خالداً فيها وبئس المصير»[1].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال في خطبة له: «ومن اغتاب أخاه المسلم بطل صومه ونقض وضوؤه، فإن مات وهو كذلك مات وهو مستحل لما حرم الله»، إلى أن قال: «ومن مشى في عون أخيه ومنفعته فله ثواب المجاهدين في سبيل الله، ومن مشى في عيب أخيه وكشف عورته كانت أول خطوة خطاها وضعها في جهنم وكشف الله عورته على رؤوس الخلائق، ومن مشى إلى ذي قرابة وذي رحم يسأل به أعطاه الله أجر مائة شهيد، فإن سأل به ووصله بماله ونفسه جميعاً كان له بكل خطوة أربعون ألف ألف حسنة، ورفع له أربعون ألف ألف درجة، وكأنما عبد الله عزوجل مائة سنة، ومن مشى في فساد ما بينهما وقطيعة بينهما غضب الله عزوجل عليه ولعنه في الدنيا والآخرة وكان عليه من الوزر كعدل قاطع الرحم»[2].

أقول: (وضعها في جهنم) الدنيا والآخرة شيء واحد لملك واحد، لكن للنار والجنة هنا صورة وهناك صورة، فمن أتى بالصورة الدنيوية كان مصيره الصورة الأخروية، مثلاً الزنا عقرب، والكلمة الطيبة وردة هنا هكذا، وهناك هكذا، كما أن بيض العصفور وبيض الحية لهما صورتان في حال البيضوية وصورتان

---

(١) المجالس: ص٦٣.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤٧.

في حال الفرخية، فالمشي إلى المسجد وضع رجل في الجنة، بمعنى هذه الصورة تتحول هناك إلى تلك، والمشي للإساءة إلى الغير وضع للرجل في جهنم، وقد تقدم الكلام في تجسيم الأعمال، (يسأل به) أي يسأل بسبب المشي إليه أحواله.

وعن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «الغيبة أن تقول في أخيك ما قد ستره الله عليه، فأما إذا قلت ما ليس فيه فذلك قول الله عزوجل: ﴿فقد احتمل بهتاناً وإثماً مبيناً﴾[1]»[2].

فصل في تحريم البهتان على المؤمن

عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من نعت مؤمناً أو مؤمنة بما ليس فيه بعثه الله في طينة خبال حتى يخرج مما قال»، قلت: وما طينة خبال، قال: «صديد يخرج من فروج المومسات»[3].

أقول البهت يتحول في صورته الأخروية إلى الصديد المذكور، كما أن الماء المشروب يتحول بعدئذ إلى البول مثلاً، وهذا الصديد في الآخرة يتحول إلى حالة ثانية هي طينة متعفنة توجب خبال الإنسان الواقف عليها، فكما أزال الباهت شخصية واتزان المبهوت كذلك يزال اتزانه بسبب الخبل في الآخرة.

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من بهت مؤمناً أو مؤمنة أو قال فيه ما ليس فيه أقامه الله يوم القيامة على تل من نار حتى يخرج مما

(١) سورة النساء: ١١٢.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٦٠٢.

(٣) الأصول: ص٤٧٢، عقاب الأعمال: ص٢٤.

قال فيه»[1].

أقول: وحيث تحترق الطينة على الواقف عليها تكون تلاً من نار.

فصل في المواضع التي تجوز فيها الغيبة

عن داود بن سرحان، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الغيبة، قال: «هو أن تقول لأخيك في دينه ما لم يفعل، وثبت (تبث خ ل) عليه أمراً قد ستره الله عليه لم يقم عليه فيه حد»[2].

أقول: (في دينه) من باب المصداق.

وعن أبان، عن رجل لا نعلمه إلاّ يحيى الأزرق، قال: قال لي أبو الحسن (عليه السلام): «من ذكر رجلاً من خلفه بما هو فيه مما عرفه الناس لم يغتبه، ومن ذكره من خلفه بما هو فيه مما لا يعرفه الناس اغتابه، ومن ذكره بما ليس فيه فقد بهته»[3].

وعن هارون بن الجهم، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «إذا جاهر الفاسق بفسقه فلا حرمة له ولا غيبة»[4].

وعن أبي البختري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: «ثلاثة ليس لهم حرمة، صاحب هوى مبتدع، والإمام الجائر، والفاسق المعلن بالفسق»[5].

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظلم﴾[6] قال: «من أضاف قوماً فأساء ضيافتهم فهو

---

(١) عيون الأخبار: ص٢٠١، صحيفة الرضا: ص٨.

(٢) الأصول: ص٤٧٢.

(٣) الأصول: ص٤٧٣.

(٤) المجالس: ص٤٢.

(٥) قرب الإسناد: ص٨٢.

(٦) سورة النساء: ١٤٨.

ممن ظلم فلا جناح عليهم فيما قالوا فيه»[1].

أقول: أي بالنسبة إلى نفس ذلك الظلم لا مطلقاً، وذلك بقرينة الحكم والموضوع، ويؤيده الخبر الآتي.

وعن الفضل بن لحسن الطبرسي في (مجمع البيان) في قوله: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من ظلم﴾[2]، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن الضيف ينزل بالرجل فلا يحسن ضيافته فلا جناح عليه أن يذكر سوء ما فعله»[3].

فصل في وجوب التكفير عن الاغتياب

عن حفص بن عمير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «سئل النبي (صلى الله عليه وآله) ما كفارة الاغتياب، قال: تستغفر الله لمن اغتبته كلما ذكرته»[4].

أقول: تفصيل الكلام في ذلك في كتب (الفقه).

فصل في وجوب رد غيبة المؤمن

عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «يا علي من اغتيب عنده أخوه المسلم فاستطاع نصره فلم ينصره خذله الله في الدنيا والآخرة»[5].

وعن أبي الورد، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «من اغتيب عنده أخوه المؤمن فنصره وأعانه نصره الله وأعانه في الدنيا والآخرة، ومن لم ينصره ولم يعنه ولم يدفع عنه وهو يقدر

---

(١) وسائل الشيعة: ج٥ ص٦٠٥.

(٢) سورة النساء: ١٤٨.

(٣) مجمع البيان: ج٣ ص١٣١.

(٤) الأصول: ص٤٧٢.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٤١.

على نصرته وعونه إلاّ خفضه الله في الدنيا والآخرة»[1].

وعن النوفلي، عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من رد عن عرض أخيه المسلم وجبت له الجنة البتة»[2].

وعن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من مؤمن يعين مؤمناً مظلوماً إلاّ كان أفضل من صيام شهر واعتكافه في المسجد الحرام، وما من مؤمن ينصر أخاه وهو يقدر على نصرته إلا نصره الله في الدنيا والآخرة، وما من مؤمن يخذل أخاه وهو يقدر على نصرته إلاّ خذله الله في الدنيا والآخرة»[3].

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال في خطبة له: «ومن ردّ عن أخيه غيبة سمعها في مجلس رد الله عنه ألف باب من الشر في الدنيا والآخرة، فإن لم يرد عنه وأعجبه كان عليه كوزر من اغتاب»[4].

وعن إسماعيل بن مسلم السكوني، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من رد عن عرض أخيه المسلم كتب له الجنة البتة، ومن أتي إليه معروف فليكاف، فإن عجز فليثن به، فإن لم يفعل فقد كفر النعمة»[5].

وعن ابن أبي الدرداء، عن أبيه، قال: نال رجل من عرض رجل عند النبي (صلى الله عليه وآله)، فرد رجل من القوم عليه، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): «من رد عن عرض أخيه كان له حجاباً من النار»[6].

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصية له قال: «يا أباذر من ذب عن أخيه المؤمن

---

(١) ثواب الأعمال: ص٨١، عقاب الأعمال: ص٢٩.

(٢) ثواب الأعمال: ص٨٠.

(٣) ثواب الأعمال: ص٨١.

(٤) عقاب الأعمال: ص٤٧.

(٥) مجالس ابن الشيخ: ص٨٠.

(٦) مجالس ابن الشيخ: ص٧١.

الغيبة كان حقاً على الله أن يعتقه من النار، يا أباذر من اغتيب عنده أخوه المؤمن وهو يستطيع نصره فنصره نصره الله عزوجل في الدنيا والآخرة، وإن خذله وهو يستطيع نصره خذله الله في الدنيا والآخرة»[1].

فصل في تحريم إذاعة سر المؤمن

وأن يروي عليه ما يعيبه وعدم تصديق ذلك

عن عبد الله بن سنان، قال: قلت له: عورة المؤمن على المؤمن حرام، قال: «نعم»، قلت: يعني سفلته، قال: «ليس حيث تذهب، إنما هو إذاعة سره»[2].

أقول: المراد أن هذا أهم، وإن كان الآخر أيضاً حراماً.

عن مفضل بن عمر، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروته ليسقط من أعين الناس أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان فلا يقبله الشيطان»[3].

أقول: (فلا يقبله الشيطان) كناية عن عظم جرمه حتى أن الشيطان أيضاً يفر منه، قال الشاعر:

(ويل لم كفره نمرود)

وعن زيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) فيما جاء في الحديث: «عورة المؤمن على المؤمن حرام»، قال: «ما هو أن تنكشف فترى منه شيئاً، إنما هو أن تروي عليه أو تعيبه»[4].

وعن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: قلت له: جعلت فداك الرجل من أخواني يبلغني عنه الشيء الذي أكرهه فأسأله عنه فينكر ذلك، وقد

(١) المجالس: ص٣٤١.

(٢) الأصول: ص٤٧٣، المحاسن: ص١٠٤.

(٣) الأصول: ص٤٧٣، المجالس: ص٢٩١.

(٤) الأصول: ص٤٧٣.

أخبرني عنه قوم ثقات، فقال لي: «يا محمد كذّب سمعك وبصرك عن أخيك، فإن شهد عندك خمسون قسامة وقال لك قولاً فصدقه وكذبهم، ولا تذيعن عليه شيئاً تشينه به وتهدم به مروته، فتكون من الذين قال الله: ﴿إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة في الذين آمنوا لهم عذاب أليم في الدنيا والآخرة﴾[١]»[٢].

أقول: هذا في غير محل الشهادة ونحوها.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث قال: «ومن سمع فاحشة فأفشاها كان كمن أتاها، ومن سمع خيراً فأفشاه كان كمن عمله»[٣].

وعن منصور بن حازم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذاع الفاحشة كان كمبتديها، ومن عير مؤمناً بشيء لا يموت حتى يركبه»[٤].

وعن الفيض بن المختار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لما نزلت المائدة على عيسى (عليه السلام) قال للحواريين: لا تأكلوا منها حتى آذن لكم، فأكل منها رجل منهم، فقال بعض الحواريين: يا روح الله أكل منها فلان، فقال له عيسى (عليه السلام): أكلت منها، فقال له: لا، فقال الحواريون: بلى والله يا روح الله لقد أكل منها، فقال عيسى (عليه السلام): صدّق أخاك وكذب بصرك»[٥].

أقول: (وكذب بصرك) كناية عن قبول قوله، وقد ثبت في علم النفس أن الحواس قد يشتبه عليها الأمر، كما يشاهد أن المريض يتذوق الحلو مراً، والنزاح يلتذ بالعفونة، والعين ترى البعيد صغيراً، أو الخطين المتوازيين ملتصقين في آخرهما، ومن امتلا رعباً يسمع أصواتاً مزعجة، ولامس الماء الفاتر يزعمه بارداً إذا أخرج يده قبل ذلك من ماء حار، إلى غير ذلك، وعليه فربما كذبت العين في رؤية شيء

---

(١) سورة نور: ١٩.

(٢) عقاب الأعمال: ص٢٧، الروضة: ص١٤٧.

(٣) عقاب الأعمال: ص٤٨.

(٤) عقاب الأعمال: ص٢٧.

(٥) وسائل الشيعة: ج٥ ص٦٠٩.

فتظنه شيئاً آخر وهكذا، وربما رأى الإنسان أشياءً في الظلام مع أنها من إبداع النفس ولا واقع لها، كما أنه يرى السراب ماءً مع أنه من فعل النور، كما حقق في محله.

فصل في تحريم سب المؤمن وعرضه وماله ودمه

عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، في رجلين يتسابان، قال: «البادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يعتذر إلى المظلوم»[(١)].

أقول: (وزر صاحبه) إن رد الاعتداء جائز اضطراري، ولذا له وزر طبيعي لأنه خلاف سنة الكون المبنية على الصحة والاستقامة، وهذا الوزر الطبيعي يصرف إلى البادي الذي سببه، إن مثل ذلك مثل من كسر زجاج الناس فكسروا زجاجه، فإن كسر الزجاج يوجب النقص في زجاجات البلد مهما كان سبب الكسر لكنه لابد منه بأمر ثانوي، ولذا كان خلاف الطبيعة الابتدائية، فله وزر ذاتي.

وعن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن رجلاً من تميم أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: أوصني، فكان فيما أوصاه أن قال: لا تسبوا الناس فتكسبوا العداوة لهم»[(٢)].

أقول: (العداوة لهم) أي العداوة الحاصلة لهم ضدكم.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سباب المؤمن فسوق، وقتاله كفر، وأكل لحمه معصية، وحرمة ماله كحرمة دمه»[(٣)].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سباب المؤمن

---

(١) الأصول: ص٤٧٣.

(٢) الأصول: ص٤٧٣.

(٣) الأصول: ص٤٧٣، المحاسن: ص١٠٢.

كالمشرف على الهلكة»[1].

أقول: (سباب) صيغة مبالغة كضراب.

وعن الحسين بن عبد الله، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «من كف عن أعراض الناس أقاله الله نفسه يوم القيامة، ومن كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة»[2].

فصل في تحريم الطعن على المؤمن وإضمار السوء

عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما شهد رجل على رجل بكفر قط إلاّ باء به أحدهما، إن كان شهد على كافر صدق، وإن كان مؤمناً رجع الكفر عليه، فإياكم والطعن على المؤمنين»[3].

أقول: (فإياكم) كبرى كلية ذكر قبلها إحدى صغرياتها وهي التكفير، وإلاّ فكل طعن بالباطل يرجع إلى الطاعن.

وعن أبي حمزة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا قال الرجل لأخيه المؤمن أف، خرج من ولايته، وإذا قال: أنت عدوي، كفر أحدهما ولا يقبل الله من مؤمن عملاً وهو مضمر على أخيه المؤمن سوءاً»[4].

وعن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من إنسان يطعن في عين مؤمن إلاّ مات بشر ميتة، وكان قمناً أن لا يرجع إلى خير»[5].

أقول: (في عين) أي أمام عينه في قبال غيابه.

---

(١) الأصول: ص٤٧٣.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٦١١.

(٣) الأصول: ص٤٧٣، عقاب الأعمال: ص٤٠.

(٤) الأصول: ص٤٧٣، المحاسن: ص٩٩.

(٥) الأصول: ص٤٧٤، عقاب الأعمال: ص٢٣.

وعن المفضل بن عمر، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن الله عزوجل خلق المؤمنين من نور عظمته وجلال كبريائه، فمن طعن عليهم وردّ عليهم فقد ردّ على الله في عرشه، وليس من الله في شيء وإنما هو شرك الشيطان»[1].

أقول: (من نور) الله خلق أنواراً كل نور إضافة من الإضافات كنور العظمة حيث من يخلق منه يكون عظيماً، ومن نور الكرم مثلاً، فمن يخلق منه يكون كريماً وهكذا، كما أن الأنوار الخارجية له أمران، والجامع بينهما النورية، والخلق من النور حقيقي لا أنه تشبيه أو مثال، فكما الإنسان مخلوق من التراب والماء الذين فيهما نور الشمس خارجاً، كذلك في أصل المؤمن نور معنوي من أنوار عظمة الله.

لا يقال: إذا كان كذلك فما ذنب الكافر الذي لم يخلق من نور الله سبحانه.

لأنه يقال: أصل الخلقة من باب المقتضي لا العلة التامة، كما فصل الكلام في ذلك في أخبار الطينة.

(شرك الشيطان) تقدم الكلام حوله.

وعن داود بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله عزوجل خلق المؤمن من عظمة جلاله وقدرته، فمن طعن عليه أو رد عليه قوله فقد رد على الله»[2].

فصل في تحريم لعن غير المستحق

عن مسعدة بن صدقة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن اللعنة إذا خرجت من صاحبها ترددت بينه وبين الذي يلعن، فإن وجدت مساغاً وإلاّ رجعت إلى صاحبها وكان

(١) عقاب الأعمال: ص٢٣، المحاسن: ص١٠٠.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص١٩٢.

أحق بها، فاحذروا أن تلعنوا مؤمناً فيحل بكم»[1].

أقول: تقدم الكلام حول أن عمل الإنسان شيء واقعي ويتجسم في الآخرة، واللعن من ذلك وليس كلاماً مجرداً، بل له آثار في الآخرة من بعد عن رحمة الله ونحوه.

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إن اللعنة إذا خرجت من في صاحبها ترددت فيما بينهما، فإن وجدت مساغاً وإلاّ رجعت على صاحبها»[2].

فصل في تحريم تهمة المؤمن وسوء الظن به

عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا اتهم المؤمن أخاه انماث الإيمان في قلبه كما ينماث الملح في الماء»[3].

وعن الحسين بن عمر بن يزيد، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من اتهم أخاه في دينه فلا حرمة بينهما، ومن عامل أخاه بمثل ما عامل به الناس فهو بريء مما ينتحل»[4].

أقول: (أخاه) المؤمن بمثل معاملته لسائر الناس، (بريء مما ينتحل) من أنه من شيعة آل محمد (صلى الله عليه وآله).

وعن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في كلام له: «ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك منه، ولا تظنن بكلمة

---

(١) قرب الإسناد: ص٧.

(٢) الأصول: ص٤٧٣، عقاب الأعمال: ص٣٩.

(٣) الأصول: ص٤٧٤.

(٤) الأصول: ص٤٧٤.

خرجت من أخيك سوءاً وأنت تجد لها في الخير محملاً»[1].

أقول: (أحسنه) أي الحسن في مقابل السوء لا الأحسن في مقابل الحسن، بقرينة (حتى) فإذا رآه في حانة مثلاً واحتمل أنه جاء لشرب الخمر أو نصح البائع، أو سمع منه كلمة لم يعلم أنه قال (السام عليك) أو (السلام عليك) وهكذا حمله على الصحيح.

(ما يغلبك منه) أي يغلب على حملك الصحيح بأن قام الدليل على أن عمله كان فاسداً.

فصل في تحريم إخافة المؤمن

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من نظر إلى مؤمن نظرة ليخيفه بها أخافه الله عزوجل يوم لا ظل إلاّ ظله»[2].

أقول: (ليخيفه) وإن لم تحصل الإخافة فعلاً، بل كان مجرد قصد الإخافة، لكن مقتضى ذلك أن يكون بدون تحقق الخوف حراماً وذلك ينافي عدم حرمة التجري، اللهم إلاّ أن يقال: إن المراد من (ليخيفه) تحقق الإخافة فعلاً.

وعن أبي إسحاق الخفاف، عن بعض الكوفيين، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فلم يصبه فهو في النار، ومن روع مؤمناً بسلطان ليصيبه منه مكروه فأصابه فهو مع فرعون وآل فرعون في النار»[3].

وعن فاطمة بنت الرضا، عن أبيها، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: «لا يحل لمسلم أن يروع مسلماً»[4].

---

(١) الأصول: ص٤٧٤.

(٢) الأصول: ص٤٧٧.

(٣) الأصول: ص٤٧٧، عقاب الأعمال: ص٣٢.

(٤) عيون الأخبار: ص٢٢٨.

فصل في تحريم المعونة على قتل المؤمن وأذاه ولو بشطر كلمة

عن حماد بن عثمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، أو عمن ذكره عنه، قال: «يجيء يوم القيامة رجل إلى رجل حتى يلطخه بدمه والناس في الحساب، فيقول: يا عبد الله ما لي ولك، فيقول: أعنت عليّ يوم كذا وكذا فقتلت»[١].

وعن محمد بن عبيد بن مدرك، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من أعان على مؤمن بشطر كلمة لقي الله عزوجل وبين عينيه مكتوب: آيس من رحمة الله»[٢].

أقول: (بشطر كلمة) مثلاً استشاره الجائر في قتله فقال (ن) ولم يتمه بـ (عم) من (نعم).

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن العبد يحشر يوم القيامة وما أدمى دماً، فيدفع إليه شبه المحجمة أو فوق ذلك فيقال له: هذا سهمك من دم فلان، فيقول: يا رب إنك تعلم أنك قبضتني وما سفكت دماً، قال: بلى وما سمعت من فلان ابن فلان كذا وكذا فرويتها عنه، فنقلت حتى صار إلى فلان فقتله عليها فهذا سهمك من دمه»[٣].

أقول: ومن الواضح أن وراء ذلك عقاب المشارك في القتل، بالإضافة إلى الفضيحة أمام الناس في كونه مشاركاً.

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من أعان على المؤمن بشطر كلمة لقي الله عزوجل يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من

---

(١) عقاب الأعمال: ص٤٢.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص١٢٤، المحاسن: ص١٠٣.

(٣) المحاسن: ص١٠٤.

رحمتي»[1].

فصل في تحريم النميمة والمحاكاة

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ألا أنبؤكم بشراركم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، الباغون للبراء المعائب»[2].

وعن محمد بن قيس، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الجنة محرمة على القتاتين المشائين بالنميمة»[3].

وعن أبي ألحسن الأصفهاني، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «شراركم المشاؤون بالنميمة، المفرقون بين الأحبة، المبتغون للبراء المعائب»[4].

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصية له، قال: «يا أباذر، لا يدخل الجنة القتات»، قلت: يا رسول الله ما القتات، قال: «النمام، يا أباذر صاحب النميمة لا يستريح من عذاب الله في الآخرة»[5].

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أربعة يؤذون أهل النار على ما بهم من الأذى يسقون من الحميم والجحيم، ينادون بالويل والثبور، يقول أهل النار بعضهم لبعض: ما بال هؤلاء الأربعة قد آذونا على ما بنا

---

(١) الأصول: ص٤٧٧.

(٢) الأصول: ص٤٧٧.

(٣) الأصول: ص٤٧٧.

(٤) الأصول: ص٤٧٧.

(٥) المجالس: ص٣٤١.

من الأذى، فرجل معلق عليه تابوت من جمر، ورجل يجر أمعاءه، ورجل يسيل فوه قيحاً ودماً، ورجل يأكل لحمه، فيقال لصاحب التابوت: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد مات وفي عنقه أموال الناس لم يجد لها أداءً ولا وفاءً، ثم يقال للذي يجر أمعاؤه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد كان لا يبالي أين أصاب البول من جسده، ثم يقال للذي يسيل فوه قيحاً ودماً: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد كان يحاكي، ينظر إلى كل كلمة خبيثة فيسندها فيحاكي بها، ثم يقال للذي يأكل لحمه: ما بال الأبعد قد آذانا على ما بنا من الأذى، فيقول: إن الأبعد كان يأكل لحوم الناس بالغيبة ويمشي بالنميمة»[١].

أقول: (من جمر) أي هو في تابوت من جمر النار، ومع ذلك التابوت معلق حتى يكون أذاه أكثر بالنار وبالتعليق، (الأبعد) أي ما بالك والأبعد من باب الدعاء عليه بالبعد، (يحاكي) أي يقلد الكلمة الخبيثة مسنداً لها إلى صاحبها ليستهزئ بذلك على صاحب الكلمة.

وعن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال في خطبة له: «ومن مشي في نميمة بين اثنين سلط الله عليه في قبره ناراً تحرقه إلى يوم القيامة، وإذا خرج من قبره سلط الله عليه تنيناً أسود ينهش لحمه حتى يدخل النار»[٢].

أقول: (التنين) الحية الكبيرة.

وعن علي بن غالب البصري، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا يدخل الجنة سفاك الدم، ولا مدمن الخمر، ولا مشاء بنميمة»[٣].

وعن زيد بن علي، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال علي (عليه السلام): «يحرم الجنة على ثلاثة،

---

(١) عقاب الأعمال: ص٢٨، الأمالي: ص٣٤٦.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤٧.

(٣) عقاب الأعمال: ص١٢.

على المنان، وعلى القتات، وعلى مدمن الخمر»[1].

وعن علي بن جعفر، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: «حرمت الجنة على ثلاثة، النمام ومدمن الخمر والديوث وهو الفاجر»[2].

أقول: (الفاجر) الذي يجمع بين نساء أقاربه أو زوجته وبين الأجانب، أو المراد أعم من ذلك.

وعن الربيع صاحب المنصور، إن الصادق (عليه السلام) قال للمنصور: «لا تقبل في ذي رحمك وأهل الرعاية من أهل بيتك قول من حرم الله عليه الجنة ومآواه النار، فإن النمام شاهد زور وشريك ابليس في الإغراء بين الناس، وقد قال الله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾[3]، وأن كان يجب عليك أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك فإن المكافي ليس بالواصل، إنما الواصل الذي إذا قطعته رحم وصلها» الحديث[4].

أقول: (وأن كان) أن مخففة من الثقيلة، أي أن المؤكد عليك... (فإن المكافي) يعني لو فرض صدق الواشي فإن الواجب عليك الصلة وإن كان الطرف قطع الرحم، وبهذا فقد بين له الإمام (عليه السلام) أمرين:

١: إن الواشي كاذب.

٢: إنه على فرض صدقه يلزم عليك الصلة لا القطع.

وعن أبي سعيد هاشم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أربعة لا يدخلون الجنة، الكاهن والمنافق ومدمن الخمر والقتات وهو النمام»[5].

---

(١) عقاب الأعمال: ص١٢.

(٢) عقاب الأعمال: ص١٢.

(٣) سورة الحجرات: ٦.

(٤) المجالس: ص٣٦٤.

(٥) المجالس: ص٣٤٣.

وعن يونس بن ظبيان، عن الصادق (عليه السلام)، قال: «بينما موسى (عليه السلام) يناجي ربه إذ رأى رجلاً تحت ظل عرش الله، فقال: يا رب من هذا الذي قد أظله عرشك، قال: هذا كان باراً بوالديه ولم يمش بالنميمة»[1].

أقول: (رأى) إما رآه وقد مات، وإما رآه أنه كذلك وهو حي، على ما فسرنا مثل ذلك فيما تقدم من (المشي) في جهنم أو في الجنة.

وعن صفوان بن يحيى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله أوحى إلى موسى (عليه السلام) أن بعض أصحابك ينم عليك فأحذره، فقال: يا رب لا أعرفه، فأخبرني به حتى أعرفه، فقال: يا موسى عبت عليه النميمة وتكلفني أن أكون نماما، فقال: يا رب وكيف أصنع، قال: يا موسى فرق أصحابك عشرة عشرة ثم تقرع بينهم، فإن السهم يقع على العشرة التي هو فيهم، ثم تفرقهم وتقرع بينهم فإن السهم يقع عليه، قال: فلما رأى الرجل أن السهام تقرع قام فقال: يا رسول الله أنا صاحبك لا والله لا أعود أبداً»[2].

أقول: (وتكلفني أن أكون نماماً) كان هذا من باب التعليم، وإلاّ فلا منع من إعلام الله سبحانه بالمفسدين، كما أن تعليمه سبحانه بالقرعة كان نوعاً آخر من التعليم بأن النمام من هو، والحاصل إن في القصة تأكيداً على وجوب اجتناب النميمة مهما أمكن.

وعن حذيفة، قال: سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: «لا يدخل الجنة قتات»[3].

---

(١) المجالس: ص١٠٨.

(٢) وسائل الشيعة: ج٥ ص٦١٩.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص٢٤٣، الفقيه: ج٢ ص١٩٥.

فصل في استحباب النظر إلى الصلحاء من ذرية النبي (ص)

عن الحسين بن خالد، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال: «النظر إلى ذريتنا عبادة»، قلت: النظر إلى الأئمة منكم أو النظر إلى ذرية النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال: «بل النظر إلى جميع ذرية النبي (صلى الله عليه وآله) عبادة ما لم يفارقوا منهاجه ولم يتلوثوا بالمعاصي»[1].

أقول: (يفارقوا) أي في أصول الدين.

فصل في استحباب النظر إلى الوالدين

وإلى الكعبة وإلى المصحف وإلى وجه العالم

عن محمد بن على بن الحسين، قال: «روي أن النظر إلى الكعبة عبادة، والنظر إلى الوالدين عبادة، والنظر إلى المصحف من غير قراءة عبادة، والنظر إلى وجه العالم عبادة، والنظر إلى آل محمد عبادة»[2].

أقول: أي حتى إذا كان بدون قراءة، ولعل آل محمد (صلى الله عليه وآله) يشمل كل السادة.

(١) عيون الأخبار: ص٢١٤، الأمالي: ص١٧٦.

(٢) الفقيه: ج١ ص٧٣.

فصل في استحباب التجارة واختيارها على أسباب الرزق

عن جميل بن صالح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في قول الله عزوجل: ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾[1]، قال: «رضوان الله والجنة في الآخرة والسعة في الرزق والمعاش وحسن الخلق في الدنيا»[2].

أقول: قد تقدم أن المراد بـ (حسنة) الجنس، فتشمل كل أفرادها الممكنة، لسريان الطبيعة في كل أفرادها، وما ذكر في الرواية إنما هو من باب بعض المصاديق.

وعن المعلى بن خنيس، قال: رآني أبو عبد الله (عليه السلام) وقد تأخرت عن السوق، فقال: «اغد إلى عزك»[3].

وبإسناده عن روح، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»[4].

وعن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

---

(١) سورة البقرة: ٢٠١.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥١، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٦٣.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٧٧.

«البركة عشرة أجزاء، تسعة أعشارها في التجارة، والعشر الباقي في الجلود»[1].

أقول: (الجلود) يعني الحيوانات ذوات الجلد، كالبقر والغنم والإبل، والعدد من باب الغلبة لا الحصر.

وعن الحسين بن زيد، عن أبيه زيد بن علي، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «تسعة أعشار الرزق في التجارة، والجزء الباقي في السابيا يعني الغنم»[2].

وبإسناده عن علي (عليه السلام) في حديث الأربعمائة، قال: «تعرضوا للتجارات، فإن لكم غنى عما في أيدي الناس، وإن الله عزوجل يحب المحترف الأمين، المغبون غير محمود ولا مأجور»[3].

أقول: (غير محمود) لا يحمده الناس بل يقولون له لماذا لم تفتح عينك حتى لا تغش، ولا مأجور عند الله سبحانه.

وعن علي (عليه السلام) في بيان معايش الخلق، إلى أن قال: «وأما وجه التجارة فقوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين لأجل مسمى فاكتبوه﴾[4] الآية، فعرفهم سبحانه كيف يشترون المتاع في الحضر والسفر وكيف يتجرون إذ كان ذلك من أسباب المعاش»[5].

وعن محمد الزعفراني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من طلب التجارة استغنى عن الناس»، قلت: وإن كان معيلاً، قال: «وإن كان معيلاً، إن تسعة أعشار الرزق في التجارة»[6].

---

(١) الخصال: ج٢ ص٥٩.

(٢) الخصال: ج٢ ص٩٥.

(٣) الخصال: ج٢ ص١٦١.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٢.

(٥) المحكم والمتشابة: ص٥٩.

(٦) الفروع: ج١ ص٣٧٠، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

وعن ابن بكير، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «التجارة تزيد في العقل»[1].

أقول: لأن التجارة عمل، والعقل إنما يزيد بالممارسة والعمل، في أي بعد من أبعاد العمل، بالنسبة إلى زيادة العقل في ذلك البعد.

وعن هشام بن أحمر، قال: كان أبو الحسن (عليه السلام) يقول لمصادف: «اغد إلى عزك» أعني السوق[2].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «تعرضوا للتجارة، فإن فيها غنى لكم عما في أيدي الناس»[3].

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال للموالي: «اتجروا بارك الله لكم، فإني سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: الرزق عشرة أجزاء، تسعة أجزاء في التجارة، وواحد في غيرها»[4].

أقول: الموالي كانوا مهانين عند الدولة، وسائر العرب كانوا ينظرون إليهم نظرهم إلى العبيد، فعلمهم الإمام (عليه السلام) ما يغنيهم حتى لا ينظر اليهم بازدراء.

وعن علي بن عقبة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) لمولى له: «يا عبد الله احفظ عزك»، قال: وما عزي جعلت فداك، قال: «غدوك إلى سوقك، وإكرامك نفسك»، وقال لآخر مولى له: «ما لي أراك تركت غدوك إلى عزك»، قال: جنازة أردت أن أحضرها، قال: «فلا تدع الرواح إلى عزك»[5].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٠، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٠، الفقيه: ج٢ ص٦٣.

(٤) الفروع: ج١ ص٤٢٢، الفقيه: ج٢ ص٦٣.

(٥) التهذيب: ج٢ ص١١٩.

فصل في كراهة ترك التجارة

عن حماد بن عثمن، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ترك التجارة ينقص العقل»[1].

أقول: تقدم وجهه.

وعن فضيل بن يسار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أي شيء تعالج»، فقلت: ما أعالج اليوم شيئاً، فقال: «كذلك تذهب أموالكم»، واشتد عليه[2].

وعن فضيل الأعور، قال: شهدت معاذ بن كثير، قال لأبي عبد الله (عليه السلام): إني قد أيسرت فأدع التجارة، فقال: «إنك إن فعلت قل عقلك أو نحوه»[3].

وعن معاذ بن بياع الأكسية، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «يا معاذ أضعفت عن التجارة أو زهدت فيها»، قلت: ما ضعفت عنها ولا زهدت فيها، قال: «فما لك»، قلت: كنا ننظر أمراً وذلك حين قتل الوليد وعندي مال كثير وهو في يدي وليس لأحد علي شيء ولا أراني آكله حتى أموت، فقال: «لا تتركها فإن تركها مذهبة للعقل، اسع على عيالك وإياك أن يكونوا هم السعاة عليك»[4].

وعن أسباط بن سالم، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام)، فسألنا عن عمر بن مسلم ما فعل، فقلت: صالح ولكنه قد ترك التجارة، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «عمل الشيطان» ثلاثاً «أما علم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشترى عيراً أتت من الشام فاستفضل فيها ما قضي دينه وقسم في قرابته، يقول الله عزوجل: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[5] إلى آخر الآية. يقول القصاص: إن القوم لم يكونوا

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٠، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٠.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٠، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٠، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٥) سورة النور: ٣٧.

يتجرون كذبوا ولكنهم لم يكونوا يدعون الصلاة في ميقاتها، وهم أفضل ممن حضر الصلاة ولم يتجر»[1].

أقول: أي قال ثلاث مرات: إن تركه التجارة من إيماء الشيطان إليه.

عن الفضل بن أبي قرة، قال: سأل أبو عبد الله (عليه السلام) عن رجل وأنا حاضر، فقال: «ما حبسه عن الحج»، فقيل: ترك التجارة وقل شيئه، قال: وكان متكئاً فاستوى جالساً ثم قال لهم: «لا تدعوا التجارة فتهونوا، اتجروا بارك الله لكم»[2].

وعن معاذ بن كثير بياع الأكسية، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني قد هممت أن أدع السوق وفي يدي شيء، فقال: «إذاً يسقط رأيك ولا يستعان بك على شيء»[3].

أقول: يسقط رأيك لأن غير الممارس ينسي المخارج والمداخل، ولا يستعان لأن غير وافر المال لا يحترم عند أصحاب الأموال.

وعن فضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني قد كففت عن التجارة وأمسكت عنها، قال: «ولم ذلك، أعجز بك، كذلك تذهب أموالكم، لا تكفوا عن التجارة والتمسوا من فضل الله عزوجل»[4].

وعن محمد بن مسلم، وكان ختن بريد العجلي، قال بريد لمحمد: سل لي أبا عبد الله (عليه السلام) عن شيء أريد أن أصنعه، إن للناس في يدي ودايع وأموالاً أتقلب فيها، وقد أردت أن أتخلى من الدنيا وأدفع إلى كل ذي حق حقه، قال: فسأل محمد أبا عبد الله (عليه السلام) عن ذلك وخبره بالقصة وقال: ما ترى له، فقال: «يا محمد أيبدأ نفسه

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٨، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٠، الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧١.

بالحرب، لا ولكن يأخذ ويعطي على الله عزوجل»[1].

أقول: (بالحرب) أي تركه ذلك يساوق محاربته لنفسه قبل أن يحاربه الناس.

وعن أسباط بن سالم بياع الزطي، قال: سئل أبو عبد الله (عليه السلام) يوماً وأنا عنده عن معاذ بياع الكرابيس فقيل: ترك التجارة، فقال: «عمل الشيطان، من ترك التجارة ذهب ثلثا عقله، أما علم أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قدمت عير من الشام فاشترى منها واتجر فربح فيها ما قضى دينه»[2].

أقول: كأن ثلث العقل في باقي أنحاء الاسترزاق، وثلثيه في التجارة، وقد تقدم: «تسعة أعشار الرزق في التجارة»، والظاهر أن المراد التثليث عرفياً لا هندسياً، أي أكثر العقل، وكل ذلك من جهة التجارة وفي بعدها لا سائر الجهات إذ كل جهة عقل يدير تلك الجهة.

وعن الفضيل بن يسار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني قد تركت التجارة، قال: «فلا تفعل، افتح بابك وأبسط بساطك واسترزق الله ربك»[3].

قال: وقال لصادق (عليه السلام): «التجارة تزيد في العقل»[4].

قال: وقال (عليه السلام): «ترك التجارة مذهبة للعقل»[5].

وعن روح بن عبد الرحيم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[6]، قال: «كانوا أصحاب تجارة فإذا حضرت

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١١٩.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥٤.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٦٣.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٦٣.

(٦) سورة النور: ٣٧.

الصلاة تركوا التجارة وانطلقوا إلى الصلاة وهم أعظم أجراً ممن لم يتجر»[1].

فصل في استحباب طلب الرزق

وعن علي بن عقبة، قال: كان أبو الخطاب قبل أن يفسد وهو يحمل المسائل لأصحابنا ويجيء بجواباتها، روى عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «اشتروا إن كان غالياً فإن الرزق ينزل مع الشراء»[2].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: ذكر عند علي بن الحسين (عليه السلام) غلا السعر، فقال: «وما علي من غلائه، إن غلا فهو عليه وإن رخص فهو عليه»[3].

أقول: لا شك في أن الغلاء يوجب تقلص أرزاق الفقراء، كما ثبت في علم الاقتصاد، لكن لا شك أيضاً في أن الغلاء لا يوجب انقطاع الرزق، بل يأتي الإنسان الرزق بقدر الغلاء كما كان يأتيه الرزق بقدر الرخص، والظاهر أن الإمام (عليه السلام) أشار إلى الثاني لا إلى الأول حتى يقال إنه ينافي الموازين الاقتصادية.

وعن عبد الله بن الحجاج، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: إن محمد بن المنكدر كان يقول: ما كنت أظن (أرى خ ل) أن علي بن الحسن (عليه السلام) يدع خلقاً أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي (عليه السلام) فأردت أن أعظه فوعظني، فقال له أصحابه بأي شيء وعظك، فقال: خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقاني أبو جعفر محمد بن علي (عليه السلام) وكان رجلاً بادناً ثقيلاً وهو متكئ على غلامين أسودين أو موليين، فقلت في نفسي: سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا، أما أني لأعظنه، دنوت منه فسلمت عليه، فرد عليّ بنهر

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٦٣.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧١، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٣) التهذيب: ج٢ ص٩٧، الفروع: ج١ ص٥٠.

(ببهر خ ل) وهو يتصاب عرقاً، فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحالة في طلب الدنيا، أرأيت لو جاء أجلك وأنت على هذه الحال، فقال: «لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة من طاعة الله عزوجل، أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس، وإنما كنت أخاف لو أن جاءني الموت وأنا على (في خ ل) معصية من معاصي الله»، فقلت: صدقت يرحمك الله أردت أن أعظك فوعظتني[1].

وعن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: استقبلت أبا عبد الله (عليه السلام) في بعض طرق المدينة في يوم صائف شديد الحر، فقلت: جعلت فداك حالك عند الله عزوجل وقرابتك من رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنت تجهد نفسك (لنفسك خ ل) في مثل هذا اليوم، فقال: «يا عبد الأعلى خرجت في طلب الرزق لأستغني به عن مثلك»[2].

وعن أيوب أخي أديم بياع الهروي، قال: كنا جلوساً عند أبي عبد الله (عليه السلام) إذ أقبل علاء بن كامل، فجلس قدام أبي عبد الله (عليه السلام) فقال: ادع الله أن يرزقني في دعة، قال: «لا أدعو لك، اطلب كما أمرك الله عزوجل»[3].

أقول: لأن الرزق ليس في الدعة وإنما في الكد والطلب، وقد جرت مقادير الله سبحانه على إعطاء المسببات بسبب الأسباب.

وعن موسى بن بكر، قال: قال لي أبو الحسن موسى (عليه السلام): «من طلب هذا الرزق من حله ليعود به على نفسه وعياله كان كالمجاهد في سبيل الله» الحديث[4].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام): «من طلب الدنيا استعفافاً عن الناس

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٨، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٨، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٩، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥٣، التهذيب: ج٢ ص٥٩.

وسعياً على أهله وتعطفاً على جاره لقي الله عزوجل يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر»[١].

وعن أبي خالد الكوفي رفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (عليه السلام): «العبادة سبعون جزءاً أفضلها طلب الحلال»[٢].

أقول: (سبعون) من باب ذكر (الكثرة)، أو حقيقة تظهر بالسبر والتقسيم في أقسام العبادات، ولا يخفى أن كون طلب الحلال من العبادة بحاجة إلى النية والقربة.

وعن كليب الصيداوي، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): ادع الله في الرزق فقد التاثت عليّ أموري، فأجابني مسرعاً: «لا، اخرج فاطلب»[٣].

أقول: كان الراوي يريد الاكتفاء بالدعاء عن العمل، فأرشده الإمام (عليه السلام) إلى لزوم العمل بالاضافة إلى الدعاء.

وعن صفوان، عن خالد بن نجيح، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «اقرأوا من لقيتم من أصحابكم السلام وقولوا لهم: إن فلان بن فلان يقرؤكم السلام، وقولوا لهم: عليكم بتقوى الله، وما ينال به ما عند الله، إني والله ما آمركم إلاّ بما نأمر به أنفسنا، فعليكم بالجد والاجتهاد، وإذا صليتم الصبح فانصرفتم فبكروا في طلب الرزق واطلبوا الحلال فإن الله سيرزقكم ويعينكم عليه»[٤].

وعن أبان، عن العلاء، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أيعجز أحدكم أن يكون

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٩، ثواب الأعمال: ص٩٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٩، التهذيب: ج٢ص٩٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

مثل النملة، فإن النملة تجر إلى جحرها»[1].

وعن القاسم بن محمد، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قيل له: ما بال أصحاب عيسى (عليه السلام) كانوا يمشون على الماء وليس ذلك في أصحاب محمد (صلى الله عليه وآله)، فقال: «إن أصحاب عيسى (عليه السلام) كفوا المعاش وإن هؤلاء ابتلوا بالمعاش»[2].

أقول: الحديث ضعيف السند، ولو كان صادراً عنه (عليه السلام) أريد بذلك إن الحواريين حيث كانوا في حال خوف من السلاطين وكانوا في حال بلاغ الدين الجديد كان الواجب عليهم أن يهربوا من مكان إلى مكان، وكانوا يبلغون أينما كانوا، ولذا أعطاهم الله سبحانه الرزق من الغيب بينما ليس كذلك أصحاب الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولذا كان تحصيل المعاش على أنفسهم، فإن الحق يعطى بقدر الواجب، وربما يقال: إن أصحاب عيسى (عليه السلام) كانوا قليلين ويسيحون معه (عليه السلام) فكان لهم وقت الرياضة وهي توجب قوة الروح، بخلاف غير المرتاض، والأول ينجي نفسه والثاني العالم.

وعن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا ضاق أحدكم فليعلم أخاه ولا يعن على نفسه»[3].

أقول: (فليعلم) بضيقة حتى يساعده أخوه، (ولا يعن) أي لا يضغط على نفسه.

وعن السكوني، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا أعسر أحدكم فليخرج ولا يغم نفسه وأهله»[4].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يخرج في الهاجرة

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٧، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٠٠.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١٠٠.

في الحاجة قد كفاها يريد أن يراه الله يتعب نفسه في طلب الحلال»[1].

أقول: (أن يراه) أي يراه حيث أمره سبحانه.

قال: وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الله يحب المحترف الأمين»[2].

وعن إسماعيل بن مسلم، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «العبادة سبعون جزءاً أفضلها جزءاً طلب الحلال»[3].

وعن إسماعيل بن مسلم، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من بات كالاً من طلب الحلال بات مغفوراً له»[4].

فصل في كراهة ترك طلب الرزق

عن عمر بن يزيد، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أرأيت لو أن رجلاً دخل بيته وأغلق بابه أكان يسقط عليه شيء من السماء»[5].

أقول: هذا استفهام إنكار، أي لا تفعل ذلك.

وعن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل قال: لأقعدن في بيتي ولأصلين ولأصومن ولأعبدن ربي، فأما رزقي فسيأتيني، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم»[6].

وعن سليمان بن معلى بن خنيس، عن أبيه، قال: سأل أبو عبد الله (عليه السلام) عن رجل وأنا عنده فقيل: أصابته الحاجة، قال: «فما يصنع اليوم»، قيل: في البيت يعبد

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٢.

(٣) معاني الأخبار: ص١٠٤، ثواب الأعمال: ص٩٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٣.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٤٩.

(٦) الفروع: ج١ ص٣٤٩، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

ربه، قال: «فمن أين قوته»، قيل: من عند بعض إخوانه، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «والله للذي يقوته أشد عبادة منه»[١].

وعن هشام الصيداني (الصيدلاني خ ل)، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا هشام إن رأيت الصفين قد التقيا فلا تدع طلب الرزق في ذلك اليوم»[٢].

أقول: إذ لا منافاة بين الأمرين حيث يبيع ويشتري في وقت الفراغ من الحرب.

وعن شهاب بن عبد ربه، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «إن ظننت أو بلغك أن هذا الأمر كائن في غد فلا تدعن طلب الرزق، وإن استطعت أن لا تكون كلاً فافعل»[٣].

أقول: هذا الأمر أي ظهور الإمام المهدي (عليه السلام).

وعن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل، قال: «وفي غير آية من كتاب الله أنه لا يحب المسرفين فناهم عن الإسراف ونهاهم عن التقتير، لكن أمر بين أمرين، لا يعطي جميع ما عنده ثم يدعو الله أن يرزقه فلا يستجيب له، وللحديث الذي جاء عن النبي (صلى الله عليه وآله): إن أصنافاً من أمتي لا يستجاب لهم دعاؤهم، رجل يدعو على والديه، ورجل يدعو على غريم ذهب له بماله فلم يكتب عليه ولم يشهد عليه، ورجل يدعو على امرأته وقد جعل الله عزوجل تخلية سبيلها بيده، ورجل يقعد في بيته ويقول: يا رب ارزقني، ولا يخرج ولا يطلب الرزق، فيقول الله عزوجل له: عبدي ألم أجعل لك السبيل إلى الطلب والتصرف في الأرض بجوارح صحيحة فتكون قد أعذرت فيما بيني وبينك في الطلب لاتباع أمري ولكيلا تكون كلاً على أهلك، فإن شئت رزقتك وإن شئت قترت عليك وأنت معذور عندي،

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٩، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٩، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

ورجل رزقه الله مالاً كثيراً فأنفقه ثم أقبل يدعو يا رب ارزقني، فيقول الله عزوجل: ألم أرزقك رزقاً واسعاً فهلا اقتصدت فيه كما أمرتك ولم تسرف، وقد نهيتك عن الإسراف، ورجل يدعو في قطيعة رحم»[١].

أقول: بعض الأدعية لا يستجاب لأنه محرم، وبعض الأدعية لا يستجاب لأنه ليس في موضع الدعاء، (فإن شئت رزقتك) أي إذا طلبت ترزق إما رزقاً كثيراً أو قليلاً.

وعن علي بن عبد العزيز، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما فعل عمر بن مسلم»، قلت: جعلت فداك أقبل على العبادة وترك التجارة، فقال: «ويحه أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له (دعوة)، إن قوماً من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما نزلت ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾[٢]، أغلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا: قد كفينا، فبلغ ذلك النبي (صلى الله عليه وآله) فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم، فقالوا: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) تكفل (الله) لنا بأرزاقنا فأقبلنا على العبادة، فقال: إنه من فعل ذلك لم يستجب له، عليكم بالطلب»[٣].

أقول: وراء الأسباب الظاهرة الأسباب الخفية، فمن زعم أن أحدهما يكفي عن الآخر، لدليل هذا وحده أو دليل ذاك وحده، كان خاطئاً، كمن يزعم أن بالدعاء يأتيه الولد، أو يزعم أن بالزواج يأتيه، ولذا قد يتزوج ولا يحصل على الأولاد، كما أنه إذا لم يتزوج لا يرزق ولو دعا.

وعن هارون بن حمزة مثله، وقال: «إني لأبغض الرجل فاغراً فاه إلى ربه فيقول ارزقني ويترك الطلب»[٤].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٥.

(٢) سورة الطلاق: ٢ ـ ٣.

(٣) التهذيب: ج٢ ص٩٨، الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٤) التهذيب: ج٢ ص٩٨، الفروع: ج١ ص٣٥١.

وعن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إني لأركب في الحاجة التي كفانيها الله ما أركب فيها إلاّ لالتماس أن يراني الله أضحي في طلب الحلال، أما تسمع قول الله عزوجل: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله﴾[1]، أرأيت لو أن رجلاً دخل بيتاً وطين بابه وقال رزقي ينزل عليّ كان يكون هذا، أما أنه يكون أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم دعوة»، قلت: من هؤلاء، قال: «رجل عنده المرأة فيدعو عليها فلا يستجاب له، لأن عصمتها في يده ولو شاء أن يخلي سبيلها، والرجل يكون له الحق على الرجل فلا يشهد عليه فيجحده حقه فيدعو عليه فلا يستجاب له لأنه ترك ما أمر به، والرجل يكون عنده الشيء فيجلس في بيته فلا ينتشر ولا يطلب ولا يلتمس الرزق حتى يأكله فيدعو فلا يستجاب له»[2].

أقول: تقدم الكلام في أمثال هذا الحديث.

فصل في استحباب الاستعانة بالدنيا على الآخرة

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نعم العون على تقوى الله الغنى»[3].

وعن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «نعم العون على الآخرة الدنيا»[4].

وعن ذريح بن يزيد المحاربي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «نعم العون الدنيا على الآخرة»[5].

---

(١) سورة الجمعة: ١٠.

(٢) عدة الداعي: ص٦٣.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٧، الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٤٧، الفقيه: ج٢ ص٥١.

قال: وقال أبو جعفر (عليه السلام): «إني أجدني أمقت الرجل متعذر المكاسب فيستلقي على قفاه ويقول: اللهم ارزقني، ويدع أن ينتشر في الأرض ويلتمس من فضل الله، فالذرة تخرج من جحرها تلتمس رزقها»[1].

وعن علي الأحمسي، عن رجل، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «نعم العون الدنيا على طلب الآخرة»[2].

وعن أبي البختري رفعه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اللهم بارك لنا في الخبز، ولا تفرق بيننا وبينه، فلولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا»[3].

أقول: الخبز من باب المثال الغالب، وإلاّ فكل قوت كذلك، حتى أن الصياد الذي لا يحصل إلاّ على السمك يكون سمكه كذلك.

وعن أحمد بن محمد بن خالد، رفعه قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «غنى يحجزك عن الظلم خير من فقر يحملك على الإثم»[4].

أقول: كل واحد من الغنى والفقر حسن من ناحية، وسيء من ناحية، لكن الغنى خيرهما بالنتيجة، لكن لما قال الله تعالى: ﴿إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى﴾[5]، كان العرف العام على سوء الغنى من هذه الجهة، والإمام (عليه السلام) نبه على أن الغنى إذا فرض سوؤه، فهو خير إذا سبب الكف عن الظلم، لأنه لا يأكل أموال الناس بالباطل، مما قد يفعله الفقير الجائع، والحاصل إن القضية فرضية في الطرفين.

وعن عبد الله بن سنان، عن عدة من أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٤٨، الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٥) سورة العلق: ٦.

رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يصبح المؤمن أو يسمي على ثكل خير له من أن يصبح ويمسي على حرب، فنعوذ بالله من الحرب»[1].

أقول: الثكل موت بعض الأرحام أو أحد الزوجين بالنسبة إلى الآخر، والحرب احتراق مال الإنسان أو ذهابه، والإنسان بدون الرحم يتمكن من العيش بخلاف ما إذا لم يكن مال، نعم يختلف الناس في دوران الأمر بينهما في ترجيح هذا أوذاك، قال الحسين (عليه السلام) عند دفنه الحسن (عليه السلام) :

وليس حريباً من أصيب بماله

ولكن من وارى أخاه حريب.

وعن الحسين بن محمد، عن جعفر بن محمد، عن القاسم بن الربيع، في وصية المفضل بن عمر، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «استعينوا ببعض هذه على هذه، ولا تكونوا كلولاً على الناس»[2].

أقول: لعل الإمام أشار في (هذه) الأولى إلى اليد، وفي (هذه) الثانية إلى البطن، أي استعينوا لشبع البطن بعمل اليد.

وعن علي بن غراب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ملعون من ألقى كلّه على الناس»[3].

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن الرضا (عليه السلام)، قال: قلت له: إن الكوفة قد نبت بي والمعاش بها ضيق وإنما كان معاشنا ببغداد، وهذا الجبل قد فتح على الناس منه باب رزق، فقال: «إن أردت الخروج فاخرج، فإنها سنة مضطرب وليس للناس بد من طلب معاشهم فلا تدع الطلب»[4].

أقول: (نبت) أي لا تحملني، يقال نبى به إذا قذفه فلم يتحمله.

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٧.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٧، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

(٤) قرب الإسناد: ص١٦٤.

فصل في استحباب جمع المال من الحلال لفعل المعروف

عن عمرو بن جميع، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لا خير فيمن لا يحب جمع المال من حلال يكف به وجهه ويقضي به دينه ويصل به رحمه»[1].

وعن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «اسألوا الله الغنى في الدنيا والعافية، وفي الآخرة المغفرة والجنة»[2].

وعن عبد الله بن أبي يعفور، قال: قال رجل لأبي عبد الله (عليه السلام): والله إنا لنطلب الدنيا ونحب أن نؤتاها (منها خ ل)، فقال: «تحب أن تصنع بها ماذا»، قال: أعوذ بها على نفسي وعيالي وأصل بها وأتصدق بها وأحج وأعتمر، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ليس هذا طلب الدنيا، هذا طلب الآخرة»[3].

وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «لا يجتمع المال إلاّ بخصال خمس: ببخل شديد، وأمل طويل، وحرص غالب، وقطيعة الرحم، وإيثار الدنيا على الآخرة»[4].

أقول: أي المال الحرام.

وعن عمر بن سيف الأزدي، قال: قال لي أبو عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام): «لا تدع طلب الرزق من حله، فإنه عون لك على دينك، واعقل راحلتك وتوكل»[5].

أقول: (اعقل راحلتك) أشار الإمام (عليه السلام) إلى كلام النبي (صلى الله عليه وآله): «اعقل وتوكل»، لبيان أن ملاكه موجود في طلب الرزق، فاللازم على الإنسان أن يطلب الرزق

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٧، الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٧.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٨، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

(٤) عيون أخبار الرضا: ص١٥٣.

(٥) مجالس ابن الشيخ: ص١٢٠.

ويتوكل، لا أنه يتوكل بدون الطلب، فإنه كالتوكل بدون عقال البعير.

فصل في وجوب الزهد في الحرام دون الحلال

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: ما الزهد في الدنيا، قال: «ويحك حرامها فتنكبه»[1].

أقول: (ويح) يستعمل في الخير والشر.

وعن عدة من أصحابنا، عن أحمد بن أبي عبد الله، عن الجهم بن الحكم، عن إسماعيل بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال ولا تحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما عند الله عزوجل»[2].

وعن أبي الطفيل، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «الزهد في الدنيا قصر الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عن كل ما حرم الله عزوجل»[3].

وعن سليم بن قيس الهلالي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «منهومان لا يشبعان، منهوم دنيا ومنهوم علم، فمن اقتصر من الدنيا على ما أحل الله له سلم، ومن تناولها من غير حلها هلك إلاّ أن يتوب ويراجع، ومن أخذ العلم من أهله وعمل به نجى، ومن أراد به الدنيا فهي حظه»[4].

أقول: فلا حظ له في الآخرة، بينما إذا تعلم الإنسان العلم وعلمه للآخرة أتته الدنيا وكان له النصيب الأوفر في الآخرة.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٧.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٧.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٧.

(٤) التهذيب: ج٢ ص٩٩، الأصول: ص٢٢.

فصل في استحباب العمل باليد

عن أبي أسامة زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن أمير المؤمنين (عليه السلام) أعتق ألف مملوك من كد يده»[1].

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يضرب بالمر ويستخرج الأرضين، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يمص النوى بفيه ويغرسه فيطلع من ساعته، وإن أميرالمؤمنين (عليه السلام) أعتق ألف مملوك من ماله وكد يده»[2].

أقول: يستخرج الأرضين أي ما فيها من الماء.

وبهذا الإسناد: إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «أوحى الله إلى داود (عليه السلام): إنك نعم العبد لولا أنك تأكل من بيت المال ولا تعمل بيدك شيئاً، قال: فبكى داود (عليه السلام) أربعين صباحاً، فأوحى الله إلى الحديد: أن لن لعبدي داود، فألان الله عزوجل له الحديد، فكان يعمل في كل يوم درعاً فيبيعها بألف درهم، فعمل ثلاثمائة وستين درعاً فباعها بثلاثمائة وستين ألف، واستغنى عن بيت المال»[3].

وعن عمار السجستاني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن أبيه (عليه السلام): «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) وضع حجراً على الطريق يرد الماء عن أرضه، فو الله ما نكب بعيراً ولا إنساناً حتى الساعة»[4].

أقول: كان ذلك في حافة الطريق الواسع، كما هي حالة الطرق في الصحاري حيث السعة الكبيرة في عرضها، ولذا تدارك الإمام (عليه السلام) عن سؤال أنه كيف وضع الحجر في طريق الناس.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٨، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٤٨.

وعن زرارة: إن رجلاً أتى أبا عبد الله (عليه السلام) فقال: إني لا أحسن أن أعمل عملاً بيدي، ولا أحسن أن أتجر وأنا محارف محتاج، فقال: «اعمل، فاحمل على رأسك واستغن عن الناس، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قد حمل حجراً على عنقه فوضعه في حائط من حيطانه، وإن الحجر لفي مكانه ولا يدرى كم عمقه إلاّ أنه ثم»[1].

أقول: (ثم) بفتح الثاء أي إنه موجود إلى الآن.

وعن الحسن بن أبي حمزة، عن أبيه، قال: رأيت أبا الحسن (عليه السلام) يعمل في أرض له قد استنقعت قدماه في العرق، فقلت: جعلت فداك أين الرجال، فقال: «يا علي قد عمل باليد (بالبيل خ ل) من هو خير مني ومن أبي في أرضه»، فقلت: ومن هو، فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام) وآبائي (عليهم السلام) كلهم كانوا قد عملوا بأيديهم، وهو من عمل النبيين والمرسلين والأوصياء والصالحين»[2].

وعن أبي عمرو الشيباني، قال: رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) وبيده مسحاة وعليه إزار غليظ يعمل في حائط له والعرق يتصاب عن ظهره، فقلت: جعلت فداك أعطني أكفك، فقال: «إني أحب أن يتأذى الرجل بحر الشمس في طلب المعيشة»[3].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إني لأعمل في بعض ضياعي حتى أعرق، وإن لي من يكفيني، ليعلم الله عزوجل أني أطلب الرزق الحلال»[4].

أقول: (ليعلم) أي يكون علمه خارجياً، وإلاّ فإنه يعلم كل شيء قبل وقوعه، قال سبحانه: ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين﴾[5].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٩.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٤٩، الفقيه: ج٢ ص٥٣.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٤٩.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٤٩.

(٥) سورة العنكبوت: ٣.

وعن إسماعيل بن جابر، قال: أتيت أبا عبد الله (عليه السلام) وإذا هو في حائط له وبيده مسحاة وهو يفتح بها الماء وعليه قميص شبه الكرابيس كأنه مخيط عليه من ضيقه[1].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز»[2].

وعن الفضل بن أبي قرة، قال: دخلنا على أبي عبد الله (عليه السلام) في حائط له، فقلنا: جعلنا فداك دعنا نعمله لك أو تعمله الغلمان، قال: «لا، دعوني فإني أشتهي أن يراني الله عزوجل أعمل بيدي وأطلب الحلال في أذى نفسي»[3].

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام) في قول الله عزوجل: ﴿وإنه هو أغنى وأقنى﴾[4]، قال: «أغنى كل إنسان بمعيشته وأرضاه بكسب يده»[5].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «من وجد ماءاً وتراباً ثم افتقر فأبعده الله»[6].

أقول: أي فلم يزرع، وتبعيد الله في الدنيا الفقر وما يتبعه، وفي الآخرة الحرمان عن الدرجات الرفيعة وإن كان من أهل الجنة.

فصل في استحباب الغرس والزرع والسقي

عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لقي رجل أمير المؤمنين (عليه السلام) وتحته وسق من نوى، فقال له: ما هذا يا أبا الحسن تحتك، فقال: مائة ألف عذق إن شاء الله،

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٩.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥٣.

(٤) سورة النجم: ٤٨.

(٥) معاني الأخبار: ص٦٥.

(٦) قرب الإسناد: ص٥٥.

قال: فغرسه فلم يغادر منه نواة واحدة»[1].

أقول: على هذا الحديث كان الإمام (عليه السلام) زرع ما لا يقل عن خمسمائة كيلومتر، إذ كل نخلة تحتاج إلى خمسة أمتار في أطرافها على أقل تقدير، وقد رأيت في مكان أن العيون التي استخرجها الإمام (عليه السلام) كانت أربعمائة عين ماء، وهذا يناسب النخيل المذكورة، ولو فرض أن الوسق ما يقارب مائتي كيلو وكل كيلو مائتا مثقال تقريباً وكل مثقال ثلاث نويات كان الوسق زهاء مائة الف نواة، أما عدم المغادرة فالظهر أنه خارق أو قصد المتكلم الغلبة مجازاً.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن أمير المؤمنين (عليه السلام) كان يخرج ومعه أحمال النوى، فقال له: يا أبا الحسن ما هذا معك، فيقول: نخل إن شاء الله، فيغرسه فما يغادر منه واحدة»[2].

وعن يزيد بن هارون الواسطي، قال: سألت جعفر بن محمد (عليه السلام) عن الفلاحين، فقال: «هم الزارعون، كنوز الله في أرضه، وما في الأعمال شيء أحب إلى الله من الزراعة، وما بعث الله نبياً إلاّ زراعاً إلاّ إدريس (عليه السلام) فإنه كان خياطاً»[3].

أقول: كما أن الكنز فيه مال كثير كلما أخذ منه بقي منه باق، كذلك الزارع كلما أعطى من الثمار بقي شيء حيث يزرع دائماً، فهم كالكنز في ذلك، وإنما كان أحب لأنه بالزراعة يكتفي الإنسان في طعامه ولباسه وسائر حوائجه، فإنه لو كان الماء والأرض والزرع لم يحتج الإنسان إلى شيء آخر، والمعادن والدواب وما أشبه كلها ثانويات، فهي في الدرجة الثانية من المحبة، وحب الله من باب (خذ الغايات).

---

(١) الأصول: ص٣٤٨.

(٢) الأصول: ص٣٤٩.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١١٥.

وعن أبي سعيد الخدري، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث، قال: «من سقى طلحة أو سدرة فكأنما سقى مؤمناً من ظمأ»[1].

أقول: كأن الشجرين من باب المثال، والطلح الموز، ولعل عدم ذكر النخل لضربه بجذوره الأرض فلا يحتاج إلى سقي الماء.

وعن الحسن بن ظريف، عن محمد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله: ﴿وعلى الله فليتوكل المتوكلون﴾ قال: «الزارعون»[2].

أقول: الزارعون من باب المصداق، والزارع أحوج إلى التوكل في الظاهر، لأن الزرع والثمر وما أشبه لا يكون إلاّ بأمر غيبي ظاهر للعيان، هذا بالأضافة إلى أن الغيث بيد الله وحده ظاهراً وباطناً، فالزرع المحتاج إليه الذي يزاوله الزارع لا يكون إلاّ بالتوكل، نعم كل الأشياء في غير ما بيد الإنسان وهو جزء صغير جداً، بيد الله فاللازم أن يعمل العامل ما في خطة قدرته ويتوكل على الله في ما بيده وحده.

والظاهر أن الفرق بين (وكل) من المجرد و(وكل) من باب التفعيل و(توكل) من باب التفعل، أن الأول بمعنى ترك الشيء إلى الغير، ولذا ورد في الدعاء (لا تكلنا إلى أنفسنا)، والثاني جعله وكيلاً وإن لم يكن عن كل قلبه، والثالث هو الثاني بإضافة زيادة معنى القلبية التامة، فمعناه أنه وكله من كل أعماق قلبه، أو أنه يدل على زيادة التوكيل والمبالغة فيه، أي التوكيل والاعتماد على الوكيل، بخلاف التوكيل فليس فيه معنى الاعتماد.

فصل في استحباب المضاربة

عن محمد بن عذافر، عن أبيه، قال: أعطى أبو عبد الله (عليه السلام) أبي ألفاً وسبعمائة

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٥.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٥.

دينار، فقال له: «اتجر بها لي»، ثم قال: «أما إنه ليس لي رغبة في ربحها، وإن كان الربح مرغوباً فيه، ولكني أحببت أن يراني الله عزوجل متعرضاً لفوائده»، قال: فربحت له فيه (منها) مائة دينار، ثم لقيته فقلت له: قد ربحت لك فيه مائة دينار، قال: ففرح أبو عبد الله (عليه السلام) بذلك فرحاً شديداً، ثم قال: «أثبتها (لي) في رأس مالي»، وقال: فمات أبي والمال عنده، فأرسل إليّ أبو عبد الله (عليه السلام) وكتب: «عافانا الله وإياك، إن لي عند أبي محمد ألفاً وثمانمائة دينار أعطيته يتجر بها فادفعها إلى عمر بن يزيد»، قال: فنظرت في كتاب أبي فإذا فيه: لأبي موسى (عليه السلام) عنده ألف وسبعمائة دينار واتجر له فيها مائة دينار، وعبد الله ابن سنان وعمر بن يزيد يعرفانه[1].

أقول: لعل الإمام (عليه السلام) أظهر الفرح الشديد للتأكيد على المضاربة، وهي عمل عقلائي، إذ النقد عمل متراكم، والعامل يعمل وباجتماع العملين تكون النتيجة، فيلزم أن تكون الحصة بينهما على العدل والنسبة، فزعم أنه استغلال للعمال مدفوع بالدليل، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في (فقه الاقتصاد).

وهل الإمام (عليه السلام) أخذ صكاً من العامل بذلك، لكن لم يظهره اعتماداً على الولد أو لا، احتمالان، لكن الثاني خلاف استحباب الكتابة.

وكيف كان فمن عنده مال الغير يجب أحياناً ويستحب أحياناً أن يكتب ذلك لئلا يضيع مال الناس إذا مات أو جن أو ما أشبه، كما ذكرنا تفصيل ذلك في بابي الأموات والوصية.

قال الشاعر :

أنلني بالذي استقرضت صكا

وأشهد معشراً قد شاهدوه

فإن الله خلاق البرايا

عنت لجلال هيبته الوجوه

يقول إذا تداينتم بدين

إلى أجل مسمى فاكتبوه.

(١) الفروع: ج١ ص٣٤٩، التهذيب: ج٢ ص٩٩.

فصل في وجوب الاقتصار على الرزق الحلال

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع: «ألا أن الروح الأمين نفث في روعي أنه لا تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملنكم استبطاء شيء من الرزق أن تطلبوه بمعصية الله، فإن الله تبارك وتعالى قسم الأرزاق بين خلقه حلالاً ولم يقسمها حراماً، فمن اتقى الله وصبر أتاه الله برزقه من حله، ومن هتك حجاب الستر وعجل فأخذه من غير حله قص به من رزقه الحلال وحوسب عليه يوم القيامة»[1].

أقول: (أجملوا) أي ليكن طلبكم جميلاً.

ثم إن الله خلق الإنسان وخلق ما يقيمه وربط بينهما، وجعل رزق من لا يقدر على إدارة معاش نفسه على غيره من الأبوين والأولاد ونحوهم، ولمن فقد ذلك أيضاً في بيت المال، وهذا هو الرزق الحلال، وبعض الناس يطلبون الحرام إما بدلاً عن الحلال كمن يبيع الخمر عن الخل، أو معه كمن يبيعهما.

وإذا فرض عدم تمكنه هو من الحلال ولم يقم به من وجب عليه رزقه ولا بيت المال، جاز تناول الحرام ذاتاً اضطراراً، ولا يكون حينئذ حراماً، لأنه (ما من شيء حرمه الله إلاّ وقد أحله لمن اضطر إليه) وفي هذه الرواية والروايات الآتية اشارة إلى أطراف من هذا الكلام.

أما أن الحرام يأخذ من الحلال فذلك من جهة أن قدرة تحصيل مائة دينار إذا صرفت في الحرام أو في كليهما قام الحرام مكان الحلال، وبذلك بدل صاحبه الخبيث بالطيب كلاً أو بعضاً.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حجة الوداع فقال: يا أيها الناس ما من شيء يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به، وما من شيء يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة إلاّ وقد

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٠، المقنعة: ص٩١.

نهيتكم عنه، ألا وإن الروح الأمين نفث في روعي» وذكر مثله، إلى أن قال: «إن تطلبوه من غير حله فإنه لا يدرك ما عند الله إلاّ بطاعته»[1].

وعن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «ليس من نفس إلاّ وقد فرض الله لها رزقها حلالاً يأتيها في عافية، وعرض لها بالحرام من وجه آخر، فإن هي تناولت شيئاً من الحرام قاصها من الحلال الذي فرض لها، وعند الله سواهما فضل كثير، وهو قوله عزوجل: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[2]»[3].

أقول: (من فضله) غير ما يكد الإنسان في تحصيله كالإرث وجوائز بيت المال والطيور الزائرة والأمطار إلى غير ذلك، فكلها خارج عن الاكتساب، ويأتي الإنسان من فضل الله سبحانه بلا تعب.

وعن إبراهيم بن أبي البلاد، عن أبيه، عن أحدهما (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا أيها الناس إنه قد نفث في روعي روح القدس أنه لن تموت نفس حتى تستوفي رزقها وإن أبطأ عليها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، ولا يحملكم استبطاء شيء مما عند الله أن تصيبوه بمعصية الله، فإن الله لا ينال ما عنده إلاّ بالطاعة»[4].

أقول: (ما عنده) كل شيء من عند الله، وإنما المراد ما عنده من الحلال، وإلاّ فهندسة الكون والأسباب والمسببات وقدرة الإنسان الذهنية والعملية كلها من الله سبحانه، وإلاّ فمن أين يكون الخمر، ومن أقدر الإنسان على تحصيلها، إلى غير ذلك.

وربما يقال بهذا في الآية ﴿تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً﴾[5]، وفي ﴿من يضلل الله﴾[6]، لأن الأسباب منه سبحانه، وربما يقال بأن المعنى أنه تركه

---

(١) الأصول: ص٣٤٥.

(٢) سورة النساء: ٣٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥٠ ـ ٣٥١.

(٥) سورة النحل: ٦٧.

(٦) سورة النساء: ٨٨ و١٤٣.

حتى ضل، مثل قولنا (أفسد الأمير الناس) إذا تركهم حتى فسدوا.

وعن أبي خديجة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لو كان العبد في جحر لأتاه رزقه فأجملوا في الطلب»[1].

أقول: (في جحر) أي في ما كان داخلاً في نطاق الأسباب والمسببات، وإلاّ مات الإنسان جوعاً أو عطشاً أو عرياً أو شبه ذلك، وأمثال هذا الحديث تأكيد على عدم الانحراف من الحلال إلى الحرام كما يتصوره قسم من الناس بأنه مضطر إلى الحرام. لا اضطراراً حقيقياً مرفوعاً. فيبيع الخمر أو سائر المحرمات أو يكتسب بالغناء أو نحو ذلك، بينما يجد السبيل إلى الكسب الحلال، فليس المراد عدم الطلب وإنما المراد عدم طلب الحرام.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله عزوجل خلق الخلق وخلق معهم أرزاقهم حلالاً، فمن تناول شيئاً منها حراماً قص به من ذلك الحلال»[2].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي، قال: «من لم يرض بما قسمه الله له الرزق وبث شكواه ولم يصبر ولم يحتسب، لم ترفع له حسنة ويلقى الله وهو عليه غضبان إلاّ أن يتوب»[3].

أقول: (من لم يرض) ليس معنى ذلك أنه لا يسعى، بل إذا سعى بقدر جهده ولم يمنع عن مثل بيت المال، وإلاّ فإذا منع أو حال الظالم بينه وبين الاكتساب الحلال فلا إشكال في جواز الشكوى، بل قد يجب من باب النهي عن المنكر أو رفعه، قال سبحانه: ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلاّ من

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

(٣) الفقيه: ج٢ ص١٩٧.

ظلم﴾[1]، والحاصل النهي في هذه الرواية من الشكوى في غير المورد.

وعن مرازم بن حكيم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «إن الروح الأمين جبرئيل أخبرني عن ربي أنه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب، واعملوا أن الرزق رزقان، فرزق تطلبونه ورزق يطلبكم، فاطلبوا أرزاقكم من حلال، فإنكم إن طلبتموها من وجوهها أكلتموها حلالاً، وإن طلبتموها من غير وجوهها أكلتموها حراماً، وهي أرزاقكم لابد لكم من أكلها»[2].

وعن محمد بن محمد المفيد في (المقنعة)، قال: قال الصادق (عليه السلام): «الرزق مقسوم على ضربين، أحدهما واصل إلى صاحبه وإن لم يطلبه، والآخر معلق بطلبه، فالذي قسم للعبد على كل حال آتيه وإن لم يسع له، والذي قسم له بالسعي فينبغي أن يلتمسه من وجوهه، وهو ما أحله الله له دون غيره، فإن طلبه من جهة الحرام فوجده حسب عليه برزقه وحوسب به»[3].

أقول: قد تقدم أمثلة للرزق الذي يطلب الإنسان كطيور الهواء ونحوها حيث هي تأتي بدون الطلب.

وعن محمد بن علي بن عثمان الكراجكي في (كنز الفوايد)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الدنيا دول، فاطلب حظك منها بأجمل الطلب»[4].

أقول: (دول) أي جعلها الله سبحانه بحيث تدار من يد إلى يد، سواء في العلم أو المال أو الجاه أو غير ذلك، ولم يجعلها الله جامدة على جماعة خاصة،

---

(١) سورة النساء: ١٤٨.

(٢) المجالس: ص١٧٦.

(٣) المقنعة: ص٩١.

(٤) كنز الفوائد: ص١٦.

وإنما يحصلها من طلبها من أسبابها المقررة لها تكويناً.

فصل في استحباب الاقتصاد في طلب الرزق

عن عبد الله بن سليمان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الله عزوجل وسع في أرزاق الحمقى ليعتبر العقلاء ويعلموا أن الدنيا ليس ينال ما فيها بعمل ولا حيلة»[1].

أقول: الإنسان يرى كثيراً من الحمقى لهم رزق واسع وأولاد وأزواج وما أشبه، ولو كان الرزق لا يحصل إلا بالعقل لوجب أن لا يكونوا هكذا، وذلك دليل على أن الإدارة بيد أخرى لا بيد الإنسان وحده، وليس معنى ذلك الجزئية فإنها نقيض السالبة الكلية القائلة بأن كل شيء بيد الإنسان، أو لا شيء بيد غيره، وإلاّ فمن الواضح أن الدنيا تدار غالباً بيد العقلاء الذين يعرفون الموارد والمصادر والأسباب والمسببات.

وعن سهل بن زياد رفعه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «كم من متعب نفسه مقتر عليه، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير»[2].

عن ابن فضال، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ليكن طلبك للمعيشة فوق كسب المضيع ودون طلب الحريص الراضي بدنياه المطمئن إليها، ولكن أنزل نفسك من ذلك بمنزلة المنصف (النصف خ ل) المتعفف ترفع نفسك عن منزلة الواهن الضعيف وتكسب ما لابد للمؤمن منه، إن الذين اعطوا المال ثم لم

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥١، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

يشكروا لا مال لهم»[1].

أقول: (لم يشكروا) بالتكسب، لأن الشكر العملي هو وضع كل شيء موضعه، قال سبحانه: ﴿اعملوا آل داود شكرا﴾[2]، أو هو جملة مستأنفة، فهما موضوعان، الأول التكسب الوسط، والثاني الشكر على النعم، لكنه خلاف الظاهر.

وعن ابن جمهور، عن أبيه رفعه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) كثيراً ما يقول: اعلموا علماً يقيناً، إن الله عزوجل لم يجعل للعبد وإن اشتد جهده وعظمت حيلته وكثرت مكائده أن يسبق ما سمي له في الذكر الحكيم، ولم يخل من العبد في ضعفه وقلة حيلته أن يبلغ ما سمي له في الذكر الحكيم، أيها الناس إنه لن يزداد امرؤ نقيراً بحذقه ولا (لن، لم خ ل) ينقص امرؤ نقيراً لحمقه، فالعالم بهذا العامل به أعظم الناس راحة في منفعته، والعالم لهذا التارك له أعظم الناس شغلاً في مضرته، ورب منعم عليه مستدرج بالإحسان إليه، ورب مغرور في الناس مصنوع له فابق (فاتق الله خ ل) أيها الساعي عن سعيك، وقصر من عجلتك، وانتبه من سنة غفلتك، وتفكر فيما جاء عن الله عزوجل على لسان نبيه (صلى الله عليه وآله)، واحفظوا بهذه الحروف السبعة فإنها من قول أهل الحجى، ومن عزائم الله في الذكر الحكيم، إنه ليس لأحد أن يلقى الله بخلة من هذه الخلال: الشرك بالله فيما افترض عليه، أو إشفاء غيظه بهلاك نفسه، أو إقرار بأمر يفعل غيره، أو يستنجح إلى مخلوق بإظهار بدعة في دينه، أو يحمده الناس بما لم يفعل، والمتجبر المختال وصاحب الأبهة والزهو، أيها الناس إن السباع همتها التعدي، وإن البهائم همتها بطونها، وإن النساء همتهن الرجال، وإن المؤمنين مشفقون

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٠، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٢) سورة سبأ: ١٣.

خائفون وجلون، جعلنا الله وإياكم منهم»[1].

أقول: (في الذكر الحكيم) قال سبحانه: ﴿وأن ليس للإنسان إلاّ ما سعى﴾[2]، وقال: ﴿واسألوا الله من فضله﴾[3]، فكل ما يحصل الإنسان إما من الأول أو من الثاني، فإنهما دائرة المقادير.

(بحذقه) فإن الله سبحانه قدر لهذا الحذق وجعل فيه ما يقوى على الكسب، وعلم أنه يكسب مثلاً طول عمره ألف ألف دينار، فهل تيمكن أن يزيد على ذلك، وكذلك بالنسبة إلى الحمق فإذا علم الإنسان ذلك وعمل كما ينبغي لم يأسف على ما فاته ولم يحرص على ما لا يأتيه ولا يفرح بما يأتيه، قال سبحانه: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[4]، فإنهما إشغالان للنفس بما لا ينبغي، والعامل لا ينبغي أن يشغل نفسه بما لا ينبغي.

(ورب منعم) مطلب جديد وهو أن الإنسان يلزم أن لا يتصور أن النعم دائماً إحسان وفضل، بل ربما كان استدراجاً إذا لم يعمل فيها بما قدره الله سبحانه.

(ورب مغرور) أي إنه مغرور ببقاء النعمة، والحال أنه صنع المستقبل الذي يزيل نعمه، وعليه فاللازم على الإنسان أن يكون دائم المواظبة للعمل باللازم في النعم المخولة له، ودائم الترقب لكي لا يصير مغروراً فتذهب نعمه عن يده بغروره.

(أو إقرار) أي جعل بأن عمل عمل غيره، مثلاً جعل الله الولاية لأهلها فيجعل هذا الغاصب نفسه ولياً، إلى غير ذلك من الأمثلة.

(وصاحب الأبهة) غير المتجبر فإنه لا يجبر الناس وإنما يجعل حول نفسه أبهة ويزهو بذلك.

(وإن النساء) المرأة باعتبار عاطفيتها يغلب عليها الاشتغال باستجلاب الرجل، وإلاّ فهي أيضاً كالرجال في كون بعضها خياراً وبعضها شراراً، كما أن بعض الرجال أيضاً همتهم في النساء، لكن الغالب في الرجل العقلانية، وفي هذا الكلام تنبيه للنساء أن لا يكنّ هكذا، وللرجال

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٠، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٢) سورة النجم: ٣٩.

(٣) سورة النساء: ٣٢.

(٤) سورة الحديد: ٢٣.

أن لا يخرجوا عن طريق التعقل.

وعن محمد بن علي بن الحسين بإسناده، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد ابن الحنفية، قال: «يا بني الرزق رزقان، رزق تطلبه ورزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك فلا تحمل هم سنتك على هم يومك، وكفاك كل يوم ما هو فيه، فإن تكن السنة من عمرك فإن الله عزوجل سيأتيك في كل غد بجديد ما قسم لك، وإن لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بهمّ وغم ما ليس، واعلم أنه لن يسبقك إلى رزقك طالب، ولن يغلبك عليه غالب، ولن يحتجب عنك ما قدر لك، فكم رأيت من طالب متعب نفسه مقتر عليه رزقه، ومقتصد في الطلب قد ساعدته المقادير، وكلٌ مقرونٌ به الفناء»[1].

أقول: (فلا تحمل هم سنتك) المراد فوق المتعارف شرعاً وعقلاً، كما يوجد فوق المتعارف في الحريص غالباً، فهو عبارة أخرى عن عدم الحرص، وإلاّ فاللازم على الإنسان أن يكون كما قاله الإمام الحسن (عليه السلام): «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً».

(وكل مقرون به الفناء) أي ما دام أن التعب فوق اللازم والمقتصد كلاهما يفنيان فما الداعي إلى التعب الزائد.

وعن الأصبغ بن نباتة، إن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال لأصحابه: «اعلموا يقيناً أن الله تعالى لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتد طلبه وقويت مكائده أكثر مما سمي له في الذكر الحكيم، فالعارف بهذا العاقل له أعظم الناس راحة في منفعته، والتارك له أعظم الناس شغلاً في مضرته، والحمد لله رب العالمين، ورب منعم عليه مستدرج، ورب مبتلى عند الناس مصنوع له، فأبق أيها المستمع من سعيك، وقصر من عجلتك، واذكر قبرك ومعادك، فإن إلى الله مصيرك، وكما تدين تدان»[2].

أقول: (مبتلى عند الناس) أي إن الناس يرونه مبتلى والحال أن الله صنع له

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٥.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص١٠٢.

ما يكفيه، ولا يخفى أن احتمال أن يكون ما تقدم بغير هذه العبارة يراد به هذا المعنى غير ظاهر، فهما عبارتان ولهما معنيان.

فصل في استحباب الرجاء للرزق من حيث لا يحتسب

عن علي بن السري، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الله عزوجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا، وذلك أن العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه»[1].

أقول: الكلام على نحو الموجبة الجزئية حتى يعلم الإنسان أنه ليس ما يرجوه يأتيه قطعاً، وليس ما يخاف منه يناله دائماً، وإلاّ فطبيعة الأسباب تأتي بالمسببات، وملكة سبأ خرجت كافرة تزعم أنها تبقى على كفرها وعبادتها للشمس فصارت مؤمنة ولم تكن ترجو ذلك.

وعن حفص بن عمر، قال: شكوت إلى أبي عبد الله (عليه السلام) حالي وانتشار أمري علي، فقال لي: «إذا قدمت الكوفة فبع وسادة من بيتك بعشرة دراهم وادع إخوانك وأعدّ لهم طعاماً وسلهم يدعون الله لك»، قال: ففعلت وما أمكنني ذلك حتى بعت وسادة وأعدت طعاماً كما أمرني وسألتهم يدعون الله لي، قال: فو الله ما مكثت إلاّ قليلاً حتى أتاني غريم لي فدق الباب عليّ وصالحني عن مال كثير كنت أحسبه نحواً من عشرة آلاف ثم أقبلت الأشياء علي[2].

وعن عبد الله بن القاسم، عن أبي عبد الله، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى بن عمران (عليه السلام) خرج يقتبس ناراً لأهله فكلمه الله ورجع نبياً، وخرجت ملكة سبأ فأسلمت مع سليمان (عليه السلام)،

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥١، الفقيه: ج٢ ص٥٤.

(٢) الفروع: ج١ ص٤٢٠.

وخرجت سحرة فرعون يطلبون العز لفرعون فرجعوا مؤمنين»[1].

وعن أبي جميلة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «كن لما لا ترجو أرجى منك لما ترجو، فإن موسى (عليه السلام) ذهب يقتبس لأهله ناراً فانصرف إليهم وهو نبي مرسل»[2].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «أبى الله عزوجل إلاّ أن يجعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون»[3].

أقول: المراد في التجارة، فإن الغالب أن من فتح دكانه لا يعلم من يشتري منه، وكذلك من يزرع ومن يصنع المصنوعات إلى غير ذلك.

(وأبى الله) على سبيل في الجملة لا الكلية، والمراد إلقاء الرجاء في القلب خارج الأسباب الطبيعية، فإن رجاءه سبحانه من أفضل صفات المؤمن، وذكر كلمة المؤمنين مع أن الكافر كذلك من جهة أن المنكر لله سبحانه لا يرجو غير الأسباب الظاهرية، فهو من قبيل ﴿هدى للمتقين﴾[4] حيث إنهم هم المنتفعون به لا أن القرآن ليس لهداية غيرهم.

وعن عمر بن يزيد، قال: أتى رجل أبا عبد الله (عليه السلام) يقتضيه وأنا عنده، فقال له: «ليس عندنا اليوم شيء ولكنه يأتينا خطر ووسمة فيباع ونعطيك إن شاء الله»، فقال له الرجل: عدني، فقال: «كيف أعدك وأنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو»[5].

أقول: (عدني) أي وعداً جزمياً بدون استثناء المشيئة، حيث إن الإمام (عليه السلام) علقه على إن شاء الله تعالى.

(١) الفروع: ج١ ص٣٥١، الفقيه: ج٢ ص٣٥١.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٤) سورة البقرة: ٢.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٥٤.

وعن جميل بن دراج، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما سد الله عزوجل على مؤمن باب رزق إلاّ فتح الله له ما هو خير منه»[1].

وقال: وقال رجل لأبي الحسن موسى (عليه السلام): عدني، فقال: «كيف أعدك وأنا لما لا أرجو أرجى مني لما أرجو»[2].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الرزق ينزل من السماء إلى الأرض على عدد قطر المطر إلى كل نفس بما قدر لها، ولكن لله فضول فاسألوا الله من فضله»[3].

فصل في استحباب التعرض للرزق

عن حسين الصحاف، عن سدير، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أي شيء على الرجل في طلب الرزق، فقال: «إذا فتحت بابك وبسطت بساطك فقد قضيت ما عليك»[4].

أقول: هذا من باب المثال لا الكلية، كما هو واضح.

وعن الطيار، قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): «أي شيء تعالج، أي شيء تصنع»، قلت: ما أنا في شيء، قال: «فخذ بيتاً واكنس فناه ورشه وأبسط فيه بساطاً، فإذا فعلت ذلك فقد قضيت ما عليك»، قال: فقدمت ففعلت فرزقت[5].

وعن أبي عمارة الطيار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنه قد ذهب مالي وتفرق

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥٤.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٤.

(٣) قرب الإسناد: ص٥٥.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥٠، التهذيب: ج٢ ص٩٨.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٥٠.

ما في يدي وعيالي كثير، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا قدمت فافتح باب حانوتك، وأبسط بساطك وضع ميزانك وتعرض لرزق ربك» الحديث[1]، وفيه إنه فعل ذلك فأثرى وصار معروفاً.

وعن عبد الرحمن بن الحجاج، قال: كان رجل من أصحابنا بالمدينة فضاق ضيقاً شديداً واشتدت حاله، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «اذهب فخذ حانوتاً في السوق، وأبسط بساطاً فليكن عندك جرة ماء وألزم باب حانوتك»، ثم ذكر أنه فعل ذلك وصبر فرزقه الله وكثر ماله وأثرى[2].

فصل في كراهة زيادة الاهتمام بالرزق

عن إبراهيم بن عبد الصمد، عن أبيه، عن جده، قال: قال سيدنا الصادق (عليه السلام): «من اهتم لرزقه كتب عليه خطيئة، إن دانيال كان في زمن جبار عات أخذه فطرحه في جب وطرح فيه السباع فلم تدن منه ولم تجرحه، فأوحى الله إلى نبي من أنبيائه: أن ائت دانيال بالطعام، قال: يا رب وأين دانيال، قال: تخرج من القرية فيستقبلك ضبع فاتبعه فإنه يدلك عليه، فأتى به الضبع إلى ذلك الجب، فإذا دانيال، فأدلى إليه الطعام، فقال دانيال: الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره، الحمد لله الذي يجزي بالإحسان إحساناً وبالصبر نجاة»، ثم قال الصادق (عليه السلام): «إن الله أبى إلاّ أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لا يحتسبون، ولا يقبل لأوليائه شهادة في دولة الظالمين»[3].

أقول: (من اهتم) أي بدون الاعتماد على الله بزعم أنه هو الذي يهيؤ رزقه وإن كل الكل عليه.

(إن الله أبى) قد تقدم الكلام فيه في الحديث السابق.

(ولا يقبل)

---

(١) الفروع: ج١ ص٤١٧، التهذيب: ج٢ ص١٢٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٩.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص١٨٨.

أي فيما إذا كان الظالم معادياً للولي، وإلاّ فكثير من الظلمة كانوا ولا يزالون يقبلون الشهادة من دون نظر إلى العقيدة، وكأن الإمام أراد التسلية لمن ابتلي بذلك من المتدينين.

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: ذكر عند علي بن الحسين (عليه السلام) غلاء السعر، فقال: «وما علي من غلائه، إن غلا فهو عليه، وإن رخص فهو عليه»[١].

أقول: تقدم المراد من هذا الحديث في البحث السابق.

فصل في كراهة كثرة النوم والفراغ

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله عزوجل يبغض كثرة النوم، وكثرة الفراغ»[٢].

وعن يونس بن يعقوب، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كثرة النوم مذهبة للدين والدنيا»[٣].

وعن ابن فضال، عمن ذكره، عن بشير الدهان، قال: سمعت أبا الحسن موسى (عليه السلام) يقول: «إن الله عزوجل يبغض العبد النوام الفارغ»[٤].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): «إن الله تعالى ليبغض العبد النوام، إن الله ليبغض العبد الفارغ»[٥].

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٠، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٥٦.

فصل في كراهة الكسل في أمور الدنيا والآخرة

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إني لأبغض الرجل أو أبغض للرجل أن يكون كسلاناً عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل»[1].

أقول: (ومن كسل) إن أمر الدنيا بالنسبة إلى أمر الآخرة أسهل، فإذا كسل عن السهل كان أكسل عن الصعب، فإن أمر الآخرة ليس عبارة عن الصلاة والصيام ونحوهما فقط، بل تطبيق كل الفكر والعمل على طبق أوامر الله سبحانه، أو المراد أن الدنيا مع أنها حسب نظر الإنسان نقد إذا كسل الشخص عنها كان أكسل عن الآخرة التي هي بنظر الغالب نسيئة.

لا يقال: فكيف ترى كسل بعض عن الدنيا وعدم اهتمامهم بها بينما لا يكسلون عن أمر الآخرة.

لأنه يقال: المسألة على نحو القضية الطبيعية لا الكلية بالدقة، فهي من قبيل: ﴿إن الإنسان ليطغى﴾[2]، و﴿خلق هلوعاً﴾[3] وما أشبه.

وعن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من كسل عن طهوره وصلاته فليس فيه خير لأمر آخرته، ومن كسل عما يصلح به أمر معيشته فليس فيه خير لأمر دنياه»[4].

وعن مسعدة بن صدقة، قال: كتب أبو عبد الله (عليه السلام) إلى رجل من أصحابه: «أما بعد، فلا تجادل العلماء، ولا تمار السفهاء، فيبغضك العلماء، ويشتمك السفهاء، ولا تكسل عن معيشتك فتكون كلاً على غيرك» أو قال: «على أهلك»[5].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٢) سورة العلق: ٦.

(٣) سورة المعارج: ١٩.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٥١.

وعن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: قال أبي (عليه السلام) لبعض ولده: «إياك والكسل والضجر، فإنهما يمنعانك من حظك من الدنيا والآخرة»[١].

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «عدو العمل الكسل»[٢].

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا تستعن بكسلان، ولا تستشرن عاجزاً»[٣].

أقول: (عاجزاً) أي عاجزاً في الرأي لا في الجسد، إذ لا تلازم بين عاجز الجسد وعاجز الرأي.

وعن علي بن محمد رفعه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن الأشياء لما ازدوجت ازدوج الكسل والعجز فنجب بينهما الفقر»[٤].

وعن حماد اللحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا تكسلوا في طلب معائشكم، فإن آباءنا كانوا يركضون فيها ويطلبونها»[٥].

فصل في كراهة الضجر والمنى

عن سماعة بن مهران، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: «إياك والكسل والضجر، فإنك إن كسلت لم تعمل، وإن ضجرت لم تعط الحق»[٦].

أقول: (لم تعط الحق) حيث إن الضجر على وزن (الشرس) لا يجيب على السؤال الواجب عليه ولا يعطي الدرس ولا يهدي وهكذا، لأنه يتضجر عن

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥١، الفقيه: ج٢ ص٣٥٥.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٥١.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٦) الفروع: ج١ ص٣٥١.

القيام بهذه الأمور، والكسل غالباً يرتبط بالجسد، والضجر بالروح.

وعن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «تجنبوا المنى، فإنها تذهب بهجة ما خولتم، وتستصغرون بها مواهب الله عندكم، وتعقبكم الحسرات فيما وهمتم به أنفسكم»[1].

أقول: حيث تكون الأمنية أرفع من الحالة التي فيها الإنسان يستصغر ما أعطاه الله، مثلاً إذا تمنى زوجة أجمل من زوجته استصغر قدر الزوجة التي هي له، وكذلك سائر الأمور، فما عنده صغير وليس ذا بهجة ونضارة.

(الحسرات) لأن الإنسان لا يصل في كثير من الأحيان إلى مناه وبذلك يتحسر، فالمتمني متألم أولاً وأخيراً ومصغر ما عنده، ولا يخفى أن الطموح لما يمكن غير المتمني ما لا يدركه غالباً.

قال الشاعر:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن

وعن عمر بن يزيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال: «إياك والضجر والكسل، إنهما مفتاح كل سوء، إنه من كسل لم يؤد حقاً، ومن ضجر لم يصبر على حق»[2].

وبإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية، إنه قال: «يا بني إياك والاتكال على الأماني، فإنها بضايع النوكى وتثبط عن الآخرة» إلى أن قال: «أشرف الغنى ترك المنى»[3].

أقول: (نوكى) جمع (أنوك) على وزن ومعنى (حمقى وأحمق)، فإن غير الأحمق يعمل ما في وسعه ويتمنى، أما الأحمق فيترك العمل اعتماداً على المنية، وغالباً غير العامل لا يصل إلى أمانيه فيحرم الأمرين جميعاً، وهل هذا إلاّ فعل الأحمق.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٤٥.

(وتثبط) فإن العامل يعمل القليل الممكن للآخرة، مثلاً يصوم يوماً أو يعطي للفقير درهماً، أما الأنوك فلأنه يتمنى أن يصوم في المستقبل شهراً، ويعطي للفقير ديناراً، يترك فعل الآخرة حالاً ولا يصل إلى عمل الآخرة مستقبلاً.

(أشرف الغنى) فإن التارك للأمنية يستغل ما عنده حالاً من الكسب والعمل وغيرهما، فهو أشرف من ترك ذلك لأمنية مستقبلية لا يدركها غالباً.

فصل في استحباب العمل في البيت للرجل والمراة

محمد بن يعقوب، عن علي بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يحتطب ويستقي ويكنس، وكانت فاطمة (عليها السلام) تطحن وتعجن وتخبز»[(١)].

وعن معاذ بياع الأكسية، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يحلب عنز أهله»[(٢)].

فصل في استحباب إصلاح المال

عن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن في حكمة آل داود : ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرى ظاعناً إلاّ في ثلاث، مرمة لمعاش أو تزود لمعاد أو لذة في غير ذات محرم، وينبغي للمسلم العاقل أن يكون له ساعة يفضي بها إلى عمله فيما بينه وبين الله عزوجل، وساعة يلاقي إخوانه الذبن يفاوضهم ويفاوضونه في أمر

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٢، الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

آخرته، وساعة يخلي بين نفسه ولذتها في غير محرم، فإنها عون على تلك الساعتين»[1].

أقول: لعل المراد بالساعة الأخيرة أعم من ساعة الكسب.

ثم الظاهر أن التقسيم ثلاث ساعات من باب المثال، وأن المراد بالساعة بعض الزمن لا القدر المتساوي بين الثلاث، ولعل الثلاث من جهة أن الإنسان مقسم إلى ما لله وما للناس وما لنفسه.

وعن ثعلبة وغيره، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إصلاح المال من الإيمان»[2].

أقول: (من الإيمان) لأن الله أمر بذلك.

وعن صالح بن حمزة، عن بعض أصحابنا، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «عليك بإصلاح المال، فإن فيه منبهة للكريم واستغناء عن اللئيم»[3].

أقول: (منبهة) على وزن (مفعلة) أي ما يوجب الارتفاع والنباهة.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من المروة استصلاح المال»[4].

وعن أبان بن تغلب، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من المروة استصلاح المال»[5].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٢، الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٥) الخصال: ج١ ص٩.

فصل في استحباب الاقتصاد وتقدير المعيشة

عن عبيد بن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال له: «يا عبيد إن السرف يورث الفقر، وإن القصد يورث الغنى»[1].

قال: وقال العالم (عليه السلام): «ضمنت لمن اقتصد أن لا يفتقر»[2].

قال: وقال علي بن الحسين (عليه السلام): «إن الرجل لينفق ماله في حق وإنه لمسرف»[3].

أقول: (في حق) مثلاً يعطي للفقير، لا أنه يشرب الخمر به. (لمسرف) لأنه مأمور بأن يعطي قصداً لا إسرافاً وأكثر من الوسط.

وبإسناده عن الأصبغ بن نباتة، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «للمسرف ثلاث علامات، يأكل ما ليس له، ويشتري ما ليس له، ويلبس ما ليس له»[4].

أقول: (ثلاث) من باب المثال الغالب، لأن الإسراف يأتي في المركب والمسكن والإنارة وغيرها.

وعن داود بن سرحان، قال: رأيت أبا عبد الله (عليه السلام) يكيل تمراً بيده فقلت: جعلت فداك لو أمرت بعض ولدك أو بعض مواليك فيكفيك، قال: «يا داود إنه لا يصلح المرء المسلم إلاّ ثلاثة، التفقه في الدين والصبر على النائبة وحسن التقدير في المعيشة»[5].

أقول: (ثلاثة) هي من باب المثال كسائر الأحاديث العددية غالباً، و(حسن التقدير) يراد به أنه يعرف كم وكيف وأنى وأين يصرف ويأخذ إلى غير ذلك، والمراد بالمعيشة مطلق أسباب العيش حتى الزواج ونحوه.

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥٧.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٥٢، الفقيه: ج٢ ص٥٥.

وعن ربعي، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الكمال كل الكمال في ثلاثة، فذكر في الثلاثة التقدير في المعيشة»[1].

وعن ذريح المحاربي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا أراد الله بأهل بيت خيراً رزقهم الرفق في المعيشة»[2].

أقول: (الرفق) عبارة الملائمة بين أقسام المعيشة، فيكون لباسه ومسكنه ومركبه وغيرها يلائم بعضها بعضاً، وهو عبارة أخرى عن التقدير في المعيشة، لكن في التقدير لوحظ الشيء بالنسبة إلى حدود نفسه، وفي الرفق لوحظ الشيء بالنسبة إلى غيره.

وعن حنان بن سدير، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من علامات المؤمن ثلاث، حسن التقدير في المعيشة، والصبر على النائبة، والتفقه في الدين»، وقال: «ما خير في رجل لا يقتصد في معيشته، ما يصلح لا لدنياه ولا لآخرته»[3].

أقول: (ما يصلح) أي لا يصلح من لا يقتصد لا للدنيا ولا للآخرة فهو من عطف البيان.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل: ﴿ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك﴾[4]، قال: فضم يده وقال هكذا، ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾[5] قال فبسط راحته وقال: هكذا»[6].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٨٢.

(٤) سورة الإسراء: ٢٩.

(٥) سورة الإسراء: ٢٩.

(٦) التهذيب: ج٢ ص١٨٢.

فصل في وجوب الكد على العيال

عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الكاد على عياله كالمجاهد في سبيل الله»[1].

وعن زكريا بن آدم، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال: «الذي يطلب من فضل الله ما يكف به عياله أعظم أجراً من المجاهد في سبيل الله عزوجل»[2].

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا كان الرجل معسراً يعمل بقدر ما يقوت به نفسه وأهله لا يطلب حراماً فهو كالمجاهد في سبيل الله»[3].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا أصبح خرج غادياً في طلب الرزق، فقيل له: يابن رسول الله أين تذهب، فقال: أتصدق لعيالي، قيل له: أتتصدق، فقال: من طلب الحلال فهو من الله صدقة عليه»[4].

وعن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن من الرزق ما ييبس الجلد على العظم»[5].

أقول: بيان النفرة عن مثل هذا الرزق الشحيح الموجب لذهاب اللحم فهو تحريض على تحصيل الرزق الواسع.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال (عليه السلام): «من سعادة المرء أن يكون

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٢، الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٤) وسائل الشيعة: ج٦ ص٤٣.

(٥) الفروع: ج١ ص٤٢٢، التهذيب: ج٢ ص١٧٩.

القيم على عياله»[1].

قال: وقال النبي (صلى الله عليه وآله): «ملعون ملعون من يضيع من يعول»[2].

أقول: (من يعول) يشمل أقسام العيلولة معاشياً وسياسياً وعلمياً وغير ذلك، فليس خاصاً بالمعاش فقط، والظاهر أنه دعاء لا إخبار وإن صح أن يكون إخباراً بأنه مبعد عن الخير، إلاّ أن الأصل في كلماتهم (عليهم السلام) الإنشاء لبيان الحكم، إلاّ إذا كانت قرينة على الخلاف.

قال: وقال (عليه السلام): «كفى بالمرء إثماً أن يضيع من يعول»[3].

فصل في استحباب شراء العقار

وكراهة بيعه وكون العقارات متفرقة

عن زرارة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ما يخلف الرجل بعده شيئاً أشد عليه من المال الصامت»، قال: قلت له: كيف يصنع به، قال: «يجعله في الحائط والبستان والدار»[4].

أقول: (من المال الصامت) إذ لم يجعل نقده فيما يربح ليكون الوارث في راحة ولو نسبية من جهة المعيشة، والحائط إلخ من باب المثال للاستثمار، والمراد به سائر المستغلات كالدكان والحمام والرحى والفندق وما أشبه.

وعن معمر بن خلاد، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «إن رجلاً أتى جعفراً (عليه السلام) شبيهاً بالمستنصح له، فقال له: يا أبا عبد الله كيف صرت اتخذت الأموال

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥٥، الفروع: ج١ ص٣٥٣.

قطعاً متفرقة، ولو كانت في موضع كان أيسر (أنسب خ ل) لمؤنتها وأعظم لمنفعتها، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): اتخذها متفرقة فإن أصاب هذا المال شيء سلم هذا، والصرة تجمع هذا كله»[1].

أقول: يستفاد من هذا الحديث استحباب تفريق المال، ولعله أيضاً كذلك بالنسبة إلى البضائع المتعددة، إذ ربما يصيب الزرع شيء دون الأنعام، أو المضاربة شيء دون الشركة، إلى غير ذلك.

وعن محمد بن مرازم، عن أبيه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) لمصادف مولاه: «اتخذ عقدة أو ضيعة فإن الرجل إذا نزلت به النازلة أو المصيبة فذكر أن وراء ظهره ما يقيم عياله كان أسخى لنفسه»[2].

أقول: (عقدة) كالدكان والحمام، و(الضيعة) البستان لأنه في الصحراء التي هي محل ضياع من جهة عدم وجود الأهل فيه، وإنما تسمى عقدة لقعد الآجر ونحوه بعضه ببعض في البناء.

(لنفسه) أي إن سخاءه لما تعطيه النفس من باب ذكر السبب وإرادة المسبب.

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لما دخل النبي (صلى الله عليه وآله) المدينة خط دورها برجله ثم قال: اللهم من باع رباعه فلا تبارك له»[3].

أقول: يقال للدار (رباع) لأنها غالباً تبني مربعة، والمراد كراهة بيع الدار، وبقرينة غيرها من الروايات يعلم أن الكراهة إنما تكون إذا لم يبدلها بغيرها.

وعن أبان بن عثمان، قال: دعاني أبو جعفر (عليه السلام) فقال: «باع فلان أرضه»، قلت: نعم، قال: «مكتوب في التوراة: إن من باع أرضاً أو ماءً ولم يضع ثمنه في أرض

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٣.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٣.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٣، الفقيه: ج٢ ص٥٦.

وماء، ذهب ثمنه محقاً»[1].

وعن وهب الجريري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «مشتري العقدة مرزوق وبايعها ممحوق»[2].

أقول: (ممحوق) لأن المشتري يربح الربح، والنقد لا ربح له فيخسر عدم الربح.

وعن مسمع، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إن لي أرضاً تطلب مني ويرغبون، فقال لي: «يا أبا سيار، أما علمت أنه من باع الماء والطين ولم يجعل ماله في الماء والطين ذهب ماله هباءً»، قلت: جعلت فداك إني أبيع بالثمن الكثيرة واشتري ما هو أوسع رقعة (ربعة خ ل) منه، فقال: «لا بأس»[3].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث: «إن النبي (عليه السلام) سُئل أي المال بعد البقر خير، فقال: الراسيات في الوحل والمطعمات في المحل، نعم الشيء النخل من باعه فإنما ثمنه بمنزلة رماد على رأس شاهق في يوم عاصف إلاّ أن يخلف مكانها»[4].

أقول: (الراسيات) هذا من باب المثال، وإنما الجامع ما يعطي الربح الأكثر حسب مختلف الأزمنة والأمكنة.

فصل في استحباب مباشرة كبار ومعالي الأمور في التجارة

عن يونس، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «باشر كبار أمورك، وكل

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٣، التهذيب: ج٢ ص١١٦.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٣، التهذيب: ج٢ ص١١٦.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٣، التهذيب: ج٢ ص١١٦.

(٤) الفروع: ج١ ص٤٠٤، الفقيه: ج١ ص١٠٣.

ما شق (شف خ ل) منها إلى غيرك»، قلت: ضرب أي شيء، قال: «ضرب أشرية العقار وما أشبهها»[1].

وعن هارون بن الجهم، عن الأرقط، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تكونن دواراً في الأسواق، ولا تل دقائق الأشياء بنفسك، فإنه لا ينبغي للمرء المسلم ذي الحسب والدين أن يلي شراء دقائق الأشياء بنفسه، ما خلا ثلاثة أشياء، فإنه ينبغي لذي الدين والحسب أن يليها بنفسه: العقار والرقيق والأبل»[2].

أقول هذا من باب المثال.

وعن داود بن النعمان، قال: دخل الكميت على أبي عبد الله (عليه السلام) فأنشده :

اخلص الله لي هواي فما

أغرق نزعاً ولا تطيش سهامي

قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تقل هكذا ولكن قل:

قد أغرق نزعاً وما تطيش سهامي.

ثم قال: إن الله عزوجل يحب معالي الأمور ويكره سفسافها»[3] الحديث.

أقول: قال الشاعر: (ما أغرق نزعاً) أي لا أعمل بكل طاقتي، فصححه الإمام (عليه السلام) بأن اللازم أن يعمل الإنسان بكل طاقاته، وكل الطاقات هي التي تأتي بمعالي الأمور التي هي محبوبة لله سبحانه حيث يريد من الإنسان أن لا يهدر شيئاً من طاقاته، إذ ﴿ليس للإنسان إلاّ ما سع﴾[4]، وذلك جار في كل من الكم والكيف.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٥٣، الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٣، الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٣) رجال الكشي: ص١٣٥.

(٤) سورة النجم: ٤٠.

فصل في كراهة طلب الحوائج من مستحدث النعمة

عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «إنما مثل الحاجة إلى من أصاب ماله حديثاً كمثل الدرهم في فم الأفعى، أنت إليه محوج وأنت منها على خطر»[1].

أقول: (حديث النعمة) لا فرق فيه بين المال والمنصب والقدرة وغيرها، إذ قديمها عركته التجارب فيكون ليناً حكيماً، بينما حديثها فج عنيف من طلب منه رأى منه سوءاً وعنتاً.

وعن داود الرقي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «يا داود تدخل يدك في فم التنين إلى المرفق خير لك من طلب الحوائج إلى من لم يكن فكان»[2].

وعن حفص بن البختري، قال: استقرض قهرمان لأبي عبد الله (عليه السلام) من رجل طعاماً لأبي عبد الله (عليه السلام) فألح في التقاضي، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «ألم أنهك أن تستقرض ممن لم يكن له ثم كان»[3].

فصل في استحباب التعامل مع من نشأ في الخير

عن ابن أبي نجران الرازي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تخالطوا ولا تعاملوا إلاّ من نشأ في خير»[4].

أقول: (لا تخالطوا) تقدم أن الطلب من حديث النعمة غير حسن، ويأتي نفس الأمر في المخالطة والمعاملة.

---

(١) التهذيب: ج٢ ص١٠٠.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١٠٠، الفقيه: ج٢ ص٣٤١.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٢١.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١٢١، الفروع: ج١ ص٣٧٣.

فصل في وجوب العمل للدنيا والآخرة

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال (عليه السلام): «ليس منا من ترك دنياه لآخرته ولا آخرته لدنياه»[1].

قال: وروي عن العالم (عليه السلام)، إنه قال: «اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً»[2].

أقول: (أبداً) حيث تعمل بما لا تحتاج إلى أحد وإنما تعيش بكفايتك الذاتية.

(غداً) حتى إذا مت كنت قد فرغت من أوامر ربك ولم تترك أهلك وعيالك ضياعاً، وكذلك بالنسبة إلى ما يرتبط بك من رئاسة أو منصب أو نحو ذلك.

قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «نعم العون على تقوى الله الغنى»[3].

أقول: بالغنى تبنى المساجد والمدارس والمؤسسات الخيرية وينفق على الفقراء والمستضعفين إلى غير ذلك، وكل ذلك من مصاديق التقوى إذا أريد بها وجه الله سبحانه.

وعن حفص بن غياث، قال: قال أبو الحسن الأول موسى بن جعفر (عليه السلام): «اشتد مئونة الدنيا ومئونة الآخرة، أما مئونة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شيء منها إلاّ وجدت فاجراً قد سبقك إليه، وأما موئنة الآخرة لا تجد إخواناً يعينونك عليها»[4].

أقول: الأمور الدنيوية كلها في حالة تنافس، فالأخيار والفجار يتنافسون، الأولون بالموازين والآخرون بالمكر والخداع والطرق الملتوية، والاشتداد ليس من جهة أصل التنافس بل تنافس من لا حريجة له في الدين مما يستلزم أن يترك

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١١٣، الروضة: ص١٤٤.

المتقي مراده حذراً من التلوث بالمعصية.

(لا تجد إخواناً) أي غالباً.

فصل في استحباب

الاغتراب في طلب الرزق والحاجة والتبكير إليه

عن عمر بن أذينة، عن الصادق (عليه السلام)، إنه قال: «إن الله تبارك وتعالى ليحب الاغتراب في طلب الرزق»[١].

قال: وقال (عليه السلام): «اشخص يشخص لك الرزق».

وعن علي بن عبد العزيز، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إني لأحب أن أرى الرجل متحرفاً في طلب الرزق، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: اللهم بارك لأمتي في بكورها»[٢].

أقول: (متحرفاً) الحرف الطرف، أي يذهب إلى هنا وإلى هناك من الأطراف، والبكور يوجب الاستباق قبل الآخرين، ولذا استحب سرعة المشي، كما يأتي في حديث آخر، نعم ينبغي أن لا تكون السرعة كثيراً حتى يكون مصداقاً للحديث الآخر: «سرعة المشي تذهب ببهاء المؤمن»[٣].

قال: وقال الصادق (عليه السلام): «تعلموا من الغراب ثلاث خصال: استتارها (استتاره خ ل) بالسفاد، وبكورها (بكوره خ ل) في طلب الرزق، وحذره»[٤].

قال: وقال (عليه السلام): «إذا أراد أحدكم الحاجة فليبكر إليها، فإني سألت ربي عزوجل أن يبارك لأمتي في بكورها»[٥].

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٤) الفقيه: ج١ ص١٥٥.

(٥) الفقيه: ج١ ص٥١.

قال: وقال (عليه السلام): «إذا أراد أحدكم حاجة فليبكر إليها وليسرع المشي إليها»[1].

وعن حماد بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لجلوس الرجل في دبر صلاة الفجر إلى طلوع الشمس أنفذ في طلب الرزق من ركوب البحر»، قلت: قد يكون للرجل الحاجة يخاف فوتها، فقال: «يدلج فيها وليذكر الله عزوجل فإنه في تعقيب ما دام على وضوئه»[2].

أقول: (انفذ) الظاهر أنه بسبب غيبي، ولعله يكشف العلم ما يؤيد كونه من الأسباب والمسببات الطبيعية أيضاً.

فصل في بعض مستحبات طلب الحاجة

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال الصادق (عليه السلام): «من ذهب في حاجة على غير وضوء فلم تقض حاجته فلا يلومن إلاّ نفسه»[3].

قال: «وأرسل رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجلاً في حاجة وكان يمشي في الشمس، فقال له: امش في الظل فإن الظل مبارك»[4].

أقول: ذلك إذا كان في المشي في الشمس أذية.

وعن علي بن عقبة، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «تزوجوا بالليل فإن الله جعله سكناً، ولا تطلبوا الحوائج بالليل فإنه مظلم»[5].

أقول: (بالليل) لأنه أستر، (مظلم) هذا إذا لم تكن الإنارة وإلاّ فبفقد العلة

(١) الفقيه: ج١ ص٥١.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٩.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥١.

(٥) تفسير العياشي: ج١ ص٣٧١.

ينتفي المعلول.

وعن عبد الله بن الفضل، عمن رفعه إلى أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إذا طلبتم الحوائج فاطلبوها بالنهار، فإن الله عزوجل جعل الحياء في العينين، وإذا تزوجتهم فتزوجوا بالليل فإن الله جعل الليل سكناً»[1].

أقول: (في العينين) إذا كان الطلب من شخص.

وعن الحسن بن علي بن بنت إلياس، قال: سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: «إن الله جعل الليل سكناً وجعل النساء سكناً، ومن السنة التزويج بالليل وإطعام الطعام»[2].

فصل في استحباب التفقه فيما يتولاه

عن الأصبغ بن نباتة، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول على المنبر: «يا معشر التجار الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة أخفى من دبيب النمل على الصفا، شوبوا أيمانكم بالصدق، التاجر فاجر، والفاجر في النار إلاّ من أخذ الحق وأعطي الحق»[3].

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من اتجر بغير علم ارتطم في الربا ثم ارتطم»[4].

قال: وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «لا يقعدن في السوق إلاّ من يعقل الشراء

(١) تفسير العياشي: ج١ ص٣٧٠.

(٢) تفسير العياشي: ج١ ص٣٧١.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧١، الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٢، المقنعة: ص٩٢.

والبيع»[1].

أقول: أي يعرف أحكامها، وذكر الإمام (عليه السلام) للربا في الحديث السابق من باب المثال، وإلاّ فبدون الفقه يرتطم المتعامل في أمور محرمة، على ما فصل في كتاب المكاسب وسائر أنواع التعامل.

وعن محمد بن محمد المفيد في (المقنعة)، قال: قال الصادق (عليه السلام): «من أراد التجارة فليتفقه في دينه، ليعلم بذلك ما يحل له مما يحرم عليه، ومن لم يتفقه في دينه ثم اتجر تورط الشبهات»[2].

فصل في آداب مستحبة

عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «كان أمير المؤمنين (عليه السلام) عندكم بالكوفة يغتدي كل يوم بكرة من القصر فيطوف في أسواق الكوفة سوقاً سوقاً ومعه الدرة على عاتقه وكان لها طرفان وكانت تسمى السبينة (السبيتة خ ل) فيقف على أهل كل سوق فينادي: يا معشر التجار اتقوا الله، فإذا سمعوا صوته ألقوا ما بأيديهم وأرعوا إليه بقلوبهم وسمعوا بآذانهم، فيقول: قدموا الاستخارة، وتبركوا بالسهولة، واقتربوا من المبتاعين، وتزينوا بالحلم، وتناهوا عن اليمين، وجانبوا الكذب، وتجافوا عن الظلم، وأنصفوا المظلومين، ولا تقربوا الربا، وأوفوا الكيل والميزان، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، ولا تعثوا في الأرض مفسدين، فيطوف في جميع أسواق الكوفة ثم يرجع فيقعد للناس»[3].

أقول: (الاستخارة) أي طلب الخير من الله سبحانه.

(السهولة) لأن

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٢، الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٢) المقنعة: ص٩٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧١، الفقيه: ج٢ ص٦٤.

الإنسان السهل في معاملاته يتبرك له، أي يكون ماله كثيراً باقياً، ومعنى البركة البقاء من برك الإبل إذا استقر، ووجهه أن الناس يلتفون حول سهل المعاملة لا صعبها.

(اقتربوا) أي بقلوبكم، فلا يكون الكاسب جافاً غليظاً حتى لا يقترب المشترون منه.

(المظلومين) فإذا ظُلم بائع أو مشتر فاللازم إنصافه برفع ظلامته، سواء كان بالغش أو التدليس أو التطفيف أو غيرها.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من باع واشترى فليحفظ خمس خصال، وإلاّ فلا يشترين ولا يبيعن، الربا والحلف وكتمان العيب والحمد إذا باع والذم إذا اشترى»[1].

أقول: (خمس) من باب الغالب، وإلاّ فهي أكثر مثل التطفيف والغرر وغير ذلك.

وعن أحمد بن محمد بن عيسى، رفع الحديث قال: كان أبو أمامة صاحب رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «أربع من كن فيه طاب مكسبه، إذا اشترى لم يعب، وإذا باع لم يحمد، ولا يدلس، وفيما بين ذلك لا يحلف»[2].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا معشر التجار ارفعوا رؤوسكم فقد وضح لكم الطريق، تبعثون يوم القيامة فجاراً إلاّ من صدق حديثه»[3].

أقول: الإنسان إذا رفع رأسه يفكر في المخرج، أما من وضح له الطريق فيرفع رأسه ليرى فيسير.

قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «التاجر فاجر، والفاجر في النار إلاّ من أخذ

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١٢٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٦٤.

الحق وأعطى الحق»[1].

قال: وقال (عليه السلام): «يا معشر التجار صونوا أموالكم بالصدقة تكفر عنكم ذنوبكم، وأيمانكم التي تحلفون فيها تطيب لكم تجارتكم»[2].

أقول: (وأيمانكم) أي صونوا أيمانكم فلا تحلفوا على السلعة.

وعن أحمد بن محمد بن يحيى، قال: أراد بعض أوليائنا الخروج للتجارة فقال: لا أخرج حتى آتي جعفر بن محمد (عليه السلام) فأسلّم عليه وأستشيره في أمري هذا وأسأله الدعاء لي، قال: فأتاه فقال له: يابن رسول الله إني عزمت على الخروج إلى التجارة وإني آليت على نفسي أن لا أخرج حتى آتيك واستشيرك وأسألك الدعاء لي، قال: فدعا له، وقال (عليه السلام): «عليك بصدق اللسان في حديثك، ولا تكتم عيباً يكون في تجارتك، ولا تغبن المسترسل فإن غبنه لا يحل، ولا ترض للناس إلاّ ما ترضى لنفسك، وأعط الحق وخذه، ولا تخف ولا تخن، فإن التاجر الصدوق مع السفرة الكرام البررة يوم القيامة، واجتنب الحلف فإن اليمين الفاجرة تورث صاحبها النار، والتاجر فاجر إلاّ من أعطي الحق وأخذه، وإذا عزمت على السفر أو حاجة مهمة فأكثر الدعاء والاستخارة، فإن أبي حدثني عن أبيه عن جده (عليهم السلام): إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يعلم أصحابه الاستخارة كما يعلم السورة من القرآن» الحديث[3].

أقول: المسترسل هو الذي يأتي ويعتمد على الإنسان بدون أن يعلم هو الموازين، وفي الرواية (غبن المسترسل سحت)، ولا خصوصية لحرمة غبنه، بل يحرم غبن كل أحد وإنما ذكر ذلك لغلبة غبنه من جهة جهله.

(ولا تخف) من

(١) الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٨٥.

الإخفاء، أي إخفاء البضاعة عن المشتري وإخفاء عيبه.

(ولا تحن) لعل المراد به الميل إلى مشتر دون آخر، من (حن) فإنه يستحب استواء المتعاملين في كل الخصوصيات.

(الاستخارة) أي طلب الخير من الله، ففي روايات متعددة: إن من طلب الخير من الله في عمله جعل الله الخير فيه.

فصل في استحباب إقالة النادم

عن عبد الله بن القاسم الجعفري، عن بعض أهل بيته، قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم يأذن لحكيم بن حزام في تجارته حتى ضمن له إقالة النادم وإنظار المعسر وأخذ الحق وافياً أو غير واف[(١)].

أقول: (أو غير واف) أي ما كان الشيء حراماً يجوز له أن يأخذ أقل منه بقدر الحلال.

وعن هارون بن حمزة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أيما عبد أقال مسلماً في بيع أقاله الله عثرته يوم القيامة»[(٢)].

وعن ابن مسكان، عن هذيل بن صدقة الطحان، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يشتري المتاع أو الثوب فينطلق به إلى منزله ولم ينفذ شيئاً فيبدله فيرده هل ينبغي ذلك له، قال: «لا إلاّ أن يعط شيئاً من ثمنه»[(٣)].

وعن محمد بن علي بن الحسين في (المقنع)، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أيما

(١) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١٢٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧١، الفقيه: ج٢ ص٦٥.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٣٤.

مسلم أقال مسلماً بيع ندامة أقال الله عزوجل عثرته يوم القيامة»[1].

وعن سماعة بن مهران، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أربعة ينظر الله عزوجل إليهم يوم القيامة، من أقال نادماً، أو أغاث لهفان، أو أعتق نسمة، أو زوج عزباً»[2].

فصل في استحباب الإحسان في البيع والسماح

عن الحسين بن يزيد الهاشمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «جاءت زينب العطارة إلى نساء النبي (صلى الله عليه وآله) فجاء النبي (صلى الله عليه وآله) فإذا هي عندهن، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): إذا أتيتنا طابت بيوتنا، قالت: بيوتك بريحك أطيب يا رسول الله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إذا بعت فأحسني ولا تغشي (تعنتي خ ل) فإنه أتقى لله وأبقى للمال» الحديث [3].

أقول: فإن الغاش ينفض الناس من حوله فلا يشترون منه ليربح، فيذهب ماله لأنه يصرفه في نفقاته.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «السماحة من الرباح، قال ذلك لرجل يوصيه ومعه سلعة يبيعها»[4].

أقول: (من الرباح) لأن السمح يربح، بينما الصعب لا يربح لقلة مشتريه.

وعن إسماعيل بن مسلم، عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام) قال: «أوحى الله تعالى إلى بعض أنبيائه (عليهم السلام): للكريم فكارم، وللسمح فسامح، وعند الشكس فالتو»[5].

أقول: (المشاكس) يقابل بالمثل ليرفع يده عن المشاكسة، فإنه بها

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٨٧.

(٢) الخصال: ج١ ص١٠٦.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧١، الفقيه: ج٢ ص٨٩.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧١.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٦٤.

يعرف قبح ما يفعل، فهو من قبيل (التكبر عند المتكبر عبادة).

قال: وقال علي (عليه السلام): سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول: «السماح وجه من الرباح»، قال علي (عليه السلام): «ذلك لرجل يوصيه ومعه سلعة يبيعها»[١].

فصل في أن المشتري لغيره

لا ينبغي له أن يعطيه من عنده وكذلك في الشراء

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا قال لك الرجل: اشتر لي، فلا تعطه من عندك وإن كان الذي عندك خيراً منه»[٢].

أقول: لأنه مورد اتهام، ومن دخل مداخل السوء اتهم.

وعن إسحاق، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يبعث إلى الرجل يقول له: ابتع لي ثوباً، فيطلب له في السوق فيكون عنده مثل ما يجد له في السوق فيعطيه من عنده، فقال: «لا يقربن هذا ولا يدنس نفسه، إن الله عزوجل يقول: ﴿إنا عرضنا الأمانة على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنا وأشفقن منها وحملها الإنسان إنه كان ظلوماً جهولاً﴾[٣]، وإن كان عنده خير مما يجد له في السوق فلا يعطيه من عنده»[٤].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): يجيء الرجل بدينار يريد مني دراهم فأعطيه أرخص مما أبيع، فقال: «أعطه أرخص مما تجد له»[٥].

أقول: كانت الدراهم والدنانير في السابق بقيمة الفضة والذهب، ولا

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١٢٠.

(٣) سورة الأحزاب: ٧٢.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١٠٦.

(٥) التهذيب: ج٢ ص١٤٩.

قيمة للسكة، فكان الناس يعاملون بهما كما يعاملون سائر البضائع بين من يعطي غالياً أو رخيصاً.

وعن ميسر، قال: قلت له: يجيئني الرجل فيقول: تشتري لي ويكون ما عندي خيراً من متاع السوق، قال: «إن أمنت أن لا يتهمك فأعطه من عندك، وإن خفت أن يتهمك فاشتر له من السوق»[1].

وعن خالد القلانسي، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الرجل يجيئني بالثوب فأعرضه فإذا أعطيت به الشيء زدت فيه وأخذته، قال: «لا تزده»، قلت: ولم ذاك، قال: «أليس أنت إذا عرضته أحببت أن تعطى به أوكس من ثمنه»، قلت: نعم، قال: «لا تزده»[2].

أقول: أي لا تحب عليك الزيادة.

وعن علي بن أبي حمزة، قال: سمعت معمر الزيات يسأل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال: جعلت فداك إني رجل أبيع الزيت يأتيني من الشام فآخذ لنفسي مما أبيع، قال: «ما أحب لك ذلك»، قلت: إني لست أنقص لنفسي شيئاً مما أبيع، قال: «بعه من غيرك ولا تأخذ منه شيئاً، أرأيت لو أن رجلاً قال لك: لا أنقصك رطلاً من دينار كيف كنت تصنع، لا تقربه» الحديث[3].

أقول: حيث ذكر تفصيل هذه المسألة في (الفقه) لا حاجة إلى ذكر خصوصيتها.

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١٣٤.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٥٣.

فصل في استحباب الأخذ ناقصاً والإعطاء راجحاً

ووجوب الوفاء

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «مر أمير المؤمنين (عليه السلام) على جارية قد اشترت لحماً من قصاب وهي تقول: زدني، فقال له أمير المؤمنين (عليه السلام): زدها، فإنه أعظم للبركة»(١).

وعن ابن أبي عمير، عن غير واحد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا يكون الوفاء حتى يرجح»(٢).

وعن حماد بن بشير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا يكون الوفاء حتى يميل الميزان»(٣).

وفي خبر آخر: «لا يكون الوفاء حتى يرجح»(٤).

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال: «من أخذ الميزان بيده فنوى أن يأخذ لنفسه وافياً لم يأخذ إلاّ راجحاً، ومن أعطى فنوي أن يعطي سواءً لم يعط إلاّ ناقصاً»(٥).

وعن عبيد بن إسحاق، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني صاحب نخل فخبرني بحد أنتهي إليه فيه من الوفاء، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إنو الوفاء فإن أتى على يدك وقد نويت الوفاء نقصان كنت من أهل الوفاء، وإن نويت النقصان ثم أوفيت

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧١، الفقيه: ج٢ ص٦٤.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١٤٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١٢١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٧٣، الفقيه: ج٢ ص٦٥.

كنت من أهل النقصان»[1].

أقول: لأنه «لكل امرئ ما نوى».

وعن صفوان بن مهران الجمال، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن فيكم خصلتين هلك بهما من قبلكم من الأمم»، قالوا: وما هما يا بن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «المكيال والميزان»[2].

أقول: أي الخصلتان مرتبطتان بالمكيال والميزان، حيث تعطون ناقصاً وتأخذون زائداً وكلاهما غير جائز، لأن الأول تنقيص في مال الناس، والثاني سرقة من مال الناس، قال سبحانه: ﴿إذا اكتالوا على الناس يستوفون ، وإذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون﴾[3].

فصل في عدم التعرض للكيل إذا لم يحسن بدقة

عن مثنى الحناط، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: رجل من نيته الوفاء وهو إذا كال لم يحسن أن يكيل، قال: «فما يقول الذين حوله»، قلت: يقولون: لا يوفي، قال: «هذا (هو خ ل) ممن لا ينبغي له أن يكيل»[4].

فصل في كراهة ربح الإنسان على من يعده بالإحسان وحرمة الغبن

عن علي بن عبد الرحيم، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول:

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣، التهذيب: ج٢ ص١٢١.

(٢) قرب الإسناد: ص٢٧.

(٣) سورة المطففين: ٢ ـ ٣.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٤، التهذيب: ج٢ ص١٢٢.

«إذا قال الرجل للرجل: هلم أحسن بيعك، يحرم عليه الربح»[1].

أقول: (يحرم) أي يكره كراهة شديدة، لكن لا يعبد أن تكون الكراهة إذا كان معنى كلامه ذلك، لا أنه كان معنى كلامه الإحسان.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «غبن المسترسل سحت»[2].

و عنهم، عن أحمد، عن عثمان بن عيسى، عن ميسر، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «غبن المؤمن حرام»[3].

وعن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «غبن المسترسل ربا»[4].

أقول: أي كالربا في الحرمة.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال الصادق (عليه السلام): «غبن المسترسل سحت، وغبن المؤمن حرام»[5].

أقول: الغبن مطلقاً حرام كما ذكر في المكاسب، وما ذكر في هذه الرواية مصداقان من المصاديق.

فصل في كراهة الربح على المؤمن

عن سليمان بن صالح وأبي شبل جميعاً، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ربح المؤمن على المؤمن ربا، إلاّ أن يشتري بأكثر من مائة درهم فاربح عليه قوت يومك، أو

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧١، التهذيب: ج٢ ص١٢٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٢، التهذيب: ج٢ ص١٢٠.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٨٩.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٨٩.

يشتريه للتجارة فاربحوا عليهم وارفقوا بهم»[1].

أقول: الظاهر أن القضية وقتية فلا عموم لها، نعم يحرم الإجحاف وهو كلام آخر.

وعن حذيفة بن منصور، عن ميسر، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام): إن عامة من يأتيني إخواني فحد لي من معاملتهم ما لا أجوزه إلى غيره، فقال: «إن وليت أخاك فحسن، وإلا فبعه بيع البصير المداق»[2].

أقول: (إن وليت) أي بيع التولية، وإلا فاللازم العدل في المعاملة مما لا يكون إلاّ بالمداقة العرفية.

وعن فرات بن أحنف، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ربح المؤمن على المؤمن ربا»[3].

وعن علي بن سالم، عن أبيه، في حديث قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الخبر الذي روي «أن ربح المؤمن على المؤمن ربا» ما هو، فقال: «ذاك إذا ظهر الحق وقام قائمنا أهل البيت (عليه السلام) فأما اليوم فلا بأس بأن تبيع من الأخ المؤمن وتربح عليه»[4].

أقول: الظاهر أن الربح غير المتعارف يكره حتى قبل الظهور، ولعل الإمام (عليه السلام) أراد رفع استيحاش السائل، فعلقه على ظهوره (عليه السلام)، مع أن في زمانه (عليه السلام) كل الناس مؤمنين فإذا لم يربح عليهم كان الكسب لغواً، ولعل المراد الربح على المؤمن في زمانه (عليه السلام) كالربح في هذا الزمان، بل بعد ظهوره (عليه السلام) يكون تخفيف في الربح بالنسبة إلى هذا الزمان.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٣) المحاسن: ص١٠١.

(٤) الفقيه: ج٢ ص١٠٣.

وعن فرات بن الأحنف، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ربح المؤمن ربا»[1].

فصل في استحباب التسوية بين المبتاعين

عن عامر بن جذاعة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال: في رجل عنده بيع فسعره سعراً معلوماً فمن سكت عنه ممن يشتري منه باعه بذلك السعر، ومن ماكسه وأبى أن يبتاع منه زاده، قال: «لو كان يزيد الرجلين الثلاثة لم يكن بذلك بأس، فأما أن يفعله بمن أبى عليه وكايسه ويمنعه من لم يفعل فلا يعجبني إلاّ أن يبيعه بيعا واحداً»[2].

فصل في استحباب ابتداء صاحب السعلة بالسوم

وكراهة السوم ما بين الطلوعين

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «صاحب السلعة أحق بالسوم»[3].

وعن علي بن أسباط رفعه، قال: «نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن السوم ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس»[4].

أقول: هذا مخصوص بما إذا لم يكن البيع خاصاً بما بين الطلوعين، كما في الأعتاب المقدسة بالنسبة إلى بعض المأكولات وما أشبه.

---

(١) عقاب الأعمال: ص٣٣.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧١.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٢، الفقيه: ج٢ ص٦٥

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٢، الفقيه: ج٢ ص٦٥.

فصل في استحباب البيع عند حصول الربح

عن عبد الله بن سعيد الدغشي، قال: كنت على باب شهاب بن عبد ربه فخرج غلام شهاب فقال: إني أريد أن أسأل هاشم الصيدناني (الصيدلاني) عن حديث السعلة والبضاعة، قال: فأتيت هاشماً فسألته عن الحديث، فقال: نعم سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن البضاعة والسعلة فقال: «نعم ما من أحد يكون عنده سلعة أو بضاعة إلاّ قيض الله عزوجل له من يربحه، فإن قبل وإلاّ صرفه إلى غيره، وذلك أنه رد على الله عزوجل»[1].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث: «إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لخليط له: جزاك الله من خليط خيراً، فإنك لم تكن ترد ربحاً ولا تمسك ضرساً»[2].

أقول: لعل لا تمسك أسنانك كناية عن فتح الفم للمعاملة، كأن عدم المعاملة كتطبيق الأسنان بعضها على بعض، أو المراد عدم الوقوف على كلام واحد كما هو شأن المشاكس.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال علي (عليه السلام): «مر النبي (صلى الله عليه وآله) على رجل معه سلعة يريد بيعها، فقال: عليك بأول السوق»[3].

أقول: أي بعه بأول مشتر يأتيك، ولا يخفى أن ذلك يوجب معروفية الإنسان بسهولة المعاملة فيلتف حوله المشترون، هذا بالإضافة إلى أنه يتخلص من السلعة سريعاً بما يمكنه اشتراء سلعة أخرى وبيعها مما يوجب الربح الأكثر.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٨.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٦٥.

فصل في استحباب مبادرة التاجر إلى الصلاة في أول وقتها

عن الحسين بن يسار، عن رجل رفعه، في قول الله عزوجل: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله﴾[1]، قال: «هم التجار الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله عزوجل، إذا دخل مواقيت الصلاة أدوا إلى الله عزوجل حقه فيها»[2].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «كان على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) مؤمن فقير شديد الحاجة من دهل الصفة، وكان لازماً لرسول الله (صلى الله عليه وآله) عند مواقيت الصلاة كلها لا يفقده في شيء منها، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يرق له وينظر إلى حاجته وغربته فيقول: يا سعد لو قد جاءني شيء لأغنيتك، قال: فأبطأ ذلك على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فاشتد غم رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسعد، فعلم الله سبحانه ما دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) من غمه بسعد، فأهبط عليه جبرئيل (عليه السلام) ومعه درهمان، فقال له: يا محمد إن الله قد علم ما قد دخلك من الغم بسعد أفتحب أن تغنيه، فقال له: نعم، فقال له: فهاك هذين الدرهمين فأعطهما إياه ومره أن يتجر بهما.

قال: فأخذهما رسول الله (صلى الله عليه وآله) ثم خرج إلى صلاة الظهر وسعد قائم على باب حجرات رسول الله (صلى الله عليه وآله) ينتظره، فلما رآه رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: يا سعد أتحسن التجارة، فقال له سعد: والله ما أصبحت أملك ما أتجر به، فأعطاه النبي (صلى الله عليه وآله) الدرهمين فقال له: أتجر بهما وتصرف لرزق الله، فأخذهما سعد ومضى مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى صلى معه الظهر والعصر، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): قم فاطلب الرزق فقد كنت بحالك مغتماً يا سعد.

قال: فأقبل سعد لا يشتري بالدرهم إلاّ باعه بدرهمين، ولا يشتري شيئاً بدرهمين إلاّ باعه بأربعة دراهم، وأقبلت الدنيا على سعد فكثر متاعه وماله وعظمت تجارته،

---

(١) سورة النور: ٣٧.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

فاتخذ على باب المسجد موضعاً جلس فيه وجمع تجارته إليه، وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أقام بلال الصلاة يخرج وسعد مشغول بالدنيا لم يتطهر ولم يتهيأ كما كان يفعل قبل أن يتشاغل بالدنيا، فكان النبي (صلى الله عليه وآله) يقول: يا سعد شغلتك الدنيا عن الصلاة، فيقول: ما أصنع أضيع مالي، هذا رجل قد بعته فأريد أن أستوفي منه، وهذا رجل قد اشتريت منه فأريد أن أوفيه.

قال: فدخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) من أمر سعد غم أشد من غمه بفقره، فهبط عليه جبرئيل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن الله قد علم بغمك بسعد فأيما أحب إليك حاله الأولى أو حاله هذه. فقال له النبي (صلى الله عليه وآله): يا جبرئيل بل حاله الأولى، قد أذهبت دنياه بآخرته، فقال له جبرئيل (عليه السلام): إن حب الدنيا والأموال فتنة ومشغلة عن الآخرة، قال: قل لسعد: يرد عليك الدرهمين الذين دفعتهما إليه، فإن أمره سيصير إلى الحالة التي كان عليها أولاً، قال: فخرج النبي (صلى الله عليه وآله) فمر بسعد فقال له: يا سعد أما تريد أن ترد علي الدرهمين الذين أعطيتكهما، فقال: بلى ومائتين، فقال له: لست أريد منك يا سعد إلاّ درهمين، فأعطاه سعد درهمين. قال: وأدبرت الدنيا على سعد حتى ذهب ما كان جمع وعاد إلى حاله التي كان عليها»[1].

أقول: الظاهر أن الدرهمين الذين ردهما كانا بدلاً، لا أصل الدرهمين حيث اتجر بهما كما تقدم، وقد جعل الله البدل في حكم المبدل في أنهما سبب البركة.

وعلى أي، فهذه الرواية تفيد أن الانغماس بالدنيا الموجب لتأخير الدين غير محبوب، وإنما الدنيا حسنة إذا كانت لا تؤخر الدين، وإن كان الشخص كامل العمل من حيث الواجبات وترك المحرمات.

(١) الفروع: ج١ ص٤٢٠.

فصل في استحباب تعلم الكتابة والحساب وآداب الكتابة

عن جميل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «منّ الله على الناس برهم وفاجرهم بالكتاب والحساب، ولو لا ذلك لتغالطوا»(١).

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، إنه كتب إلى عماله: «أدقوا أقلامكم، وقاربوا بين سطوركم، واحذفوا عني فضولكم، واقصدوا قصد المعاني، وإياكم والإكثار فإن أموال المسلمين لا تحتمل الإضرار»(٢).

أقول: القلم الدقيق يصرف من الحبر والورق أقل، والمقاربة بين السطور توجب صرف الورق أقل، وحذف فضول الكلام يصرف من الحبر والورق أقل، كما أن كون المقصود المعاني دون الألفاظ المنمقة كذلك، هذا بالإضافة إلى أن تلك الأمور تصرف وقت الإنسان وذلك سرف وترف.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال لكاتبه عبد الله بن أبي رافع: «ألق دواتك، وأطل جلفة قلمك، وفرج بين السطور، وقرمط بين الحروف، فإنه لك أجدر بصباحة الخط»(٣).

أقول: (ألق) لأن الليقة توجب عدم أخذ القلم حبراً كثيراً يوجب قبح الخط، والإطالة لأجل أن يأتي الحبر إلى رأس القلم قليلاً، والفرجة لئلا تختلط الخطوط، ولا ينافي ذلك المقاربة بين السطور في الرواية السابقة، والقرمطة وصل حرف بحرف بدون فصل بينهما.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٢) الخصال: ج١ ص١٤٨.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٠.

فصل في استحباب الكتابة للمعاملات والديون

عن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام)، وذكر حديثاً إلى أن قال: «فمن أجل ذلك أمر الله تبارك وتعالى العباد أن يكتبوا بينهم إذا تداينوا أو تعاملوا إلى أجل مسمى»[1].

فصل في حق السبق في السوق

وحرمة أخذ كراء السوق غير المملوك

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «سوق المسلمين كمسجدهم، فمن سبق إلى مكان فهو أحق به إلى الليل، وكان لا يأخذ على بيوت السوق كراءً»[2].

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سوق المسلمين (القوم خ ل) كمسجدهم، يعني إذا سبق إلى السوق كان له مثل المسجد»[3].

وعن وهب، عن جعفر، عن أبيه، عن علي (عليهم السلام): «إنه كره أن يأخذ من سوق المسلمين أجراً»[4].

أقول: ذكرنا تفصيل أحكام السوق في كتاب (إحياء الموات).

ولا يخفى

---

(١) علل الشرائع: ص١٨٥.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٦٥.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٢.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١١٤.

أن عدم الأجرة للدكان يوجب رخص البضائع، إذ البائع لا يزيد الأجرة على البضاعة، وإلاّ زادها عليها مما يوجب الغلاء، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في (الفقه الاقتصاد).

فصل في استحباب الدعاء بالمأثور
عند دخول السوق وذكر الله فيه

عن حنان، عن أبيه، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «يا أبا الفضل أما لك في السوق مكان تقعد فيه فتعامل الناس»، قال: قلت: بلى، قال: «اعلم أنه ما من رجل يروح أو يغدو إلى مجلسه وسوقه فيقول حين يضع رجله في السوق: (اللهم إني أسألك من خيرها وخير أهلها، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها)، إلاّ وكل الله به من يحفظه ويحفظ عليه حتى يرجع إلى منزله فيقول له: قد أجرت (أجرتك خ ل) من شرها وشر أهلها يومك هذا بإذن الله، وقد رزقت خيرها وخير أهلها في يومك هذا، فإذا جلس مجلسه فقال حين يجلس: (أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم إني أسألك من فضلك رزقاً حلالاً طيباً وأعوذ بك من أن أَظلم أو أُظلم وأعوذ بك من صفقة خاسرة ويمين كاذبة)، فإذا قال ذلك قال له الملك الموكل به: أبشر فما في سوقك اليوم أحد أوفر حظاً منك، قد تعجلت الحسنات ومحيت عنك السيئات وسيأتيك ما قسم الله لك موفراً حلالاً مباركاً فيه»[(1)].

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا دخلت سوقك فقل: (اللهم إني أسألك من خيرها وخير أهلها وأعوذ بك من شرها وشر أهلها، اللهم إني أعوذ بك من أن أَظلم أو أُظلم، أو أبغي أو يبغى علي، أو أعتدي أو يعتدى علي،

(1) الفروع: ج1 ص372.

اللهم اني أعوذ بك من شر إبليس وجنوده، وشر فسقة العرب والعجم، وحسبي الله لا إله إلاّ هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) »[١].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من دخل سوقاً أو مسجد جماعة فقال مرة واحدة: (أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له والله أكبر كبيراً والحمد لله كثيراً وسبحان الله بكرة وأصيلاً، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله) عدلت حجة مبرورة»[٢].

وعن سعد الخفاف، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من دخل السوق فنظر إلى حلوها ومرها وحامضها فليقل: أشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله، اللهم إني أسألك من فضلك وأستجيرك من الظلم والغرم والمآثم» [٣].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال الصادق (عليه السلام): «من ذكر الله عزوجل في الأسواق غفر الله له بعدد أهلها»[٤].

قال: وروي أن «من ذكر الله في الأسواق غفرت له بعدد ما بها من فصيح وأعجم، والفصيح ما يتكلم والأعجم ما لا يتكلم»[٥].

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قال حين يدخل السوق: (سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يحيي ويميت، وهو حي لا يموت، بيده الخير، وهو على كل شيء قدير) أعطي من الأجر بعدد ما خلق الله إلى يوم القيامة»[٦].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٦٦.

(٣) المحاسن: ص٤٠.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٦٦.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٦٦.

(٦) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٠٣.

وعن أبي عبيدة، قال: قال الصادق (عليه السلام): «من قال في السوق: (أشهد أن لا إله إلاّ الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله) كتب الله له ألف حسنة»[1].

فصل في استحباب التكبير ثلاثاً عند الشراء والدعاء بالمأثور

عن حريز، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إذا اشتريت شيئاً من متاع أو غيره فكبر، ثم قل: (اللهم إني اشتريته ألتمس فيه من فضلك، فصل على محمد وآل محمد، واجعل لي فيه فضلا، اللهم إني اشتريته ألتمس فيه من رزقك، فاجعل لي فيه رزقاً) ثم أعد كل واحدة ثلاث مرات[2].

وعن محمد بن مسلم، عن أحدهما (عليهما السلام)، قال: «إذا اشتريت متاعاً فكبر الله ثلاثاً ثم قل: (اللهم إني اشتريته ألتمس فيه من خيرك، فاجعل لي فيه خيراً، اللهم إني اشتريته ألتمس فيه من فضلك) وذكر الحديث، ثم قال: «وكان الرضا يكتب على المتاع: بركة لنا»[3].

أقول: (بركة لنا) تفؤل أو دعاء، والبركة عبارة من كون الشيء معطياً الأثر المطلوب منه من الخير، مقابل ما لا بركة فيه، أو فيه ضد البركة، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في (الفقه الاقتصاد).

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إذا اشتريت دابة فقل: (اللهم إن كانت عظيمة البركة، فاضلة المنفعة، ميمونة الناصية فيسر لي شراءها، وإن كان (كانت خ ل) غير ذلك فأصرفني عنها إلى الذي هو خير لي منها، فإنك تعلم ولا أعلم،

(١) المجالس: ص٣٦١.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب) تقول ذلك ثلاث مرات»[1].

أقول: لا يبعد استحباب هذا الدعاء عند شراء الوسائل الحديثة من سيارة ونحوها، وكذلك بالنسبة إلى الرواية الآتية.

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا أردت أن تشتري شيئاً فقل: (يا حي ياقيوم، يا دائم يا رؤوف يا رحيم، أسألك بعزتك وقدرتك وما أحاط به علمك، أن تقسم لي من التجارة اليوم أعظمها رزقاً، وأوسعها فضلاً، وخيرها عاقبةً، فإنه لاخير فيما لا عاقبة له)»[2].

قال: وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا اشتربت دابة أو رأساً فقل: اللهم أقدر لي أطولها حياة، وأكثرها منفعة، وخيرها عاقبة»[3].

وعن هذيل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا اشتريت جارية فقل: اللهم إني أستشيرك وأستخيرك»[4].

أقول: استشيرك، فإن الله سبحانه يلقي الصلاح في قلبه، كما يظهر من هذه اللفظة.

وعن عمر بن إبراهيم، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «من اشترى دابة فليقم من جانبها الأيسر، ويأخذ ناصيتها بيده اليمنى، ويقرأ على رأسها فاتحة الكتاب و(قل هو الله أحد) والمعوذتين وآخر الحشر، وآخر بني إسرائيل: (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن)[5] وآية الكرسي، فإن ذلك أمان تلك الدابة من الآفات»[6].

وعن ثعلبة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا اشتريت جارية فقل: اللهم إني

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٥) سورة الإسراء: ١١٠.

(٦) الفقيه: ج٢ ص٦٦.

أستخيرك وأستشيرك، وإذا اشتريت دابة أو رأساً فقل: اللهم قدر لي أطولهن حياة، وأكثرهن منفعة، وخيرهن عاقبة»[١].

فصل في كراهة معاملة المحارف، ومن لم ينشأ في الخير

عن العباس بن الوليد بن صبيح، عن أبيه، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تشتر من محارف فإن صفقته لا بركة فيها»[٢].

وعن الوليد بن صبيح، قال: قال الصادق (عليه السلام): «لا تشتر لي من محارف شيئاً، فإن خلطته لا بركة فيها»[٣].

قال: وقال (عليه السلام): «لاتخالطوا ولا تعاملوا إلاّ من نشأ في الخير»[٤].

وعن محمد بن أحمد، عن سعيد بن غزوان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «المؤمن لا يكون محارفاً»[٥].

أقول: المحارف هو الذي اتخذ الشيء حرفة بدون أن يكون لنظره سعة في الأخذ والعطاء، من الحرف بمعنى الطرف، كأنه يأخذ من طرف لا من الوسط، وهذا غالباً يكون ضيق النظر يتعامل بدقة غير متعارفة مما يسبب أن تكون بضاعته غير حسنة، ويداق في السلعة حتى لا يعطي شيئاً أكثر إطلاقاً، ومثل ذلك مجمع المعائب كماً وكيفاً وغلاءً وسوء معاملة، ومثله لا بركة لبضاعته ولا خير في مخالطته.

وربما يقال: إذا كانت نفسه هكذا وتجنبه الناس أليس ذلك مما يزيده هماً وتأخراً، وإذا كان هو المذنب فما ذنب عائلته، وكيف أن الإسلام يشرع الحكم بأن يؤخر المتأخر أكثر

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٦٦.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥٤، علل الشرائع: ص١٧٨.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥٤.

(٥) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٠٦.

فأكثر.

والجواب: كل ذلك إن تم، ولم يكن سبباً للضغط عليه حتى يغير من سلوكه، كان الأمر من باب الأهم والمهم، فإنه إذا أقبل الناس عليه كثر مثله في المجتمع، وأيهما أهم هل حصر مثل هذا الإنسان في نطاق خاص أو توسيع رقعته.

وعن ظريف بن ناصح، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تخالطوا ولا تعاملوا إلاّ من نشأ في الخير»[1].

وعن محمد بن الحسين الرضي، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «شاركوا الذي قد أقبل عليه الرزق، فإنه أخلق للغنى، وأجدر بإقبال الحظ»[2].

أقول (الحظ) شيء واقعي، حيث إنه ربما توفرت الأسباب بدون حول الإنسان وطوله، كما عكسه كذلك، فمن يولد في بيت العلم يصبح عالماً لأنه فى أجواء رفيعة، ومن يولد في بيت الغنى يكون غنياً، ومن يولد في زمان حاكم عادل يكون في الحرية والرفاه، ومن يولد قوي البنية لأن أبويه كذلك، أو جميلاً هكذا، أو ما أشبه أليس كل ذلك حظ، نعم من الحظ أيضاً ما يحصله الإنسان بمقدماته، قال سبحانه: ﴿ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم، ولا يلقاها إلاّ الذين صبروا ولا يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾[3].

وعلى كل، فالحظ موجود على نحو الموجبة الجزئية، غير موجود كذلك، فكل من إثباته مطلقاً أو نفيه مطلقاً غير تام، هذا بالنسبة إلى الكبرى، أما الصغرى فالذي يقبل إليه الرزق ذو حظ خارق، أو من مقدمات في نفس المحظوظ، وكلاهما إذا اشترك الإنسان معه سري حظه إلى الشريك.

---

(١) علل الشرائع: ص١٧٨.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩٥.

(٣) سورة فصلت: ٤١.

فصل في كراهة معاملات ذوي العاهات

عن ميسر بن عبد العزيز، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تعامل ذا عاهة فإنهم أظلم شيء»[1].

وعن أحمد بن محمد رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «احذروا معاملة ذوي العاهات فإنهم أظلم شيء»[2].

وعن ميسرة بن عبد العزيز، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تعاملوا ذا عاهة فإنهم أظلم شيء»[3]

أقول: لعل السر أنه حيث يجد نقصاً في جسده يعسر في التعامل، وتأتي هنا مسألة الأهم والمهم التي ذكرناها في الفصل السابق، ويمكن بعيداً أن المراد بذي العاهة أصحاب الأمراض المسرية، كالسل والجذام والزكام وما أشبه، لكن التعليل بأظلم شيء لا يلائم ذلك، اللهم إلاّ إذا قيل إن صاحب المرض يكون سيء الأخلاق مما يكون بسببه أظلم شيء.

فصل في كراهة معاملة الأكراد ومخالطتهم

أقول: الظاهر أن المراد أهل الجبال ومن إليهم لجهلهم، من (كرد) أي ذهب إلى الجبل، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في (الفقه).

عن أبي الربيع الشامي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) فقلت: إن عندنا قوماً من الأكراد وإنهم لا يزالون يجيؤون بالبيع فنخالطهم ونبايعهم، فقال: «يا أبا

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

الربيع لا تخالطوهم، فإن الأكراد حي من أحياء الجن، كشف الله عنهم الغطاء فلا تخالطوهم»[1].

وعن أبي الربيع الشامي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قال: «لا تخالط الأكراد، فإن الأكراد حي من الجن كشف الله عنهم الغطاء»[2].

أقول: لا يراد بذلك أنهم ليسوا من الإنس، بل لأنهم مستورون بالجبل، وعلى هذا فكل من يسكن الجبال يكون كردياً من غير نظر إلى منطقته أو لسانه، فإذا سكن هؤلاء البلاد خرجوا عن كونهم أكراداً، كما إذا انعكس كان الساكن كردياً.

فصل في كراهة مخالطة السفلة والاستعانة بالمجوس

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال (عليه السلام): «لا تستعن بمجوسي ولو على أخذ قوائم شاتك وأنت تريد أن تذبحها»[3].

قال: وقال (عليه السلام): «إياك ومخالطة السفلة، فإن السفلة لا يئول إلى خير»[4].

وعن إسحاق بن عبد الله الأشعري، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لا تستعن بالمجوس ولو على أخذ قوائم شاتك وأنت تريد ذبحها»[5].

أقول: المجوس لنكاحهم المحارم وقذارتهم يلزم الاجتناب عنهم تنفيراً لهم عن تلك المبادئ، فإن ضرب النطاق الأدبي حول غير مستقيم العقيدة أو السلوك ضغط يوجب عدم توسيع دائرته بل تضييقها.

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣، التهذيب: ج٢ ص١٢١.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٤، علل الشرائع: ص١٧٨.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٥٤.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥٤، علل الشرائع: ص١٧٨.

(٥) مجالس ابن الشيخ: ص٢٨٣.

فصل في كراهة الحلف على البيع والشراء صادقاً،

وتحريم الحلف كاذباً

عن أبي حمزة رفعه، قال: قام أمير المؤمنين (عليه السلام) على دار ابن أبي معيط، وكان تقام فيها الإبل، فقال: «يا معاشر السماسرة أقلوا الأيمان، فإنها منفقة للسلعة، ممحقة للربح»[1].

أقول: من طبيعة الناس تجنب الحلاف لأنهم يجدون فيهم نوع مهانة النفس، ولذا تبور سلعته، ويمحق ربحه، هذا بالإضافة إلى الآثار الغيبية.

وعن درست بن أبي منصور، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم، أحدهم رجل اتخذ الله بضاعة لا يشتري إلاّ بيمين ولا يبيع إلاّ بيمين»[2].

وعن أبي إسماعيل رفعه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه كان يقول: «إياكم والحلف فإنه ينفق السلعة ويمحق البركة»[3].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ويل لتجار أمتي من (لا والله) و(بلى والله) وويل لصناع أمتي من اليوم وغداً»[4].

أقول: حيث الصناع يسوفون فيقول: أعطيك اليوم، ثم إذا جاءه قال: أعطيك غداً.

وعن الحسين بن المختار، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام)، قال: «إن الله تبارك وتعالى يبغض المنفق سلعته بالأيمان»[5].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣، التهذيب: ج٢ ص١٢٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٣، التهذيب: ج٢ ص١٢٢.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٥٢.

(٥) الآمالي: ص٢٩٨.

وعن الحسن الطبرسي في (مكارم الأخلاق)، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله يبغض الثاني عطفه، والمسبل إزاره، والمنفق سلعته بالأيمان»[1].

أقول: (ثاني عطفه) يظهر الترفع، و(المسبل) يتكبر في ثوبه.

وعنه، عن أبيه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، المرخي ذيله من العظمة، والمزكي سلعته بالكذب، ورجل استقبلك بنور صدره فتوارى وقلبه ممتلئ غشاً»[2].

أقول: يظهر الصداقة، والصداقة نور، وهو ممتلئ ظلمة، والغش ظلمة.

وعن أبي ذر، عن النبي (صلى الله عليه وآله) إنه قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم»، قلت: من هم خابوا وخسروا، قال: «المسبل إزاره خيلاء، والمنان، والمنفق سلعته بالحلف الكاذب» أعادها ثلاثاً[3].

أقول: كان من عادة النبي (صلى الله عليه وآله) إعادة الكلام ثلاثاً، ليعيه الطرف ويحفظه.

فصل في كراهة البيع بربح الضعف فصاعداً

إذا لم تكن قيمة السوق ذلك

عن أبي جعفر الفزاري، قال: دعا أبو عبد الله (عليه السلام) مولى يقال له مصادف، فأعطاه ألف دينار، وقال له: «تجهز حتى تخرج إلى مصر، فإن عيالي قد كثروا»، قال: فتجهز بمتاع وخرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا من مصر استقبلهم قافلة خارجة من

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣١٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣١٠.

(٣) تفسير العياشي: ص١٧٩.

مصر فسألوهم عن المتاع الذي معهم ما حاله في المدينة، وكان متاع العامة، فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شيء، فتحالفوا وتعاقدوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً، فلما قبضوا أموالهم انصرفوا إلى المدينة، فدخل مصارف على أبي عبد الله (عليه السلام) ومعه كيسان كل واحد ألف دينار، فقال: جعلت فداك هذا رأس المال، وهذا الآخر ربح، فقال: «إن هذا الربح كثير، ولكن ما صنعتم في المتاع»، فحدثه كيف صنعوا، وكيف تحالفوا، فقال: «سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين أن لا تبيعوهم إلاّ بربح الدينار ديناراً»، ثم أخذ الكيسين، وقال: هذا رأس مالي ولا حاجة لنا في هذا الربح، ثم قال: «يا مصادف مجالدة السيوف أهون من طلب الحلال»[1].

أقول: مثل هذا الربح قد يكون حراماً، حيث إنه من الإكراه الإجوائي، فهل يصح أن يتحالف الخبازون على بيع كل قرص بدرهم مما يضطر الناس إلى الاشتراء، مع أن القرص بعُشر درهم، وقد ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب (الفقه: الاقتصاد)، وأنه داخل في الإجحاف المنهي عنه في كلام علي (عليه السلام) في كتابه إلى مالك الأشتر حين ولاه مصره وغيره.

وعليه فليس الاعتبار بالضعف ونحوه كما ذكر في العنوان، بل بالمناط الذي ذكرناه، وما في الرواية الآتية من (لا بأس) مورده ما لم يكن كذلك، فإن البائع إذا لم يوجد الجو الإكراهي، له الحق في أن لا يبيع سلعته أو يبيعها بأضعاف قيمتها، فإن الناس ليسوا مضطرين إلى الاشتراء منه، أو اشتراء تلك البضاعة غير المضطر إلى استعمالها.

وعن عبد الله بن سليمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال في تجار قدموا أرضاً فاشتركوا في البيع على أن لا يبيعوا بيعهم إلاّ بما أحبوا، قال: «لا بأس بذلك»[2].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١٦٢، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

وعن الحسن بن علي العسكري، عن آبائه، عن موسى بن جعفر (عليهم السلام): «إن رجلاً سأله مائتي درهم يجعلها في بضاعة يتعيش بها» إلى أن قال: فقال: «أعطوه ألفي درهم، وقال: اصرفها في كذا، يعني العفص فإنه متاع يابس، ويستقبل بعد ما أدبر، فانتظر به سنة، واختلف إلى دارنا وخذ الإجراء في كل يوم، فلما تمت له سنة وإذا قد زاد في ثمن العفص للواحد خمسة عشر فباع ما كان اشترى بألفي درهم بثلاثين ألف درهم»[1].

أقول: حيث إن قيمته السوقية كانت ذلك فلم يكن من الإجحاف.

فصل في تحريم الاحتكار و حدّه

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الحكرة في الخصب أربعون يوماً، وفي الشدة والبلاء ثلاثة أيام، فما زاد على الأربعين يوماً في الخصب فصاحبه ملعون، وما زاد على ثلاثة أيام في العسرة فصاحبه ملعون»[2].

أقول: الاحتكار منه محرم، ومنه مكروه، ومنه مباح على تفصيل ذكر في (الفقه)، ولا يخفى أن الاحتكار غير الإضرار، فإن الإضرار محرم وإن لم يكن بموازين الاحتكار، فإن بينهما عموماً من وجه، مثلاً إذا تبانى التجار على بيع الجبن بضعف القيمة، بتكوين السوق السوداء، كان ذلك محرماً من حيث الإضرار والإجحاف لا من حيث الاحتكار، وقد ذكرنا بعض تفصيله في (الفقه: الاقتصاد).

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سألته عن الرجل يحتكر الطعام ويتربص به هل يصلح ذلك، قال: «إن كان الطعام كثيراً يسع الناس فلا بأس به، وإن كان الطعام قليلاً لا يسع الناس فإنه يكره أن يحتكر الطعام ويترك الناس ليس لهم

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣١٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

طعام»[1].

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الجالب مرزوق، والمحتكر ملعون»[2].

أقول: طبيعة الجلب الرزق، لأنه يجلب باستمرار ليربح باستمرار، وطبيعة الاحتكار اللعن، لا عند الله سبحانه فحسب، بل عند الناس أيضاً، لأنهم يرون استيلاءه على حاجاتهم من الجشع والأثرة.

وعن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «ليس الحكرة إلاّ في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن».

ورواه الصدوق بإسناده عن غياث بن إبراهيم، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام) مثله، إلاّ أنه قال: «والزبيب والسمن والزيت»[3].

وعن الحسين بن ثوير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا أصابتكم مجاعة فاعتنوا بالزبيب»[4].

وعن أبي مريم، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أيما رجل اشترى طعاماً فكبسه أربعين صباحاً يريد به غلاء المسلمين ثم باعه فتصدق بثمنه لم يكن كفارة لما صنع»[5].

وعن أبي البختري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليه السلام): «إن علياً (عليه السلام) كان ينهى عن الحكرة في الأمصار، فقال: ليس الحكرة إلاّ في الحنطة والشعير والتمر والزبيب والسمن»[6].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٣، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٣، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٣، الفقيه: ج٢ ص٨٧.

(٤) التهذيب: ٢ ص١٦٢، الفروع: ج١ ص٤١٨.

(٥) المجالس: ص٦٦.

(٦) قرب الإسناد: ص٦٣.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يحتكر الطعام إلاّ خاطئ»[١].

قال: ونهي أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الحكرة في الأمصار[٢].

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «الحكرة في ستة أشياء، في الحنطة والشعير والتمر والزيت والسمن والزبيب»[٣].

وعن ورام بن أبي فراس في كتابه، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، عن جبرئيل (عليه السلام)، قال: «اطلعت في النار فرأيت وادياً في جهنم يغلي، فقلت: يا مالك لمن هذا، فقال: لثلاثة، المحتكرين والمدمنين الخمر والقوادين»[٤].

وعن إسماعيل بن أبي زياد، عن أبي عبد الله، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: «لا يحتكر الطعام إلاّ خاطئ»[٥].

أقول: لا يبعد أن يحرم الاحتكار لأية حاجة للناس، لإطلاق أدلته، وما خصصه بالأشياء الخاصة بالإضافة إلى ضعف سند غالبها والتدافع بينهما، يمكن أن يحمل بقرينة الإطلاقات على الحاجات الضرورية في ذلك الزمان، أو يقال: إن احتكار المذكورات محرم أما غيرها فالحرمة من جهة الإضرار والإجحاف في ما إذا رفعوا قيمها.

وعن محمد بن الحسين الرضا في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في كتابه إلى مالك الأشتر، قال: «فامنع من الاحتكار فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) منع منه،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٣) الخصال: ج١ ص١٥٩.

(٤) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣١٤.

(٥) التهذيب: ج٢ ص١٦١.

وليكن البيع بيعاً سمحاً بموازين عدل وأسعار لا يجحف بالفريقين من البايع والمبتاع، فمن قارف حكرة بعد نهيك إياه فنكل وعاقب في غير إسراف»[1].

أقول: إذا كان الاحتكار ضاراً بالمسلم لم يجز وإن كان في غير الأشياء المذكورة كما تقدم.

فصل في عدم تحريم الاحتكار إذا وجد بايع وغيره

عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سئل عن الحكرة، فقال: «إنما الحكرة أن تشتري طعاماً وليس في المصر غيره فتحتكره، فإن كان في المصر طعام أو متاع (يباع) غيره فلا بأس أن تلتمس بساحتك الفضل»[2].

وعن ابن أبي عمير، عن حماد نحوه، وزاد: قال: وسألته عن الزيت (الزبيب)، فقال: «إذا كان عند غيرك فلا بأس بإمساكه»[3].

وعن أبي الفضل سالم الحناط، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «ما عملك»، قلت: حناط، وربما قدمت على نفاق، وربما قدمت على كساد فحبست، قال: «فما يقول من قبلك فيه»، قلت: يقولون: محتكر، فقال: «يبيعه أحد غيرك»، قلت: ما أبيع أنا من ألف جزء جزءاً، قال: «لا بأس، إنما كان ذلك رجل من قريش يقال له: حكيم بن حزام، وكان إذا دخل الطعام المدينة اشتراه كله، فمر عليه النبي (صلى الله عليه وآله) فقال: يا حكيم بن حزام إياك أن تحتكر»[4].

---

(١) نهج البلاغة القسم الثاني: ص١٠٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٨٧، التوحيد: ص٣٩٩.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٨٧، التوحيد: ص٣٩٩.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

فصل في وجوب البيع على المحتكر عند ضرورة الناس وأنه يلزم به

عن حذيفة بن منصور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «نفد الطعام على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأتاه المسلمون فقالوا: يا رسول الله قد نفد الطعام ولم يبق منه شيء إلاّ عند فلان فمره ببيعه، قال: فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: يا فلان إن المسلمين ذكروا أن الطعام قد نفد إلاّ شيء (شيئاً خ ل) عندك فأخرجه وبعه كيف شئت ولا تحبسه»[1].

أقول: (كيف شئت) هذا فيما لا يريد إضراراً، وإلا سعر بالقيمة المتعارفة.

فصل في أن المحتكر إذا ألزم بالبيع

لا يجوز أن يسعر عليه إلاّ إذا أجحف

عن الحسين بن عبيد الله بن ضمرة، عن أبيه، عن جده، عن علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه قال: «رفع الحديث إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه مر بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج إلى بطون الأسواق وحيث تنظر الأبصار إليها، فقيل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): لو قومت عليهم، فغضب (رسول الله (صلى الله عليه وآله) حتى عرف الغضب في وجهه، فقال: أنا أقوم عليهم، إنما السعر إلى الله يرفعه إذا شاء، ويخفضه إذا شاء»[2].

أقول: قاله الرسول (صلى الله عليه وآله) حين كان المحذور الحفظ فقط لرجاء زيادة الأسعار، لا أنهم كانوا غلوا في الأسعار، لقرينة قوله: (إنما السعر إلى الله) حيث إنه السعر الطبيعي الذي يزيد وينقص حسب ما قرره الله سبحانه من قوانين العرض والطلب، أما إذا كان الغلاء خارجاً عن القيمة السوقية كان من الإجحاف فيأمر

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١٦٢، الفقيه: ج٢ ص٨٧.

الحاكم الإسلامي بالبيع حسب الموازين السوقية.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قيل للنبي (صلى الله عليه وآله): لو سعرت لنا سعراً فإن الأسعار تزيد وتنقص، فقال: «ما كنت لألقى الله ببدعة لم يحدث إلي فيها شيئاً، فدعوا عباد الله يأكل بعضهم من بعض، وإذا استنصحتم فأنصحوا»[1].

أقول: (استنصحتم) أي طلب منكم النصح، فإنكم حيث طلبتم مني النصح بالتسعير أو عدمه، نصحتكم حسب ما يرى الشرع، وهذه الجملة بمنزلة الكبرى الكلية للصغرى المتقدمة بعدم التسعير، وقد ذكر الفقهاء مسألة التسعير في كتاب التجارة.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل وكل بالسعر ملكاً يدبره بأمره»[2].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: ذكر عند علي بن الحسين (عليه السلام) غلاء السعر، فقال: «وما عليّ من غلائه، إن غلا فهو عليه، وإن رخص فهو عليه»[3].

وعن محمد بن أسلم، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل وكل بالسعر ملكاً فلن يغلو من قلة، ولن (لا خ ل) يرخص من كثرة»[4].

أقول: أي ليس ذلك دائماً.

وعن يعقوب بن يزيد، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله وكل بالأسعار ملكاً يدبرها»[5].

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٨٨، التوحيد: ص٣٩٧.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٨٨، التوحيد: ص٣٩٧.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٨٨، التوحيد: ص٣٩٧.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٨٤.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٧٥.

وعن سعد، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لما صارت الأشياء ليوسف بن يعقوب جعل الطعام في بيوت وأمر بعض وكلائه يبيع، فكان يقول: بع بكذا وكذا والسعر قائم، فلما علم أنه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلا على لسانه، فقال له: اذهب فبع ولم يسم له سعراً، فذهب الوكيل غير بعيد ثم رجع إليه فقال له: اذهب وبع، وكره أن يجري الغلا على لسانه، فذهب الوكيل فجاء أول من اكتال فلما بلغ دون ما كان بالأمس بمكيال قال المشتري: حسبك إنما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنه قد غلا بمكيال، ثم جاء آخر فقال له: كل لي، فكال فلما بلغ دون الذي كال للأول بمكيال قال له المشتري: حسبك إنما أردت بكذا وكذا، فعلم الوكيل أنه قد غلا بمكيال حتى صار إلى واحد بواحد»[1].

أقول: الظاهر أن الغلاء عرف من المشترين وإنما كره ليوسف ذكر الغلاء لأنه نوع من التطير.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل وكل بالسعر ملكاً يدبره بأمره»[2].

أقول: (يدبره) قال سبحانه: ﴿فالمدبرات أمراً﴾[3]، ولا شك أن الظواهر الخارجية وراءها أسباب خفية هي المسيطرة على توجيهها من ألفها إلى يائها، والسعر من تلك الصغريات، فلها أسباب ظاهرة من العرض والطلب وغيرهما، ووراء هذه الأسباب أسباب خفية كالمعمل الذي هو سبب ظاهر للإنتاج ووراءه المهندس الذي يديره.

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان سنين يوسف (عليه السلام) الغلا الذي

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٦.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٤.

(٣) سورة النازعات: ٧٩.

أصاب الناس، ولم يتمن الغلا لأحد قط، قال: فأتاه التجار فقالوا: بعنا، فقال: اشتروا، فقالوا: نأخذ كذا بكذا، فقال: خذوا، وأمر فكالوهم فحملوا ومضوا حتى دخلوا المدينة، فلقيهم قوم تجار فقالوا: كيف أخذتم، قالوا: كذا بكذا، وأضعفوا الثمن، قال: فقدم أولئك على يوسف (عليه السلام) فقالوا: بعنا، قال: اشتروا، قالوا بعنا كما بعت كذا بكذا، فقال: ما هو كما يقولون، ولكن خذوا، فأخذوا، ثم مضوا حتى دخلوا المدينة فلقيهم آخرون فقالوا: كيف أخذتم، قالوا: كذا بكذا، وأضعفوا الثمن، قال: فعظم الناس ذلك الغلاء وقالوا: اذهبوا بنا حتى نشتري، قال: فذهبوا إلى يوسف (عليه السلام) فقالوا: بعنا كما بعت، فقال: وكيف بعت، فقالوا: كذا بكذا، فقال: ما هو كذلك ولكن خذوا، قال: فأخذوا ورجعوا إلى المدينة فأخبروا الناس، فقالوا: تعالوا فيما بينهم حتى تكذب في الرخص كما كذبنا في الغلا» الحديث، وفيه إنهم فعلوا عكس ما مر[1].

أقول: فيه إلماع إلى لزوم استواء الحاكم في التسعير، لا أنه إذا رأى غلاءً يرفع السعر، وإلى لزوم الصدق في السعر فإن التجار الأولين لما كذبوا فضحوا ولم ترج سلعتهم، لأن الثانين رجعوا بأنفسهم إلى يوسف (عليه السلام) فاشتروا بالقيمة الأصلية لا المضاعفة، والحاكم إذا كان عادلاً يقف دون غلاء التجار، لأنه يلقي البضاعة في السوق بما يحفظ التوازن بخلاف الجائر، فإنه يستغل احتياج الناس للتلاعب بالسوق، علناً أو ملتوياً بصنع السوق السوداء.

فصل في استحباب ادخار قوت السنة

عن معمر بن خلاد، إنه سأل أبا الحسن الرضا (عليه السلام) عن حبس الطعام سنة،

(١) تفسير العياشي: ج٢ ص١٧٩.

فقال: «أنا أفعله»، يعني بذلك إحراز القوت[1].

وعن الحسن بن الجهم، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «إن الإنسان إذا أدخل طعام سنة (سنته خ ل) خف ظهره واستراح، وكان أبو جعفر وأبو عبد الله (عليهما السلام) لا يشتريان عقدة حتى يدخلا (يحرزا خ ل) طعام سنة (سنتيهما خ ل)»[2].

أقول: فما زاد على الطعام اشتريا به الملك، كالدار والحمام والدكان للاسترباح.

وعن ابن بكير، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن النفس إذا أحرزت قوتها استقرت»[3].

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد (عليه السلام) في حديث طويل قال: «ثم من قد علمتم في فضله وزهده سلمان وأبوذر (رحمهما الله) فأما سلمان فكان إذا أخذ عطاءه رفع منه قوته لسنته حتى يحضر عطاؤه من قابل، فقيل له: يا أبا عبد الله أنت في زهدك تصنع هذا، وأنت لا تدري لعلك تموت اليوم أو غداً، فكان جوابه أن قال: ما لكم لا ترجون لي البقاء كما خفتم علي الفناء، أما علمتم يا جهلة أن النفس قد تلتاث على صاحبها إذا لم يكن لها من العيش ما تعتمد عليه، فإذا هي أحرزت معيشتها اطمأنت»[4].

أقول: كانت عطايا عمر سنة سنة كما في التواريخ، فإذا جاء عطاء سلمان اشترى قوت سنته، أي ما يبقى كالحنطة والتمر ونحوهما، وأما عدم إبقاء النقد، فلأن الطعام في إبانه أرخص، بالإضافة إلى إمكان الغلاء بسبب تقلب

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٥٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٥٢، الفقيه: ج٢ ص٥٥.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٤٦.

الأوضاع، أو ظهور القحط، إلى غير ذلك.

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، إنه سمعه يقول: «كان أبو جعفر وأبو عبد الله (عليهما السلام) لا يشتريان عقدة حتى يدخلا طعام السنة، وقالا: إن الإنسان إذا أدخل طعام سنة خف ظهره واستراح»[1].

فصل في استحباب مواساة الناس

عند شدة ضرورتهم بأن يبيع قوت السنة

عن حماد بن عثمان، قال: أصاب أهل المدينة قحط حتى أقبل الرجل المؤمر يخلط الحنطة بالشعير، ويأكله ويشتري (فينفق خ ل) ببعض الطعام، وكان عند أبي عبد الله (عليه السلام) طعام جيد قد اشتراه أول السنة، فقال لبعض مواليه: «اشتر لنا شعيراً فاخلطه بهذا الطعام أو بعه، فإنا نكره أن نأكل جيداً ويأكل الناس ردياً»[2].

وعن معتب، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «وقد يزيد السعر بالمدينة كم عندنا من طعام»، قال: قلت: عندنا ما يكفينا أشهراً كثيرة، قال: «أخرجه وبعه»، قال: قلت له: وليس بالمدينة طعام، قال: «بعه»، فلما بعته قال: «اشتر مع الناس يوماً بيوم»، وقال: «يا معتب اجعل قوت عيالي نصفاً شعيراً ونصفاً حنطة، فإن الله يعلم أني واجد أن أطعمهم الحنطة على وجهها، ولكني أحببت أن يراني الله قد أحسنت تقدير المعيشة»[3].

وعن معتب، قال: كان أبو الحسن (عليه السلام) أمرنا إذا أدركت الثمرة أن نخرجها فنبيعها ونشتري مع المسلمين يوماً بيوم[4].

أقول: فهنا أمران:

الأول: كون الكيفية ككيفية طعام الناس.

والثاني:

---

(١) قرب الإسناد: ص١٧٤.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

كونهم مثل الناس فإذا اشتروا يوماً بيوم يشتري كذلك.

فصل في استحباب شراء الحنطة، وكراهة شراء الدقيق والخبز

عن عباد بن حبيب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «شراء الحنطة ينفي الفقر، وشراء الدقيق ينشئ الفقر، وشراء الخبز محق»، قال: قلت له: أبقاك الله فمن لم يقدر على شراء الحنطة، قال: «ذلك لمن يقدر ولا يفعل»[1].

أقول: (ينفي الفقر) لأنه ثروة طعامية في البيت، (ينشئ) لأنه لازم أن يعطي ثمن التدقيق أيضاً، بينما إذا اشترى الحنطة تدقق في البيت بسبب النساء والغلمان، أما الخبز فعليه ضعف قيمة التدقيق وقيمة التخبيز وكان ذلك حسب عرف زمانه، لا أن الأمر كذلك مطلقاً.

وعن أبي الصباح الكناني، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «يا أبا الصباح شراء الدقيق ذل، وشراء الحنطة عز، وشراء الخبز فقر، فنعوذ بالله من الفقر»[2].

وعن شيخ من أصحابنا، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من مر العيش النقلة من دار إلى دار، وأكل خبز الشراء»[3].

أقول: فاللازم أن تكون دار الإنسان ملكاً أو شبهه كالوقف الذري.

وعن محمد بن الفضيل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا كان عندك درهم فاشتر به الحنطة، فإن المحق في الدقيق»[4].

وعن إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «من اشترى الحنطة

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٦، التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٢٣.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٥، التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

زاد ماله، ومن اشترى الدقيق ذهب نصف ماله، ومن اشترى الخبز ذهب ماله»[1].

أقول: (نصف) أي النصف العرفي، (ماله) أي معظم ماله حيث إن الدرهم يكون ثلاثة دراهم مثلاً، كما عرفت.

فصل في استحباب الأخذ من الطعام بالكيل

عن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «شكى قوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) سرعة نفاد طعامهم، فقال: تكيلون أو تهيلون، قالوا: نهيل يا رسول الله، يعني الجزاف، قال: كيلوا فإنه أعظم للبركة»[2].

أقول: إن الكيل يوجب التقسيم فيرتب لكل يوم قدر خاص لكل الأيام، أما الهيل فيزيد والزيادة تكون من ناحية إسرافاً، ومن ناحية تنقيصاً عن بعض الأيام، وذلك يوجب عدم البركة، بمعنى الثبات، على ما عرفت في معناها.

وعن مسمع، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «يا أبا سيار إذا أرادت الخادم أن تعمل الطعام فمرها فلتكله فإن البركة فيما كيل»[3].

وعن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كيلوا طعامكم فإن البركة في الطعام المكيل»[4].

فصل في استحباب ملازمة ما ينفع من المعاملات

عن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: شكى رجل إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله)

(١) التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

(٢) الفروع: ج١ ٣٧٦، التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٦٧.

(٤) الفروع: ج١ ٣٧٦، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

الحرفة، فقال: «انظر بيوعاً فاشترها ثم بعها فما ربحت فيه فألزمه»[1].

أقول: كانت حرفته طرفاً خاصاً من المعاملة، ولذا لم يكن يربح بما سبب أن يشتكي إليه (صلى الله عليه وآله)، وعلمه ما يوجب خروجه عن التحرف إلى التوسع.

وعن بشير النبال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا رزقت في (من خ ل) شيء فألزمه»[2].

وعن يحيى الحذاء، قال: قلت لأبي الحسن (عليه السلام): ربما اشتريت الشيء بحضرة أبي فأرى منه ما اغتم به، فقال: «تنكبه ولا تشتر بحضرته، فإذا كان لك على رجل حق فقل له فليكتب: وكتب فلان بن فلان بخطه وأشهد الله على نفسه وكفى بالله شهيداً، فإنه يقضى في حياته أو بعد موته»[3].

أقول: لعل أباه كان يمنعه منه أو ما أشبه ذلك، (فإذا كان لك) جملة مستأنفة.

عن السكوني، وعن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إذا نظر الرجل في تجارة فلم ير فيها شيئاً فليتحول إلى غيرها»[4].

وعن محمد بن فضيل، عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: «كل ما افتتح الرجل به رزقه فهو تجارة»[5].

أقول: فتشمله أدلة التجارة الواردة في الشريعة، ولو كان احتطاباً أو صيداً.

وعن إبراهيم بن عبد الحميد، عن الوليد بن صبيح، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من الناس من رزقه في التجارة، ومنهم من رزقه في السيف، ومنهم من

---

(١) الفروع: ج١ ٣٧٦، الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٢) الفروع: ج١ ٣٧٦، الفقيه: ج٢ ص٥٦.

(٣) الفروع: ج١ ص٤٢٢.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٦، التهذيب: ج٢ ص١٢٢.

(٥) الفروع: ج١ ص٤١٧.

رزقه في لسانه»[1].

أقول: (السيف) أي غنائم الحرب، (لسانه) كالمعلم والخطيب ومن أشبههما، والمراد أن يعمل الإنسان حسب ما يسر له، لا أن يتحول إلى غيره، فإنه حيث لا اندفاع نفسي له في المحول إليه لا يرزق رزقاً رغداً بسببه.

وعن الوشا، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «حيلة الرجل في باب مكسبه»[2].

أقول: أي علاجه في باب الارتزاق، ولعله تحريض على الكسب وليس مجرد إخبار.

فصل في كراهة تلقي الركبان

عن منهال القصاب، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تلق، فإن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن التلقي»، قال: وما حد التلقي، قال: «ما دون غدوة أو روحة»، قلت: وكم الغدوة والروحة، قال: «أربعة فراسخ»، قال ابن أبي عمير: وما فوق ذلك فليس بتلق[3].

وعن منهال القصاب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال: «لا تلق ولا تشتر ما تلقي ولا تأكل منه»[4].

وعن منهال القصاب، إنه سأل أبا عبد الله (عليه السلام) عن تلقي الغنم، فقال: «لا تلق ولا تشتر ما تلقي، ولا تأكل من لحم ما تلقي»[5].

(١) الفروع: ج١ ص٤١٧.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٦.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٦، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٥) الفروع: ج١ ص٣٧٣، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

وعن منهال القصاب، قال: قلت له: ما حد التلقي، قال: «روحة»[1].

وعن عروة بن عبد الله، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يتلقي (يلتقي خ ل) أحدكم تجارة خارجاً من المصر» الحديث[2].

أقول: التحديد في الرواية الأولى قضية وقتية، بل الاعتبار بالحكمة بأن يشتري الناس البضائع من الباعة بلا توسط الدلالين حيث ترتفع القيمة عليهم.

فصل في أنه يكره أن يبيع حاضر لباد

عن عرورة بن عبد الله، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث: «لا يبيع حاضر لباد، والمسلمون يرزق الله بعضهم من بعض»[3].

وعن يونس، قال: تفسير قول النبي (صلى الله عليه وآله): «لا يبيعن حاضر لباد» إن الفواكه وجميع أصناف الغلات إذا حملت من القرى إلى السوق فلا يجوز أن يبيع أهل السوق لهم من الناس ينبغي أن يبيعه حاملوه من القرى والسواد، فأما من يحمل من مدينة إلى مدينة فإنه يجوز، ويجري مجرى التجارة[4].

أقول: هذه الأحاديث توضح وجه الكراهة في تلقي الركبان في الفصل السابق.

وعن أبي الزبير، عن جابر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يبيع حاضر لباد، دعوا الناس يرزق الله بعضهم من بعض»[5].

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٧٦، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٧٦، الفقيه: ج٢ ص٨٩.

(٣) الفروع: ج١ ص٣٧٦، التهذيب: ج٢ ص١٦١.

(٤) الفروع: ج١ ص٣٧٩.

(٥) مجالس ابن الشيخ: ص٢٥٣.

فصل في كراهة منع قرض الخمير والخبز والملح ومنع النار

عن السكوني، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: «لا تمانعوا قرض الخمير والخبز، فإن منعه يورث الفقر»[1].

أقول: فإن من منعهما، بل وأشباههما فإن الظاهر أن ذلك من باب المثال الغالب في زمان الرواية، كف الناس أيديهم عنه، والأصل في الغنى التفاف الناس حول الإنسان، هذا بالإضافة إلى احتمال أن يكون لذلك أثر غيبي أيضاً.

وعن أبي البختري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يحل منع الملح والنار»[2].

وعن معاوية بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «لا تمانعوا قرض الخمير واقتباس النار، فإنه يجلب الرزق على أهل البيت مع ما فيه من مكارم الأخلاق»[3].

فصل في كراهة إحصاء الخبز وجواز اقتراضه عدداً

عن الكناني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث إنه قال: «دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على عائشة وهي تحصي الخبز، فقال: يا عائشة لا تحصي الخبز فيحصى عليك»، ورواه الصدوق مرسلا إلاّ أنه قال: «يا حميراء لا تحصين فيحصى عليك»[4].

أقول: ذلك مع الغنى عن الإحصاء، ولعل لذلك أثراً غيبياً في محق البركة، أو لأن النفس إذا علمت بالعدد استقلته، وللاتجاه النفسي تأثير في الخارج،

---

(١) التهذيب: ج٢ ص١٦٢، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٨.

(٣) الفروع: ج١ ص٤٢١.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١٦٢، الفقيه: ج٢ ص٨٨.

كما في العكس يؤثر الخارج في النفس، وقد ثبت في العلم الحديث أن للنفس أمواجاً كأمواج الماء ترتطم بالخارج فتؤثر عليه.

وعن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): استقرض الرغيف من الجيران فنأخذ كبيراً ونعطي صغيراً، ونأخذ صغيراً ونعطي كبيراً، قال: «لا بأس»[1].

أقول: ذلك مع التراضي.

فصل في جواز مبايعة المضطر والربح عليه على كراهية

عن عمر بن يزيد، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): جعلت فداك إن الناس يزعمون أن الربح على المضطر حرام وهو من الربا، قال: «وهل رأيت أحداً يشتري غنياً أو فقيراً إلاّ من ضرورة، يا عمر قد أحل الله البيع وحرم الربا، فاربح ولا تربه» (ترب خ ل) قلت: وما الربا، قال: «دراهم بدراهم، مثلين بمثل»[2].

وعن أبي أيوب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «يأتي على الناس زمان عضوض يعض كل امرئ مافي يده (يديه خ ل) وينسي الفضل، وقد قال الله: ﴿ولا تنسوا الفضل بينكم﴾، ثم ينبري في ذلك الزمان أقوام يبايعون المضطرين أولئك هم شرار الناس»[3].

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي (عليه السلام) نحوه، وزاد: «وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن بيع المضطر، وعن بيع الغرر»[4].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه

(١) التهذيب: ج٢ ص١٦٢.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٩٠، التهذيب: ج٢ ص١٢٣.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٢٣، الفروع: ج١ ص٤١٩.

(٤) عيون الأخبار: ص٢١٠.

قال: «يأتي على الناس زمان عضوض يعض المؤسر فيه على ما في يديه ولم يؤمر بذلك، قال الله عز وجل: ﴿ولاتنسوا الفضل بينكم﴾، تنهد فيه الأشرار، وتستذل الأخيار، ويبايع المضطرون، وقد نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن بيع المضطرين»[1].

أقول: بيع المضطر بالنقد الذي له بقيمة عادلة لا محذور فيه، وإنما المحذور في عدم مساعدتهم بالهبة إذا لم يكن لهم مال، أو البيع لهم بأغلى استغلالاً لاضطرارهم، أو أن يضطره البائع لبيع حاجاته لأجل سد جوعه ونحوه.

فصل في كراهة الوكس الكثير

عن إسماعيل بن عبد الله القرشي، إن رجلاً قال لأبي عبد الله (عليه السلام): رأيت في منامي كأن شبحاً من خشب أو رجلاً منحوتاً من خشب على فرس من خشب يلوح بسيفه وأنا شاهده فزعاً مرعوباً، فقال: «أنت رجل تريد اغتيال رجل في معيشته، فاتق الله الذي خلقك ثم يميتك»، فقال الرجل: أشهد أنك قد أوتيت علماً واستنبطته من معدنه، إن رجلاً من جيراني عرض ضيعته عليّ فهممت أن أملكها بوكس كثير لما علمت أنه ليس لها طالب غيري»[2].

أقول: لعل وجه الربط أن صاحب الضيعة كان ضعيفاً في قبال المشتري حيث لا يطلب ضيعته أحد، فشبه في المنام بالخشب الضعيف أمام الإنسان وكأنهم خشب مسندة، وفرسه عبارة عن ضيعته، والضيعة مشتملة على الأخشاب، والتلويح بالسيف إشارة إرادته إمضاء ما في نفسه من البيع، فالسيف رمز إمضاء أمر، كما أن السيف الخارجي يمضي إرادة الإنسان في قتل أعدائه.

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٥٤.

(٢) الروضة: ص٢٩٣.

فصل في استحباب كون الإنسان

سهل البيع والشراء والقضاء والاقتضاء

عن حنان، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «بارك الله على سهل البيع، سهل الشراء، سهل القضاء، سهل الاقتضاء»[1].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى يحب العبد يكون سهل البيع، سهل الشراء، سهل القضاء، سهل الاقتضاء»[2].

وعن محمد بن المنكدر، عن جابر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «غفر الله لرجل كان قبلكم، كان سهلاً إذا باع، سهلاً إذا اشترى، سهلاً إذا قضى، سهلاً إذا استقضى»[3].

أقول: (القضاء) أن يدفع الإنسان، سواء في الزواج أو العطاء أو سائر الشؤون، حتى في الإفراغ لدي الملامسة بحيث يطول حتى يفرغ طرفه لأنه إنما يكون بالتفارغ معاً.

و(الاستقضاء) أن يطلب الإنسان، وهو طرف القضاء دائماً، مثلاً إذا طلب التزويج يكون سهلاً، وفي قباله إذا طلب منه زواج بنته يكون سهلاً وهكذا، ولا يخفى أن مثل هذا الإنسان يعيش في بحبوحة السعادة النفسية والاجتماعية، لأن له نفساً راضية، والاجتماع يلتفون حوله ويقدرونه.

---

(١) التهذيب: ج٢ ص١٢٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٦٥.

(٣) الخصال: ج١ ص٩٢.

فصل في استحباب اختيار شراء الجيد وبيعه

عن عاصم بن حميد، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «أي شيء تعالج»، قلت: أبيع الطعام، فقال لي: «اشتر الجيد، وبع الجيد، فإن الجيد إذا بعته قيل له: بارك الله فيك وفيمن باعك»[1].

وعن مروك بن عبيد، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قال: «في الجيد دعوتان، وفي الرديء دعوتان، يقال لصاحب الجيد: بارك الله فيك وفيمن باعك، ويقال لصاحب الرديء: لا بارك الله فيك ولا فيمن باعك»[2].

أقول: هذا جار في كل أخذ وعطاء ولو في غير البيع، بالملاك المذكور والأدلة العامة.

فصل في كراهة الاستحطاط بعد الصفقة

وقبول الوضيعة وعدم تحريمه

عن محمد بن يعقوب، عن على بن إبراهيم، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن إبرهيم الكرخي (الكلابي خ ل)، قال: اشتريت لأبي عبد الله (عليه السلام) جارية فلما ذهبت أنقدهم قلت: أستحطهم، قال: «لا، أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نهى عن الاستحطاط بعد الضمنة»[3].

وعن علي أبي الأكراد، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني أتقبل العمل فيه الصناعة وفيه النقش، فأشارط عليه النقاش على شيء فيما بيني وبينه، العشرة أزواج بخمسة دراهم والعشرين بعشرة، فإذا بلغ الحساب قلت له: أحسن فأستوضعه

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٨٦.

(٢) الفروع: ج١ ص٣٨٦، الخصال: ج١ ص٢٤.

(٣) الفروع: ج١ ص٤١١، التهذيب: ج٢ ص١٨١.

من الشرط الذي شارطته عليه، قال: «تطيب نفسه»، قلت: نعم، قال: «لا بأس»[1].

عن معلى بن خنيس، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يشتري المتاع ثم يستوضع، قال: «لا بأس»، وأمرني فكلمت له رجلاً في ذلك[2].

أقول: لعل البائع كان غبن بأخذ الزائد منه، أو العمل كان قبل تمام البيع، إلى غير ذلك.

وعن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: الرجل يستوهب من الرجل الشيء بعد ما يشتري فيهب له، أيصلح له، قال: «نعم»[3].

وعن أبي العطارد، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أشتري الطعام فأضع في أوله وأربح في آخره، فأسال صاحبه أن يحط عني في كل كر كذا وكذا، قال: «هذا لا خير فيه، ولكن يحط عنك جملة»، قلت: فإن حط عني أكثر مما وضعت، قال: «لا بأس» الحديث[4].

أقول (أضع في أوله) أي أبيعه بأقل، و(في آخره) حيث يعز الطعام أبيعه بأكثر، فلا يكون تساويا بين المشترين الممتدين زمناً، (فاسأل) كانه بالنسبة إلى أوله حيث أبيع بأقل، فلابد من أن يحط بعض الثمن عني حتى لا أخسر، (جملة) لأن الصفقة واحدة فالأفضل نسبة الوضع إلى الجملة.

وعن زيد الشحام، قال: أتيت أبا جعفر محمد بن علي (عليه السلام) بجارية أعرضها عليه، فجعل يساومني وأنا أساومه ثم بعته إياه، فضمن على يدي، فقلت: جعلت فداك إنما ساومتك لأنظر المساومة تنبغي أو لا تنبغي، وقلت: قد حططت عنك عشرة دنانير، فقال: «هيهات ألا كان هذا قبل الضمنة، أما بلغك قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): الوضيعة بعد

---

(١) التهذيب: ج٢ ص١٨١.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١٨١، الاستبصار: ج٣ ص٧٣.

(٣) التهذيب: ج٢ ص١٨١، الاستبصار: ج٣ ص٧٤.

(٤) التهذيب: ج٢ ص١٢٨.

الضمنة حرام»[1].

أقول: (حرام) يعني مكروه على ما تقدم، إذ معناه اللغوي المنع الشامل للمستحيل وإياهما، قال سبحانه: ﴿وحرام على قربة أهلكناها أنهم الينا لا يرجعون﴾[2]، كما أن (الواجب) في عكسه يشمل الثلاثة أيضاً.

عن يوسف بن يعقوب، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): الرجل يشتري من الرجل البيع فيستوهبه بعد الشراء من غير أن يحمله على الكره، قال: «لا بأس به»[3].

فصل في استحباب المماكسة والتحفظ من الغبن

عن الحسين بن يزيد، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) وقد قال له أبو حنيفة: عجب الناس منك أمس وأنت بعرفة تماكس ببدنك أشد مكاس، قال: فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «وما لله من الرضا أن أغبن في مالي»[4].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «ماكس المشتري فإنه أطيب للنفس وإن أعطى الجزيل، فإن المغبون في بيعه وشرائه غير محمود ولا مأجور»[5].

وعن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «المغبون لا محمود ولا مأجور»[6].

أقول: لا يحمده الناس، ولا يأجره الله سبحانه، إذ هو بنفسه بترك

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٧٧، الفروع: ج١ ص٤١١.

(٢) سورة الأنبياء: ٩٥.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٧٦.

(٤) الفروع: ج١ ص٣١٤.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٤٥.

(٦) عيون الأخبار: ص٢١١.

المماكسة سبب إضرار نفسه.

فصل في ما تكره المماكسة فيه

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول لقهرمانه: إذا أردت أن تشتري لي من حوائج الحج شيئاً فاشتر ولا تماكس»[1].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي لا تماكس في أربعة أشياء، في شراء الأضحية، والكفن، والنسمة، والكراء إلى مكة»[2].

وعن محمد بن عيسى رفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لا تماكس في أربعة أشياء، في الأضحية والكفن وثمن النسمة والكراء إلى مكة»[3].

أقول: لعل وجه (الأضحية) أنه إذا لم يماكس فيها رغب أصحاب النعم في الإتيان بها للبيع فتكثر الأضاحي وفي ذلك نفع الفقراء، و(الكفن) لا ينبغي فيه ذلك لأنه بخل في أمر الآخرة، و(النسمة) إهانة للإنسان المشترى بالفتح، حيث يشعر بالذلة وأنه كالحيوان والبضاعة، و(الكراء) حتى يكثر من يكري ويكثر الحج، ولا بعد في اطراد الملاك في أشباه ذلك، كثمن سائر لوازم الميت والكراء إلى الزيارة، إلى غيرها.

فصل في استحباب الاستتار بالمعيشة وكتمها

عن محمد بن سنان، عن أبي جعفر الأحول، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام):

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٦٥.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٤٠، الخصال: ج١ ص١١٧.

(٣) الخصال: ج١ ص١١٧.

«أي شيء معاشك»، قال: قلت: غلامان لي وجملان، قال: فقال: «استتر بذلك من إخوانك، فإنهم إن لم يضروك لم ينفعوك»[1].

أقول: لأن كثيراً من الناس يضربون بالعين من عرفوا قوته المالية، فالستر أحفظ.

فصل في استحباب شراء الصغار وبيعها كباراً

عن هشام المثني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من ضاق عليه المعاش» أو قال: «الرزق، فليشتر صغاراً وليبع كباراً»[2].

أقول: صغير الحيوان والشجر وما أشبه مما ينمو، حيث كبيره غال وصغيره رخيص.

قال: وروي عنه (عليه السلام) أنه قال: «من أعيته الحلية فليعالج الكرسف»[3].

أقول: لعل المراد يأخذ القطن فيندفه أو يغزله أو يحوكه ثم يبيعه، والظاهر أنه من باب المثال.

وعن عبد الله بن إبراهيم، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أعيته القدرة فليرب صغيراً»[4].

---

(١) الفروع: ج١ ص٤١٧، التهذيب: ج٢ ص١٨٠.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٧.

(٣) الفروع: ج١ ص٤١٧.

(٤) الفروع: ج١ ص٤١٩.

فصل في الزيادة وقت النداء

والدخول في سوم المسلم والنجش

عن أمية بن عمرو، عن الشعيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «إذا نادى المنادي فليس لك أن تزيد، وإنما يحرم الزيادة النداء ويحلها السكوت»[1].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الواشمة والمتوشمة والناجش والمنجوش ملعونون على لسان محمد»[2].

أقول: (الوشم) هو الخال، ولعل الكراهة من جهة التدليس، و(النجش) هو الزيادة في من لا يريد الاشتراء بل تقوية السوق للبائع ضد المشتري، وقد ذكر تفصيل ذلك في كتاب المكاسب.

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في حديث المناهي قال: «ونهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يدخل الرجل في سوم أخيه المسلم»[3].

أقول: (سوم) تعامله قبل أن ينهي المعاملة، فيدخل الداخل ويزيد عليه أو يشتريه ولو بدون الزيادة.

وعن القاسم بن سلام، بإسناد متصل إلى النبي (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «لا تناجشوا ولا تدابروا، معناه أن يزيد الرجل في ثمن السلعة وهو لا يريد شراءها ليسمعه غيره فيزيد بزيادته، والناجش خائن، والتدابر الهجران»[4].

---

(١) الفروع: ج١ ص٤١٨، التهذيب: ج٢ ص١٨٠.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٣٧.

(٣) الفقيه: ج٢ ص١٩٤.

(٤) معاني الأخبار: ص٨٢.

فصل في استحباب الطلب حتى في قليل الرزق

وكراهة استقلاله وتركه

عن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من طلب قليل الرزق كان ذلك داعية إلى اجتلاب كثير من الرزق»[1].

وعن الحسن بن بسام الجمال، قال: كنت عند إسحاق بن عمار الصيرفي فجاء رجل يطلب غلة بدينار، وكان قد أغلق باب الحانوت وختم الكيس، فأعطاه غلة بدينار، فقلت له: ويحك يا إسحاق ربما حملت لك من السفينة ألف ألف درهم، فقال: ترى كان بي هذا، لكني سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من استقل قليل الرزق حرم كثيره»، ثم التفت إليّ فقال: يا إسحاق لا تستقل قليل الرزق فتحرم كثيره[2].

أقول: فإن الكبار تجمع من الصغار، البحر من القطرات، والصحراء من حبات الرمال، والبدن من الخلايا، وهكذا.

فصل في استحباب اجتناب

معاملة من ينفق ماله في معصية الله

عن جهم بن حميد، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إذا رأيت الرجل يخرج من ماله في طاعة الله فاعلم أنه أصابه من حلال، وإذا أخرجه في معصية الله فاعلم أنه أصاب من حرام»[3].

وعن أحمد بن محمد بن عيسى، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال:

(١) الفروع: ج١ ص٤١٩.

(٢) الفروع: ج١ ص٤٢٢.

(٣) الفروع: ج١ ص٤١٩.

قلت له: الرجل يخرج ثم يقدم علينا وقد أفاد المال الكثير فلا ندري اكتسبه من حلال أو حرام، فقال: «إذا كان ذلك فانظر في أي وجه يخرج نفقاته، فإن كان ينفق فيما لا ينبغي مما يأثم عليه فهو حرام»[1].

فصل في استحباب جلوس بايع الثوب القصير

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «مر النبي (صلى الله عليه وآله) على رجل ومعه ثوب يبيعه، وكان الرجل طويلاً والثوب قصيراً، فقال له: اجلس فإنه أنفق لسلعتك»[2].

أقول: كان الثوب ممدوداً بيد الرجل، وحيث كان الرجل طويلاً كان يزعم من يرى الثوب أنه قصير فلا يشتريه، بينما لم يكن العيب في الثوب وإنما يظهر هكذا لأن البائع كان طويلاً، وملاكه يشمل ما كان الشيء متعارفاً لكنه يظهر خلافه لاقتران مقترن به يريه على خلاف واقعه، مثلاً إذا كان لون الشيء مرغوباً لكنه جالس في محل مظلم لسقف ونحوه بحيث يرى الرائي اللون مشرباً فتقل الرغبة فيه.

فصل في كراهة الشكوى من عدم الربح

عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يأتي على الناس زمان يشكون فيه ربهم، قلت: وكيف يشكون فيه ربهم، قال: يقول الرجل: والله ما ربحت شيئاً منذ كذا وكذا، ولا آكل ولا أشرب إلاّ من رأس مالي، ويحك وهل

---

(١) الفروع: ج١ ص٤١٩.

(٢) الفروع: ج١ ص٤١٩، التهذيب: ج٢ ص١٧٩.

أصل مالك وذروته إلاّ من ربك»[1].

أقول: الظاهر كراهة ذلك إذا كان مؤشراً إلى عدم الشكر، وإلا فلا دلالة في الرواية على كراهة الشكوى مطلقاً.

فصل في استحباب العود في غير طريق الذهاب

عن موسى بن عمر بن بزيع، قال: قلت للرضا (عليه السلام): جعلت فداك إن الناس رووا أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان إذا أخذ في طريق رجع في غيره، فكذا كان يفعل، قال: فقال: «نعم وأنا أفعله كثيراً فافعله»، ثم قال لي: «أما إنه أرزق لك»[2].

أقول: تقدم الوجه في ذلك، فإن صاحب المتاع الذي بيده يجد المشتري في الطريق الثاني كما يجده في الطريق الأول، بالإضافة إلى إيحاء الثاني بشيء غير الأول فينفتح باب الذهن أكثر، إلى غيرهما، ولعل له سبباً غيبياً في إزالة الفقر.

فصل في ما يستحب أن يعمل لقضاء الدين وسوء الحال

عن إسماعيل بن سهل، قال: كتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام): إني قد لزمني دين فادح، فكتب: «أكثر من الاستغفار، ورطب لسانك بقراءة إنا أنزلناه»[3].

وعن أبي عمرو الحذاء، قال: ساءت حالي فكتبت إلى أبي جعفر (عليه السلام) فكتب إليّ: «أدم قراءة (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه)، قال: فقرأتها حولاً فلم أر شيئاً، فكتبت إليه أخبره بسوء حالي، وإني قد قرأت (إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه) حولاً كما أمرتني

---

(١) الفروع: ج١ ص٤٢٠، التهذيب: ج٢ ص١٧٩.

(٢) الروضة: ص١٩٠، الفروع ج١ ص٤٢٠.

(٣) الفروع: ج١ ص٤٢١.

ولم أر شيئاً، قال: فكتب إلي: «قد وفى لك الحول فانتقل منها إلى قراءة (إنا أنزلناه)»، قال: ففعلت فما كان إلاّ يسيراً حتى بعث إليّ ابن أبي داود فقضى عني ديني، وأجرى علي وعلى عيالي، ووجهني إلى البصرة في وكالته بباب كلتا (بباب كلاء خ ل)، وأجرى عليّ خمسمائة درهم، وكتبت من البصرة على يدي علي ابن مهزيار إلى أبي الحسن (عليه السلام): إني كنت سألت أباك عن كذا وشكوت إليه كذا، وإني قد قلت الذي أحببت، فأحببت أن تخبرني مولاي كيف أصنع في قراءة (إنا أنزلناه)، أقتصر عليها وحدها في فرائضي وغيرها، أم أقرأ معها غيرها، أم لها حد أعمل به، فوقع وقرأت التوقيع: «لا تدع من القرآن قصيره وطويله، ويجزيك من قراءة (إنا أنزلناه) يومك وليلتك مائة مرة»[1].

فصل في استحباب بيع التجارة قبل دخول مكة

عن خالد بن نجيح الجوان، قال: قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام): إنا نجلب المتاع من صنعاء نبيعه بمكة العشرة ثلاثة عشر واثني عشر، ونجيء به فيخرج إلينا تجار من تجار مكة فيعطوننا بدون ذلك الأحد عشر والعشرة ونصف ودون ذلك، فأبيعه أو أقدم مكة، فقال لي: «بعه في الطريق، ولا تقدم به مكة، فإن الله تعالى أبى أن يجعل متجر المؤمن بمكة»[2].

أقول: الظاهر أنه كان خاصاً بزمانه، ولعله كان في مكة محذور للشيعة في ذلك الوقت، فلذا رأى الإمام (عليه السلام) أن الأفضل له أن لا يرى بمكة، ولعل ملاكه شامل لكل زمان ومكان وشرائط توجب محذوراً للإنسان في تجارته فينصرف بالتجارة إلى ما لا محذور فيه، وعليه فالعنوان من باب القضية الخارجية،

(١) الفروع: ج١ ص٤٢١.

(٢) التهذيب: ج٢ ص١٨٠.

الوقتية لا الحكم الكلي.

فصل في كراهة البيع في الظلال وتحريم الغش

عن هشام بن الحكم، قال: كنت أبيع السابري في الظلال، فمر بي أبو الحسن الأول (عليه السلام) راكباً، فقال لي: «يا هشام إن البيع في الظلال غش، والغش لا يحل»[1].

أقول: كان ذلك حيث يظهر اللون للرائي أحسن، أما إذا لم يكن كذلك فلا كراهة، كما أن ملاكه شامل لكل أمثال ذلك، كما إذا كان تحت النور يظهر أحسن وليس به، إلى غير ذلك.

فصل في استحباب تجارة الإنسان في بلاده

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): «من سعادة المرء أن يكون متجره في بلاده، ويكون خلطاؤه صالحين، ويكون له أولاد يستعين بهم»[2].

أقول: (في بلاده) لأن تحمل شأن السفر صعب على الإنسان.

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٨٩، الفروع: ج١ ص٢٧٤.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٥٤، الخصال: ج١ ص٧٧.

جهاد النفس وما يناسبه

فصل في وجوب جهاد النفس

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن النبي (صلى الله عليه وآله) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، فقيل: يا رسول الله ما الجهاد الأكبر، قال: جهاد النفس»[1].

أقول: وجهه واضح، لأن جهاد النفس طويل بطول عمر الإنسان، وإنه يستغرق كل الليل والنهار، بخلاف جهاد العدو فإنه خاص بزمان خاص.

ثم إن الجهاد خلاف الشهوات والمحرمات شديد على النفس، بخلاف جهاد العدو الذي تميل إليه النفس غالباً، لأن فيه نوعاً من حب الاستعلاء والتقدم وموافقة الاجتماع الطالب للجهاد.

وعن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «احمل نفسك لنفسك، فإن لم تفعل لم يحملك غيرك»[2].

أقول: (حمل النفس) عبارة القيام بشؤونها من التهذيب والتربية

---

(١) الفروع: ج١ ص٣٣٠.

(٢) الأصول: ص٥١١.

والتخلق بالفضائل، إلى غير ذلك.

وعن أحمد رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) لرجل: «إنك قد جعلت طبيب نفسك، وبين لك الداء، وعرفت آية الصحة، ودللت على الدواء، فانظر كيف قيامك على نفسك»[١].

أقول: (آية الصحة) عدم وجود الصفات الذميمة والأعمال غير المحمودة فإنها دليل صحة النفس وسلامتها.

وعنه رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) لرجل: «اجعل قلبك قريناً براً، وولداً واصلاً، واجعل علمك والداً تتبعه، واجعل نفسك عدواً تجاهده، واجعل مالك عارية تردها»[٢].

أقول: (براً) كما أن القرين البار يبر بالإنسان كذلك النفس الطيبة، (والقلب) يوحي إلى الإنسان بالبر والتقوى، (واصلاً) كما أن الولد الوصول يخدم الإنسان كذلك النفس الطاهرة تخدم الإنسان في ترفيعه، (نفسك) النفس وحدة واحدة لكن فيها وحيان وحي الملائكة ووحي الشيطان كما في رواية عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، والمراد بهذا الحديث الاستماع إلى الأول لا الثاني، بل يتخذ الثاني عدواً، وجمع من علماء النفس الحديث يقولون: إن داخل الإنسان ثلاثة أشياء (أنا) و(هو) و(أنا الأفضل) على تفصيل ذكرناه في كتاب لنا في علم النفس.

قال: ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الشديد من غلب نفسه»[٣].

وعن المفضل بن عمر، قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): «من لم يكن

---

(١) الأصول: ص٥١١.

(٢) الأصول: ص٥١١، الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٤٢.

له واعظ من قلبه وزاجر من نفسه ولم يكن له قرين مرشد استمكن عدوه من عنقه»[1].

أقول: واعظ وزاجر، أحدهما يأمر بالخير والآخر ينهى عن الشر، والقلب والنفس شيء واحد على الظاهر، وإنما تفنن في العبارة من جهة البلاغة.

ولا يخفى أن في القرآن الحكيم ذكر النفس بين جهتين، قال ﴿ونفس وما سواها، فألهمها فجورها وتقواها﴾[2]، وذكر الروح برفعة، قال ﴿قل الروح من أمر ربي﴾[3]، ومثل النفس والعقل والروح في البدن كمثل السائق وعينه الهادية له إلى الطريق والوقود في السيارة، فإذا مات الإنسان ألغي البدن وبقيت الثلاثة، ولذا ربما عبر بالنفس، قال سبحانه: ﴿وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد﴾[4]، وربما عبر بالروح كما في الحديث: «أرواح المؤمنين كذا»، أما العقل فهي صفة لا موصوف، فلم يعبر عنه في المحشر إلا بمثل «بك أثيب وبك أعاقب»، كما أن السائق بسبب عينه يأخذ الجادة أو يتركها، والكلام تقريبي، وإلا فالخصوصيات لا يعلمها إلاّ علام الغيوب، وقد ورد (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وفسره بعض بأن الرب كما لا تعرف حقيقته كذلك النفس أيضاً.

وعن حماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي، أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد»[5].

وعن شعيب العقرقوفي، عن الصادق (عليه السلام)، قال: «من ملك نفسه إذا رغب وإذا

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٥٢.

(٢) سورة الشمس: ٧.

(٣) سوره: الإسراء: ٨٥.

(٤) سورة ق: ٢١.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٣٣.

رهب وإذا اشتهي وإذا غضب وإذا رضي حرم الله جسده على النار»[1].

أقول (رغب) في شيء، (ورهب) وخاف عنه، ورضي عنه أو غضب عليه، أو اشتهى أكلاً أو زوجة، لكن لم يدخله ذلك في الحرام أو ترك الواجب، وإنما ذكر خمسة مع أنها أربعة، فإن الاشتهاء داخل في الرغبة، للإلماع إلى أهميته، فهو من باب ذكر الخاص بعد العام.

وعن موسى بن إسماعيل، عن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام)، قال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث سرية فلما رجعوا قال: مرحباً بقوم قضوا الجهاد الأصغر وبقي عليهم الجهاد الأكبر، قيل: يا رسول الله وما الجهاد الأكبر، فقال: جهاد النفس»[2].

وقال (عليه السلام): «إن أفضل الجهاد من جاهد نفسه التي بين جنبيه».

وعن محمد بن الحسين الرضي في (المجازات النبوية)، عنه (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «المجاهد من جاهد نفسه»[3].

فصل في الفروض على الجوارح

عن أبي عمرو الزبيري، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث طويل قال: «إن الله فرض الإيمان على جوارح ابن آدم، وقسمه عليها وفرقه فيها، فليس من جوارحه جارحة إلاّ وقد وكلت من الإيمان بغير ما وكلت به أختها» إلى أن قال: «فأما ما فرض على القلب من الإيمان فالإقرار والمعرفة والعقد والرضا والتسليم بأن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له إلها واحداً لم يتخذ صاحبةً ولا ولداً، وأن محمداً

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٥٢، ثواب الأعمال: ص٨٧.

(٢) المجالس: ص٢٧٩.

(٣) المجازات النبوية: ص١٢٨.

عبده ورسوله، والإقرار بما جاء من عند الله من نبي أو كتاب، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة وهو عمله، وهو قول الله عز وجل: ﴿إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾(١).

وقال: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾(٢).

وقال: ﴿الذين قالوا آمنوا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾(٣).

وقال: ﴿إن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾(٤)، فذلك ما فرض الله على القلب من الإقرار والمعرفة فهو عمله وهو رأس الإيمان.

وفرض الله على اللسان القول والتعبير عن القلب بما عقد عليه وأقر به، قال الله تبارك وتعالى اسمه: ﴿وقولوا للناس حسنا﴾(٥). وقال: ﴿قولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾(٦)، فهذا ما فرض الله على اللسان وهو عمله.

وفرض على السمع أن يتنزه عن الاستماع إلى ما حرم الله، وأن يعرض عما لا يحل له مما نهى الله عز وجل عنه، والإصغاء إلى ما أسخط الله عز وجل، فقال عز وجل في ذلك: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾(٧).

ثم استثنى موضع النسيان، فقال: ﴿وإما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾(٨)، وقال: ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾(٩)، وقال تعالى: ﴿قد أفلح المؤمنون * الذين هم في صلاتهم خاشعون * والذين هم عن اللغو معرضون * والذين هم للزكاة فاعلون﴾(١٠)، وقال: ﴿وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه﴾(١١)، وقال: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾(١٢).

فهذا ما فرض الله على السمع من الإيمان أن لا يصغى إلى ما لا يحل له وهو عمله

---

(١) سورة النحل: ١١٦.

(٢) سورة الرعد: ٢٨.

(٣) سورة المائدة: ٤١.

(٤) سورة البقرة: ٢٨٤.

(٥) سورة البقرة: ٨٣.

(٦) سورة العنكبوت: ٤٦.

(٧) سورة النساء: ١٤٠.

(٨) سورة الأنعام: ٦٨.

(٩) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(١٠) سورة المؤمنون: ١ ـ ٤.

(١١) سورة القصص: ٥٥.

(١٢) سورة الفرقان: ٧٢.

وهو من الإيمان.

وفرض على البصر أن لا ينظر إلى ما حرم الله عليه، وأن يعرض عما نهى الله عنه مما لا يحل له وهو عمله وهو من الإيمان، فقال تبارك وتعالى: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[1] أن ينظروا إلى عوراتهم، وأن ينظر المرء إلى فرج أخيه، ويحفظ فرجه أن ينظر إليه، وقال: ﴿قل للمؤمنات يغضضن من أبصارهم ويحفظن فروجهن﴾[2] من أن تنظر إحداهن إلى فرج أختها، وتحفظ فرجها من أن ينظر إليه، وقال: كل شيء في القرآن من حفظ الفرج فهو من الزنا إلاّ هذه الآية فانها من النظر.

ثم نظم ما فرض على القلب والبصر واللسان في آيه أخرى فقال: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾[3]، يعني بالجلود الفروج والأفخاذ، وقال: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[4]، فهذا ما فرض الله على العينين من غض البصر وهو عملها، وهو من الإيمان.

وفرض على اليدين أن لا يبطش بهما إلى ما حرم الله، وأن يبطش بهما إلى ما أمر الله عز وجل، وفرض عليهما من الصدقة وصلة الرحم والجهاد في سبيل الله والطهور للصلوات، فقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾[5]، وقال: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثاق فإما منا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها﴾[6]، فهذا ما فرض الله على اليدين لأن الضرب من علاجهما.

وفرض على الرجلين أن لا يمشي بهما إلى شيء من معاصي الله، وفرض عليهما المشي إلى ما يرضي الله عز وجل، فقال: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً﴾[7]، وقال: ﴿واقصد في مشيك واغضض

---

(١) سورة النور: ٣٠.

(٢) سورة النور: ٣١.

(٣) سورة فصلت: ٢٢.

(٤) سورة الإسراء: ٣٦.

(٥) سورة المائدة: ٦.

(٦) سورة محمد: ٤.

(٧) سورة الإسراء: ٣٧.

من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير﴾[1]، وقال فيما شهدت به الأيدي والأرجل على أنفسهما وعلى أربابها من تضييعها لما أمر الله به وفرضه عليها: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[2]، فهذا أيضاً مما فرض الله على اليدين وعلى الرجلين وهو عملها وهو من الإيمان.

وفرض على الوجه السجود له بالليل والنهار في مواقيت الصلاة، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[3]، فهذه فريضة جامعة على الوجه واليدين والرجلين، وقال في موضع آخر: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً﴾[4].

إلى أن قال: «فمن لقي الله حافظاً لجوارحه موفياً كل جارحة من جوارحه ما فرض الله عليها لقي الله عزوجل مستكملاً لإيمانه وهو من أهل الجنة، ومن خان في شيء منها أو تعدى مما أمر الله عزوجل فيها لقي الله ناقص الإيمان».

إلى أن قال: «وبتمام الإيمان دخل المؤمنون الجنة، وبالنقصان دخل المفرطون النار»[5].

أقول: (العقد) أن يعقد قلبه ويبني على شيء كما يعقد الحبل، وهو غير المعرفة والإقرار قلباً، ولذا كان أبو جهل يعرف ويقر قلباً، لكنه لم يعقد قلبه على ما عرف، قال سبحانه: ﴿وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم﴾[6]، إلى غيرها من الآيات والروايات.

(من النظر) هذا تأويل الآية، وإلا فظاهرها خاص بالزنا ونحوه أو أعم منهما، بينما تأويل سائر الآيات لا يكون كهذه الآية، (الفروج) هذا من باب المصداق وإلا فاللمس من فعل الجلد وهو حرام في الحرام، وحلال في الحلال، ولم يذكر في الحديث الذوق والشم، وكأن الأول داخل في الجلود، لأن جلد اللسان يتذوق، والشم له حكم قليل، كما في الحج حيث يحرم شم

---

(١) سورة لقمان: ١٩.

(٢) سورة يس: ٦٥.

(٣) سورة الحج: ٧٧.

(٤) سورة الجن: ١٨.

(٥) الأصول: ص٣٢٤.

(٦) سورة النمل: ١٤.

الرائحة الطيبة، ويحرم سد الأنف عن الرائحة الخبيثة، ولعل البطن أيضاً داخل في الجلود، قال تعالى: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً﴾[1].

وعن الحسن بن هارون، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[2]، قال: «يسأل السمع عما سمع، والبصر عما نظر إليه، والفؤاد عما عقد إليه»[3].

أقول: لا منافاة بأن تكون النفس هي العاقلة، وأن يسأل عن آلة النفس التي هي السمع والبصر، كما أن السارق تقطع يده، ومن فقأ عين الناس تفقأ عينه، ويظهر من بعض الأحاديث أنه في الآخرة يعذب كل عضو بما عمل، مثلاً في حديث عن علي (عليه السلام): «إن أيدي الناكثين في قلعة في جهنم»، إلى غير ذلك.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، قال: «الإيمان لايكون إلاّ بعمل، والعمل منه، ولا يثبت الإيمان إلاّ بالعمل»[4].

أقول (لا يكون) أي كاملاً.

وعن عبد الله بن مسكان، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، قال: «من أقر بدين الله فهو مسلم، ومن عمل بما أمر الله فهو مؤمن»[5].

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث، إنه قال له: إن خيثمة أخبرنا أنه سألك عن الإيمان فقلت: «الإيمان بالله، والتصديق بكتاب الله، وأن لا يعصي الله»، فقال: «صدق خيثمة»[6].

وعن جميل بن دراج، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الإيمان، فقال: «شهادة أن لا اله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله»، قال: قلت: أليس هذا عمل، قال: «بلى»، قلت:

---

(١) سورة النساء: ١٠.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) الأصول: ص٣٢٦.

(٤) الأصول: ص٣٢٧.

(٥) الأصول: ص٣٢٧.

(٦) الأصول: ص٣٢٧.

فالعمل من الإيمان، قال: «لا يثبت له الإيمان إلاّ بالعمل، والعمل منه»[1].

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده إلى وصية أمير المؤمنين (عليه السلام) لولده محمد بن الحنفية أنه قال: «يا بني لا تقل ما لا تعلم، بل لا تقل كل ما تعلم، فإن الله قد فرض على جوارحك كلها فرائض يحتج بها عليك يوم القيامة، ويسألك عنها، وذكرها ووعظها وحذرها وأدبها ولم يتركها سدى، فقال الله عز وجل: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً﴾[2]، وقال عز وجل: ﴿إذ تلقونه بألسنتكم وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم﴾[3]. ثم استعبدها بطاعته فقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وافعلوا الخير لعلكم تفلحون﴾[4]، فهذه فريضة جامعة واجبة على الجوارح، وقال: ﴿وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا﴾[5]، يعني بالمساجد الوجه واليدين والركبتين والإبهامين، وقال عز وجل: ﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾[6] يعني بالجلود الفروج.

ثم خص كل جارحة من جوارحك بفرض ونص عليها، ففرض على السمع أن لا يصغي إلى المعاصي، فقال عز وجل: ﴿وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذا مثلهم﴾[7]، وقال عز وجل: ﴿وإذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره﴾[8].

ثم استثنى عز وجل موضع النسيان فقال: ﴿وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين﴾[9]، وقال عز وجل: ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[10]، وقال عز وجل: ﴿وإذا مروا باللغو مروا كراماً﴾[11]، وقال عز وجل: ﴿والذين إذا سمعوا

---

(١) الأصول: ص٣٢٧.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) سورة النور: ١٥.

(٤) سورة الحج: ٧٧.

(٥) سورة الجن: ١٨.

(٦) سورة فصلت: ٢٢.

(٧) سورة النساء: ١٤٠.

(٨) سورة الأنعام: ٦٨.

(٩) سورة الأنعام: ٦٨.

(١٠) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

(١١) سورة الفرقان: ٧٢.

اللغو أعرضوا عنه﴾[1] فهذا ما فرض الله عز وجل على السمع وهو عمله.

وفرض على البصر أن لا ينظر به إلى ما حرم الله عليه، فقال عز وجل: ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم﴾[2] فحرم أن ينظر أحد إلى فرج غيره.

وفرض على اللسان الإقرار والتعبير عن القلب بما عقد عليه، فقال عز وجل ﴿قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا﴾[3] الآية، وقال عز وجل: ﴿وقولوا للناس حسناً﴾[4].

وفرض على القلب وهو أمير الجوارح الذي به يعقل ويفهم ويصدر عن أمره ورأيه، فقال عز وجل: ﴿إلاّ من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[5] الآية، وقال عز وجل حين أخبر عن قوم أعطوا الإيمان بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم فقال: ﴿الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم﴾[6]، وقال عز وجل: ﴿ألا بذكر الله تطمئن القلوب﴾[7]، وقال عز وجل: ﴿وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء﴾[8].

وفرض على اليدين أن لا تمدهما إلى ما حرم الله عز وجل عليك، وأن تستعملهما بطاعته، فقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين﴾[9]، وقال عز وجل: ﴿فإذا لقيتم الذين كفروا فضرب الرقاب﴾[10].

وفرض على الرجلين أن تنقلهما في طاعته، وأن لا تمشي بهما مشية عاص، فقال عز وجل: ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً إنك لن تخرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً * كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾[11]، وقال عز وجل: ﴿اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون﴾[12]، فأخبر الله عنها أنها تشهد على صاحبها يوم القيامة، فهذا ما فرض الله على جوارحك فاتق الله يا بني، واستعملها بطاعته ورضوانه، وإياك أن يراك الله تعالى ذكره عند معصيته، أو يفقدك

---

(١) سورة القصص: ٥٥.

(٢) سورة النور: ٣٠.

(٣) سورة البقرة: ١٣٦.

(٤) سورة البقرة: ٨٣.

(٥) سورة النحل: ١٠٦.

(٦) سورة المائدة: ٤١.

(٧) سورة الرعد: ٢٨.

(٨) سورة البقرة: ٢٨٤.

(٩) سورة المائدة: ٦.

(١٠) سورة محمد: ٤.

(١١) سورة الإسراء: ٣٧ ـ ٣٨.

(١٢) سورة يس: ٦٥.

عند طاعته فتكون من الخاسرين. وعليك بقراءة القرآن والعمل بما فيه ولزوم فرائضه وشرايعه وحلاله وحرامه وأمره ونهيه والتهجد به وتلاوته في ليلك ونهارك، فإنه عهد من الله تبارك وتعالى إلى خلقه، فهو واجب على كل مسلم أن ينظر كل يوم في عهده ولو خمسين آية، واعلم أن درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فإذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق، فلا يكون في الجنة بعد النبيين والصديقين أرفع درجة منه»[1]، والوصية طويلة أخذنا منها موضع الحاجة.

أقول: (يعني بالمساجد) هذا مصداق، ومصداقه الآخر المساجد المبنية.

(يقال لقارئ القرآن) أي العامل به.

وعن علي بن جعفر، عن أخيه، عن أبيه، عن علي بن الحسين (عليهم السلام)، قال: «ليس لك أن تتكلم بما شئت، لأن الله يقول: ﴿ولا تقفُ ما ليس لك به علم﴾[2]، وليس لك أن تسمع ما شئت، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولا﴾[3]».

فصل في جملة مما ينبغي القيام به من الحقوق

عن ثابت بن دينار، عن سيد العابدين علي بن الحسين بن علي ابن أبي طالب (عليهم السلام) قال:

«حق الله الأكبر عليك أن تعبده ولا تشرك به شيئاً، فإذا فعلت ذلك بإخلاص جعل لك على نفسه أن يكفيك أمر الدنيا والآخرة.

وحق نفسك عليك أن تستعملها بطاعة الله عز وجل.

---

(١) الفقيه: ج١ ص٢٠٦.

(٢) سورة الإسراء: ٣٦.

(٣) علل الشرائع: ص٢٠١.

وحق اللسان إكرامه عن الخنا، وتعويده الخير، وترك الفضول التي لا فائدة لها، والبر بالناس، وحسن القول فيهم.

وحق السمع تنزيهه عن سماع الغيبة وسماع ما لا يحل سماعه.

وحق البصر أن تغضه عما لا يحل لك، وتعتبر بالنظر به.

وحق يديك (يدك خ ل) أن لا تبسطهما إلى ما لا يحل لك.

وحق رجليك أن لا تمشي بهما إلى ما لا يحل لك، فبهما تقف على الصراط، فانظر أن لا تزل بك فتردى في النار.

وحق بطنك أن لا تجعله وعاءً للحرام، ولا تزيد على الشبع.

وحق فرجك عليك أن تحصنه من الزنا، وتحفظه من أن ينظر إليه.

وحق الصلاة أن تعلم أنها وفادة إلى الله عز وجل، وأنت فيها قائم بين يدي الله، فإذا علمت ذلك قمت مقام العبد الذليل الحقير الراغب الراهب الراجي الخائف المستكين المتضرع، المعظم لمن كان بين يديه بالسكون والوقار، وتقبل عليها بقلبك وتقيمها بحدودها وحقوقها.

وحق الحج أن تعلم أنه وفادة إلى ربك وفرار إليه من ذنوبك، وفيه قبول توبتك، وقضاء الفرض الذي أوجبه الله عليك.

وحق الصوم أن تعلم أنه حجاب ضربه الله عز وجل على لسانك وسمعك وبصرك وبطنك وفرجك يسترك به من النار، فإن تركت الصوم خرقت ستر الله عليك.

وحق الصدقة أن تعلم أنها ذخرك عند ربك، ووديعتك التي لا تحتاج إلى الإشهاد عليها، وكنت بما (لما خ ل) تستودعه سراً أوثق منك بما تستودعه علانية، وتعلم أنها تدفع عنك البلايا والأسقام في الدنيا، وتدفع عنك النار في الآخرة.

وحق الهدي أن تريد به الله عز وجل، ولا تريد خلقه ولا تريد به إلاّ التعرض

لرحمته ونجاة روحك يوم تلقاه.

وحق السلطان أن تعلم أنك جعلت له فتنة، وأنه مبتلى فيك بما جعل الله له عليك من السلطان، وأن عليك أن لا تتعرض لسخطه فتلقي بيدك إلى التهلكة وتكون شريكاً له فيما يأتي إليك من سوء.

وحق سائسك بالعلم التعظيم له، والتوقير لمجلسه، وحسن الاستماع إليه، والإقبال عليه، وأن لا ترفع عليه صوتك، ولا تجيب أحداً يسأله عن شيء حتى يكون هو الذي يجيب، ولا تحدث في مجلسه أحداً، ولا تغتاب عنده أحداً، وأن تدفع عنه إذا ذكر عندك بسوء، وأن تستر عيوبه وتظهر مناقبه، ولا تجالس له عدواً، ولا تعادى له ولياً، فإذا فعلت ذلك شهد لك ملائكة الله بأنك قصدته وتعلمت علمه لله جل اسمه لا للناس.

وأما حق سائسك بالملك، فأن تطيعه ولا تعصيه إلاّ فيما يسخط الله عز وجل، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

وأما حق رعيتك بالسلطان، فأن تعلم أنهم صاروا رعيتك لضعفهم وقوتك، فيجب أن تعدل فيهم، وتكون لهم كالوالد الرحيم، وتغفر لهم جهلهم، ولا تعاجلهم بالعقوبة، وتشكر الله عز وجل على ما آتاك من القوة عليهم.

وأما حق رعيتك بالعلم، فأن تعلم أن الله عز وجل إنما جعلك قيماً (لهم) عليهم فيما آتاك من العلم، وفتح لك من خزانته (خزانة الحكمة خ ل)، فإن أحسنت في تعليم الناس ولم تخرق بهم ولم تضجر عليهم زادك الله من فضله، وإن أنت منعت الناس علمك أو خرقت بهم عند طلبهم العلم منك كان حقاً على الله عز وجل أن يسلبك العلم وبهاءه، ويسقط من القلوب محلك.

وأما حق الزوجة، فأن تعلم أن الله عز وجل جعلها لك سكناً وأنساً، فتعلم أن ذلك نعمة من الله عز وجل عليك فتكرمها وترفق بها، وإن كان حقك عليها أوجب فإن لها

عليك أن ترحمها، لأنها أسيرك، وتطعمها وتكسوها، وإذا جهلت عفوت عنها.

وأما حق مملوكك، فأن تعلم أنه خلق ربك وابن أبيك وأمك ولحمك ودمك، لم تملكه لأنك صنعته دون الله، ولا خلقت شيئاً من جوارحه، ولا أخرجت له رزقاً، ولكن الله عز وجل كفاك ذلك ثم سخره لك وائتمنك عليه واستودعك إياه، ليحفظ لك ما تأتيه من خير إليه، فأحسن إليه كما أحسن الله إليك، وإن كرهته استبدلت به، ولم تعذب خلق الله عز وجل ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق أمك، أن تعلم أنها حملتك حيث لا يحتمل أحد أحداً، وأعطتك (أطعمتك خ ل) من ثمرة قلبها ما لا يعطي (لا يطعم) أحد أحداً، ووقتك بجميع جوارحها، ولم تبال أن تجوع وتطعمك، وتعطش وتسقيك، وتعري وتكسوك، وتضحي وتظلك، وتهجر النوم لأجلك، ووقتك الحر والبرد لتكون لها، وأنك لا تطيق شكرها إلاّ بعون الله وتوفيقه.

وأما حق أبيك، فأن تعلم أنه أصلك، فإنه لولاه لم تكن، فمهما رأيت من نفسك ما يعجبك فاعلم أن أباك أصل النعمة عليك فيه، فاحمد الله واشكره على قدر ذلك ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق ولدك، فأن تعلم أنه منك ومضاف إليك في عاجل الدنيا بخيره وشره، وأنك مسؤول عما وليته من حسن الأدب والدلالة على ربه عز وجل، والمعونة على طاعته، فاعمل في أمره عمل من يعلم أنه مثاب على الإحسان إليه، معاقب على الإسائة إليه.

وأما حق أخيك، فأن تعلم أنه يدك وعزك وقوتك، فلا تتخذه سلاحاً على معصية الله، ولا عدة للظلم لخلق الله، ولا تدع نصرته على عدوه والنصيحة له، فإن أطاع الله وإلا فليكن الله أكرم عليك منه، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق مولاك المنعم عليك، فأن تعلم أنه أنفق فيك ماله، وأخرجك من ذل

الرق ووحشته إلى عز الحرية وأنسها، فأطلقك من أسر الملكة، وفك عنك قيد العبودية، وأخرجك من السجن، وملّكك نفسك، وفرغك لعبادة ربك، وتعلم أنه أولى الخلق بك في حياتك وموتك، وأن نصرته عليك واجبة بنفسك، وما احتاج إليه منك، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق مولاك الذي أنعمت عليه، فأن تعلم أن الله عز وجل جعل عتقك له وسيلة إليه وحجاباً لك من النار، وأن ثوابك في العاجل ميراثه إذا لم يكن له رحم، مكافاة لما أنفقت من مالك، وفي الآجل الجنة.

وأما حق ذي المعروف عليك، فأن تشكره وتذكر معروفه، وتكسبه المقالة الحسنة، وتخلص له الدعاء فيما بينك وبين الله عز وجل، فإذا فعلت ذلك كنت قد شكرته سراً وعلانيةً، ثم إن قدرت على مكافاته يوماً كافيته.

وأما حق المؤذن، أن تعلم أنه مذكر لك ربك عز وجل، وداع لك إلى حظك وعونك على قضاء فرض الله عز وجل عليك، فاشكره على ذلك شكر المحسن إليك.

وأما حق إمامك في صلاتك، أن تعلم أنه تقلد السفارة فيما بينك وبين ربك عز وجل، وتكلم عنك ولم تتكلم، ودعا لك ولم تدع له، وكفاك هول المقام بين يدي الله عز وجل، فإن كان نقص كان به دونك، وإن كان تماماً كنت شريكه، ولم يكن له عليك فضل فوقى نفسك بنفسه، وصلاتك بصلاته، فتشكر له على قدر ذلك.

وأما حق جليسك، فأن تلين له جانبك، وتنصفه في مجاراة اللفظ، ولا تقوم من مجلسك إلاّ بإذنه، ومن يجلس إليك يجوز له القيام عنك بغير إذنك، وتنسي زلاته وتحفظ خيراته ولا تسمعه إلاّ خيراً.

وأما حق جارك، فحفظه غائباً، وإكرامه شاهداً، ونصرته إذا كان مظلوماً، ولا تتبع له عورة، فإن علمت عليه سوءاً سترته عليه، وإن علمت أنه يقبل نصيحتك

نصحته فيما بينك وبينه، ولا تسلمه عند شديدة، وتقيل عثرته، وتغفر ذنبه، وتعاشره معاشرة كريمة، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق الصاحب، فأن تصحبه بالتفضل والإنصاف، وتكرمه كما يكرمك، ولا تدعه يسبق إلى مكرمة، فإن سبق كافيته، وتوده كما يودك، وتزجره عما يهم به من معصية الله، وكن عليه رحمة، ولا تكن عليه عذاباً، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق الشريك، فإن غاب كافيته، وإن حضر رعيته، ولا تحكم دون حكمه، ولا تعمل برأيك دون مناظرته، وتحفظ عليه ماله، ولاتخنه (تخونه خ ل) فيما عز أو هان من أمره، فإن يد الله تبارك وتعالى على الشريكين ما لم يتخاونا، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق مالك، فأن لا تأخذه إلاّ من حله، ولا تنفقه إلاّ في وجهه، ولا تؤثر على نفسك من لا يحمدك، فاعمل به بطاعة ربك، ولا تبخل به فتبوء بالحسرة والندامة مع التبعة، ولا قوة إلاّ بالله.

وأما حق غريمك الذي يطالبك، فإن كنت مؤسراً أعطيته، وإن كنت معسراً أرضيته بحسن القول، ورددته عن نفسك رداً لطيفاً.

وحق الخليط، أن لا تغره ولا تغشه ولا تخدعه وتتقي الله في أمره.

وأما حق الخصم المدعي عليك، فإن كان ما يدعيه عليك حقاً كنت شاهده على نفسك، ولم تظلمه، وأوفيته حقه، وإن كان ما يدعي باطلاً رفقت به، ولم تأت في أمره غير الرفق، ولم تسخط ربك في أمره، ولا قوة إلاّ بالله.

وحق خصمك الذي تدعي عليه، إن كنت محقاً في دعواك أجملت مقاولته، ولم تجحد حقه، وإن كنت مبطلاً في دعواك اتقيت الله عز وجل وتبت إليه وتركت الدعوى.

وحق المستشير، إن علمت أن له رأياً حسناً أشرت عليه، وإن لم تعلم له أرشدته إلى من يعلم.

وحق المشير عليك، أن لا تتهمه فيما لا يوافقك من رأيه، وإن وافقك حمدت الله عز وجل.

وحق المستنصح، أن تؤدي إليه النصيحة، وليكن مذهبك الرحمة له والرفق.

وحق الناصح، أن تلين له جناحك، وتصغي إليه بسمعك، فإن أتى بالصواب حمدت الله عز وجل، وإن لم يوافق رحمته ولم تتهمه وعلمت أنه أخطأ ولم تؤاخذه بذلك إلاّ أن يكون مستحقاً للتهمة فلا تعبأ بشيء من أمره على حال، ولا قوة إلاّ بالله.

وحق الكبير، توقيره لسنه وإجلاله لتقدمه في الإسلام قبلك، وترك مقابلته عند الخصام، ولا تسبقه إلى طريق، ولا تتقدمه ولا تستجهله، وإن جهل عليه احتملته وأكرمته لحق الإسلام وحرمته.

وحق الصغير رحمته في تعليمه والعفو عنه، والستر عليه والرفق به والمعونة له.

وحق السائل عطاؤه على قدر حاجته.

وحق المسؤول إن أعطى فاقبل منه بالشكر والمعرفة بفضله، وإن منع فاقبل عذره.

وحق من سرك لله تعالى (سرك الله به خ ل) أن تحمد الله عز وجل أولاً ثم تشكره.

وحق من أساءك أن تعفو عنه، وإن علمت أن العفو يضر انتصرت، قال الله تعالى ﴿ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل﴾[1].

وحق أهل ملتك إضمار السلامة والرحمة لهم، والرفق بمسيئهم وتألفهم واستصلاحهم، وشكر محسنهم، وكف الأذى عن مسيئهم، وتحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك، وأن تكون شيوخهم بمنزلة أبيك، وشبابهم بمنزلة

---

(١) سورة الشورى: ٤١.

إخوتك، وعجائزهم بمنزلة أمك، والصغار منهم بمنزلة أولادك.

وحق الذمة أن تقبل منهم ما قبل الله عز وجل منهم، ولا تظلمهم ما وفوا لله عز وجل بعهده»[1].

أقول: (وحق السلطان) إذا لم يكن الأمر والنهي واجباً، كما إذا كان في موضع التقية، وإلا وجب التعرض له وإن جر ذلك إلى الهلاك، كما فعله أبوذر (رحمه الله) وجملة من أصحابهم وذويهم (عليهم الصلاة والسلام)، بل هم (عليهم الصلاة والسلام) تعرضوا للسلاطين الطغاة حتى قتلوا أو سموا، وكذلك جماعة من العلماء الراشدين والأخيار من المؤمنين.

(وأما حق سائسك بالملك) الظاهر أنه (عليه السلام) أراد مالك العبد، إذ العبد مملوك له.

(أن يسلبك العلم) بأن لا يكون نوراً، أو سلبه في الآخرة.

(وتنصفه في مجاراة اللفظ) يعني تتكلم أنت وتدعه يتكلم، لا أن تأخذ كل وقت الكلام، بل نصفه لك ونصفه له.

(ولا تحكم دون حكمه) أي لا تستبد بالتصرف في مال الشركة بدون الاستشارة معه.

(من لا يحمدك) كناية عمن ليس أهلاً للإحسان.

(وحق المستنصح) كما إذا طلب منك النصح في أنه كيف يحج أو يصلي فهو غير المستشير.

ولا يخفى أن الحق المذكور في هذه الرواية أعم من الحق والحكم والملك في الاصطلاح الفقهي، كما أنها أعم من الواجب والمستحب، وقد أخذ الإمام (عليه السلام) من بعض الحقوق عينات، لا أنه أراد الحصر في أعداد الحقوق ولا في خصوصيات كل حق حق.

---

(١) الفقيه: ج١ ص٢٠٣، المجالس: ص٢٢٢.

فصل في ذكر نبذة من الصفات الحميدة

عن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله خص رسوله (صلى الله عليه وآله) بمكارم الأخلاق فامتحنوا أنفسكم، فإن كانت فيكم فاحمدوا الله وارغبوا إليه في الزيادة منها، فذكرها عشرة: اليقين والقناعة والصبر والشكر والحلم وحسن الخلق والسخا والغيرة والشجاعة والمروة»[1].

أقول: (الحلم) عن الغير، و(الصبر) إذا قابله كان غيره، كالصبر على الطاعة وعن المعصية وفي المصيبة وفي الغنى، في جملة من الجهات كالغنى المالي أو بالعشيرة أو بالسلاح أو بالمنصب، هل يتحمل ذلك أو يصرفه فيما لا يعني.

عن عمرو بن ثابت، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعلي (عليه السلام): «يا علي أوصيك في نفسك بخصال فاحفظها، ثم قال: اللهم أعنه، أما الأولى فالصدق، لا يخرجن من فيك كذبة أبداً، والثانية الورع، لا تجترين على خيانة أبداً، والثلاثة الخوف من الله كأنك تراه، والرابعة كثرة البكاء من خشية الله عز وجل، يبنى لك بكل دمعة بيت في الجنة، والخامسة بذل مالك ودمك دون دينك، والسادسة الأخذ بسنتي في صلاتي وصيامي وصدقتي، أما الصلاة فالخمسون ركعة، وأما الصوم فثلاثة أيام في كل شهر خميس في أوله وأربعاء في وسطه وخميس في آخره، وأما الصدقة فجهدك حتى يقال أسرفت ولم تسرف، وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل وعليك بصلاة الليل، وعليك بصلاة الزوال، وعليك بقراءة القرآن على كل حال، وعليك برفع يديك في الصلاة وتقليبهما، عليك بالسواك عند كل وضوء وصلاة، عليك بمحاسن الأخلاق فاركبها، عليك بمساوئ الأخلاق فاجتنبها، فإن

---

(١) الفقيه: ج٢ ص١٨٣، الخصال: ج٢ ص٥١.

لم تفعل فلا تلومن إلاّ نفسك»[١].

أقول (صلاة الزوال) نافلة الظهر، (تقليبهما) المشهور استحباب ذلك في الدعاء مطلقاً، كما يستحب إمرار اليدين بعد الدعاء على الوجه دون القنوت[٢].

عن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي ثلاث من مكارم الأخلاق في الدنيا والآخرة، أن تعفوا عمن ظلمك، وتصل من قطعك، وتحلم عمن جهل عليك»[٣].

وعن الحسن بن عطية، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المكارم عشر، فإن استطعت أن تكون فيك فلتكن، فإنها تكون في الرجل ولا تكون في ولده، وتكون في ولده ولا تكون في أبيه، وتكون في العبد ولا تكون في الحر، صدق البأس (الناس خ ل)، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وإقراء الضيف، وإطعام السائل، والمكافاة على الصنائع، وصدق اللسان، والتذمم للجار، والتذمم للصاحب، ورأسهن الحياء»[٤].

أقول: (البأس) أي صدق الجهاد، سواء بالنفس أو المال، بأن لا يكون الجهاد للرياء ونحوه.

(التذمم) أي حفظ الذمة بأداء حقوقه.

(الحياء) فإن الإنسان إذا استحيي من الله صدق بأسه، واذا استحيي الناس حفظ جاره، إلى آخر ما ذكر، وكما أن بالرأس حياة الجسد، كذلك بالحياء حياة هذه الخصال.

وعن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض أصحابنا رفعه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لأنسبن الإسلام نسبة لم ينسبه أحد قبلي ولا ينسبه أحد بعدي إلاّ

---

(١)الفقيه: ج٢ ص٢٦٩، الروضة: ص١٦٢.

(٢) اي في غير القنوت، لورود النهي عنه.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٣٥.

(٤) الخصال: ج٢ ص٥١، الأصول: ص٣٣٦.

بمثل ذلك، إن الإسلام هو التسليم، والتسليم هو اليقين، واليقين هو التصديق، والتصديق هو الإقرار، والإقرار هو العمل، والعمل هو الأداء، إن المؤمن لم يأخذ دينه عن رأيه، ولكن أتاه من ربه فأخذ به» الحديث(١).

أقول: فإذا أسلم ولم يسلم فليس بمسلم، وإذا سلم بدون اليقين فليس بمسلم، إلى آخره.

وعن مدرك بن عبد الرحمن، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الإسلام عريان فلباسه الحياء، وزينته الوفاء (الوقار خ ل)، ومروته العمل الصالح، وعماده الورع، ولكل شيء أساس، وأساس الإسلام حبنا أهل البيت»(٢).

أقول: تعرف هذه الرواية وغيرها بالتشبيه، مثلاً يشبه الإسلام بإنسان أو بعرصة كما في رواية تأتي، إلى غير ذلك.

ثم إن ما ذكروه (عليهم الصلاة والسلام) من مختلف الصفات والخصوصيات والأعداد قبلاً وهنا وبعداً إنما هو تقريبات لمن لا يعرف الحقائق، ولنفرض أن إنساناً يفقد العين والأذن والذوق والشم واللمس، فإنه لا يدرك شيئاً مما في الحياة، فإذا أوحى إلينا بقلبه سؤالاً عن ما هي الساعة، أو الصورة، أو الرائحة، أو ما أشبه ذلك مما يرتبط بإحدى الحواس الخمس، أجبناه إيحاءً بكذا وكذا، لكنه لايدرك الحقيقة بعد ذلك أيضاً، وإنما يتصور تصوراً بسيطاً لبعض الجوانب، ونحن بالنسبة إلى الحقائق الدنيوية فضلاً عن الحقائق الأخروية كذلك الفاقد للحواس، وما يذكرونه لنا (عليهم الصلاة والسلام) ليس أكثر من التقريبات والتشبيهات المناسبة لمداركنا.

وإن شئت قلت: كمن يريد تفهيم طفل في الثلاثة غوامض مسألة (المعنى

(١) الأصول: ص٣٣١.

(٢) الأصول: ص٣٣١.

الحرفي) في الأصول.

وبذلك يظهر أن الاختلاف في الأعداد أو في الصفات أو ما أشبه في جملة من الروايات لقصر درك المجتمع عن الحقائق، لا لأن الحقائق مختلفة أو أن بين الكلمات تهافتاً، وفي رواية: إن القرآن بالنسبة إلى الإنسان كتكلم الإنسان إلى الحيوان، ولذا ورد (ما لا عين رأت ...) إلخ.

وعن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، عن أبي جعفر الثاني، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله خلق الإسلام فجعل له عرصة، وجعل له نوراً، وجعل له حصناً، وجعل له ناصراً، فأما عرصته فالقرآن، وأما نوره فالحكمة، وأما حصنه فالمعروف، وأما أنصاره فأنا وأهل بيتي وشيعتنا» الحديث(١).

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إنكم لا تكونون صالحين حتى تعرفوا، ولا تعرفون حتى تصدقوا، ولاتصدقون حتى تسلموا، أبواباً أربعة لا يصلح أولها إلاّ بآخرها» الحديث(٢).

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإسلام له أركان أربعة، التوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والرضا بقضاء الله، والتسليم لأمر الله عز وجل»(٣).

أقول: إذا رضي الإنسان فقد يسلم قلباً وقد لا يسلم، كالبنت ترضى بزوج قلباً لكنها لا تسلم في قلبها لخطبتها، والرضا تلقائي ليس بيد الإنسان إلاّ بتذكر المقدمات، أما التسليم ففعل القلب، ثم يأتي دور التفويض، فتقول لأبيها افعل ما تشاء، ثم بعد ذلك تتوكل، أي تعلم أن ما يفعله في صلاحها معتمدة عليه، فالأولان

(١) الأصول: ص٣٣١.

(٢) الأصول: ص٣٣٢.

(٣) الأصول: ص٣٣٢.

من الله إلى الإنسان، والأخران من الإنسان إلى الله.

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) عن الإيمان فقال: إن الله عز وجل جعل الإيمان على أربع دعائم، على الصبر واليقين والعدل والجهاد، فالصبر من ذلك على أربع شعب، الشوق والاشفاق والزهد والترقب».

إلى أن قال: «واليقين على أربع شعب، تبصرة الفطنة وتأويل الحكمة ومعرفة العبرة وسنة الأولين. والعدل على أربع شعب، على غامض الفهم وغمر العلم وزهرة الحكم وروضة الحلم».

إلى أن قال: «والجهاد على أربع شعب، على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشنآن الفاسقين» الحديث[1].

أقول: الكلام حول هذا الحديث طويل مذكور في الكتب المعنية بشأن تفسير الأحاديث.

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «المؤمن ينصت ليسلم، وينطق ليغنم، لا يحدث أمانته الأصدقاء، ولا يكتم شهادته من البعداء، ولا يعمل شيئاً من الخير رياءً، ولا يتركه حياءً، إن زكي خاف ما يقولون، ويستغفر الله لما لا يعلمون، لا يغره قول من جهله، ويخاف إحصاء ما عمله»[2].

أقول: (لا يحدث أمانته) لعل المراد أن كونه أميناً لا يحدث له أصدقاءً، بل أصدقاؤه لحسن معاشرته معهم، والأمانة بعد الصداقة لا قبلها، وفيه احتمالات أخر.

وعن هشام بن الحكم، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) في حديث طويل، قال: «يا هشام كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: ما عبد الله بشيء أفضل من العقل، وما

(١) الأصول: ص٣٣٣.

(٢) الأصول: ص٤٢٤.

تم عقل امرئ حتى تكون فيه خصال شتي، الكفر والشر منه مأمونان، والرشد والخير منه مأمولان، وفضل ماله مبذول، وفضل قوله مكفوف، نصيبه من الدنيا القوت، لا يشبع من العلم دهره، الذل أحب إليه مع الله من العز مع غيره، والتواضع أحب إليه من الشرف، يستكثر قليل المعروف من غيره، ويستقل كثير المعروف من نفسه، ويرى الناس كلهم خيراً منه، وأنه شرهم في نفسه، وهو تمام الأمر»[1].

أقول: (أفضل من العقل)، العقل ذاته خلقي، واكتسابي، ولذا على الإنسان أن يكتسب العقل بالتفكر والتأمل ومراجعة التاريخ إلى غير ذلك، فإذا اكتسبه كان أفضل شيء، حاله حال الأرض والماء والشمس، فإنها من الله سبحانه، أما الزرع بها الموجب للثروة والاستغناء فمن الإنسان.

(الشرف) أي الشرف القرين للكبر.

و(إنه شرهم) لأنه يحتمل أن يكون في المستقبل شراً منهم، وإن كان الآن حسب الموازين خيراً منهم، لأن سوء العاقبة محتمل فيه كحسن العاقبة في الأشرار، ولذا لا يطمئن، أليس بلعم صار شراً من الأشرار، بينما كان من أفضل الأخيار حتى آتاه الله آياته، كما في القرآن الحكيم.

(تمام الأمر) لأن بهذا يكون خائفاً دائماً وعاملاً دائماً، وبدونه لا يكون كذلك.

وعن أحمد بن محمد بن خالد، عن بعض من رواه، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المؤمن له قوة في دين، وحزم في لين، وإيمان في يقين، وحرص في فقه، ونشاط في هدى، وبر في استقامة، وعلم في حلم، وكيس (شكر) في رفق، وسخاء في حق، وقصد في غنى، وتجمل في فاقة، وعفو في قدرة، وطاعة لله في نصيحة، وانتهاء في شهوة، وورع في رغبة، وحرص في جهاد، وصلاة في شغل،

---

(١) الأصول: ص٤١٠.

وصبر في شدة، وفي الهزاهز وقور، وفي المكاره صبور، وفي الرخاء شكور، ولا يغتاب، ولا يتكبر، ولا يقطع الرحم، وليس بواهن، ولا فظ، ولا غليظ، ولا يسبقه بصره، ولا يفضحه بطنه، ولا يغلبه فرجه، ولا يحسده الناس، يُعيَّر ولا يُعيِّر، ولا يُسرف، وينصر المظلوم، ويرحم المسكين، نفسه منه في عناء، والناس منه في راحة، لايرغب في عز الدنيا، ولا يجزع من ذلها، للناس همّ قد أقبلوا عليه، وله همّ قد شغله، لا يرى في حلمه نقص، ولا في رأيه وهن، ولا في دينه ضياع، يرشد من استشاره، ويساعد من ساعده، ويكيع عن الخنا والجهل»[1].

أقول: قد تقدم أن (الفظ) في الظاهر و(الغليظ) في القلب، قال سبحانه ﴿ولو كنت فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك﴾[2]، وأنه إذا كان الإنسان متصفاً بأحدهما لابد وأن يتصف بالآخر.

(ولا يحسده الناس) لأنه لا يظهر بمظهر يوجب حسد الناس له، نعم لا إشكال في أن بعض مراتب حسد الناس غير قابل للعلاج، لأنه ليس بيد الشخص، قال تعالى: ﴿أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله﴾[3]، ولعل الضمير في (يحسده) زيادة في النسخة.

وبهذا الإسناد عن أحدهما (عليهما السلام)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث، إنه سأل رسول الله (صلى الله عليه وآله) عن صفة المؤمن، فقال: «عشرون خصلة في المؤمن، فإن لم تكن فيه لم يكمل إيمانه، إن من أخلاق المؤمنين يا علي الحاضرون الصلاة، والمسارعون إلى زكاة، والمطعمون للمسكين، الماسحون لرأس اليتيم، المطهرون أطمارهم، المتزرون على أوساطهم، الذين إن حدثوا لم يكذبوا، وإن وعدوا

(١) الأصول: ص٤٢٤، صفات الشيعة: ص١٩.

(٢) سورة آل عمران: ١٥٩.

(٣) سورة النساء: ٥٤.

لم يخلفوا، وإن ائتمنوا لم يخونوا، وإن تكلموا صدقوا، رهبان الليل، أسد بالنهار، صائمون النهار، قائمون الليل، لا يؤذون جاراً، ولا يتأذى بهم جار، الذين مشيهم على الأرض هون، وخطاهم على بيوت الأرامل، وعلى أثر الجنائز، جعلنا الله وإياكم من المتقين»[1].

أقول: (المتزرون) ذلك لستر العورة في قبال كثير من الريفيين الذين لا يهتمون بكشف عوراتهم، ولذا لا يتزرون.

(ولا يتأذى) قد يؤذي الإنسان جاره بلسانه ونحوه، وقد يتأذى به جاره من غير قصده الإيذاء، فاللازم رفع أذى الجار، وإن لم يكن هو فاعلاً للأذى، مثلاً إذا كان في داره شجرة تحط الطيور عليها بحيث يتأذى الجار من أصواتها أو ما أشبه ذلك، حال بينها وبين جلوسها على الشجرة، إلى غير ذلك.

وعن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن شيعة علي كانوا خمص البطون، ذبل الشفاه، أهل رأفة وعلم وحلم، يعرفون بالرهبانية، فأعينوا على ما أنتم عليه بالورع والاجتهاد»[2].

أقول: (خمص، ذبل) كناية عن الصيام والقيام.

(على ما أنتم عليه) من أتباع علي (عليه السلام) وموالاته وموالاة الأئمة (عليهم الصلاة والسلام).

وعن أبي إبراهيم الأعجمي، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المؤمن حليم لا يجهل، وإن جهل عليه يحلم، ولا يظلم وإن ظُلم غفر، ولا يبخل وإن بخل عليه صبر»[3].

وعن آدم أبي الحسين (الحسن خ ل) اللؤلؤي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المؤمن من طاب مكسبه، وحسنت خليقته، وصحت سريرته، وأنفق الفضل من

---

(١) الأصول: ص٤٢٤، المجالس: ص٣٢٦.

(٢) الأصول: ص٤٢٥.

(٣) الأصول: ص٤٢٥.

ماله، وأمسك الفضل من كلامه، وكفى الناس شره، وأنصف الناس من نفسه»[1].

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «شيعتنا المتباذلون في ولايتنا، المتحابون في مودتنا، المتزاورون في إحياء أمرنا، الذين إذا غضبوا لم يظلموا، وإن رضوا لم يسرفوا، بركة على من جاوروا، سلم لمن خالطوا»[2].

أقول: (المتباذلون، المتحابون) الأول خارجي والثاني قلبي، (بركة) لأن نفعهم يتعدى إلى الجيران.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين بن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث خصال من كن فيه استكمل خصال الإيمان، إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»[3].

أقول: كأن يعطي المنصب في الحاكم، أو المال في الثري لمن لا يستحق ذلك، إذ ليس للإنسان ذلك.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن لأهل الدين علامات يعرفون بها، صدق الحديث، وأداء الأمانة، ووفاء العهد، وصلة الأرحام، ورحمة الضعفاء، وقلة المراقبة للنساء، أو قال وقلة المواتاة للنساء، وبذل المعروف، وحسن الجوار، وسعة الخلق، واتباع العلم، وما يقرب إلى الله» إلى أن قال: «إن المؤمن نفسه منه في شغل، والناس منه في راحة، إذا جن عليه

(١) الأصول: ص٤٢٥.

(٢) الأصول: ص٤٢٦.

(٣) الأصول: ص٤٢٨.

الليل افترش وجهه وسجد لله بمكارم بدنه، يناجي الذي خلقه في فكاك رقبته، ألا فهكذا فكونوا»[1].

أقول: (المراقبة، المواتاة) المعنى على الأول عدم سوء الظن بهن كما هو شأن الوسواسيين، وعلى الثاني عدم كثرة الجماع، إذ كل من الإفراط والتفريط لا يصح، ولا ينافي ذلك كون كثرة الطروقة من أخلاق الأنبياء، إذ المراد بذلك في قبال القلة المضيعة، حيث إن بعض الناس يكثرون، وبعض الناس يقللون خوفاً من الأضرار، قال ابن سينا:

واحفظ منيك ما استطعت فإنه

ماء الحياة يصب في الأرحام

وعن سليمان، عمن ذكره، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سئل النبي (صلى الله عليه وآله)، عن خيار العباد، فقال: «الذين إذا أحسنوا استبشروا، وإذا أساؤوا استغفروا، وإذا أعطوا شكروا، وإذا ابتلوا صبروا، وإذا غضبوا غفروا»[2].

وبهذا الإسناد قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «إن خياركم أولوا النهى»، قيل: يا رسول الله من أولوا النهى، قال: «هم أولوا الأخلاق الحسنة، والأحلام الرزينة، وصلة الأرحام، والبررة بالأمهات والآباء، والمتعاهدون للجيران واليتامى، يطعمون الطعام، ويفشون السلام في العالم، ويصلّون والناس نيام غافلون»[3].

أقول: (الأحلام) أي الأفكار المعتدلة في قبال الطائشة.

(ويفشون السلام في العالم) أي دأبهم السلام للعدو والصديق والقريب والغريب، قال سبحانه:

---

(١) الأصول: ص٤٢٨، صفات الشيعة: ص٢٥.

(٢) الأصول: ص٤٢٨.

(٣) الأصول: ص٤٢٨.

﴿ادخلوا في السلم كافة﴾[1].

ويراد بالسلام ما كان سبباً للسلامة، سواء في قبال الحرب أو قبال التنازع أو قبال التهاجر والتدابر.

وعن أبي ولاد الحناط، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: «إن المعرفة بكمال دين المسلم تركه الكلام في ما لا يعنيه، وقلة مرائه، وحلمه وصبره، وحسن خلقه»[2].

أقول: أي إذا أردت أن تعرف أن دينه كامل فانظر إلى آثاره، وهي المذكورات.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «من أخلاق المؤمن الإنفاق على قدر الاقتار، والتوسع على قدر التوسع، وإنصاف الناس، وابتداؤه إياهم بالسلام عليهم»[3].

وعن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إنما المؤمن الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإن سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، والذي إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدي إلى ما ليس له بحق»[4].

أقول: (قول الحق) المراد بالقول أعم من الكلام والفعل، كما تقدم الإلماع إليه.

وعن مهزم الأسدي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا مهزم شيعتنا من لا يعدو صوته سمعه، ولا شحناه يديه، ولا يمتدح بنا معلناً، ولا يجالس لنا عائباً، ولا يخاصم لنا قالياً، وإن لقي مؤمناً أكرمه، وإن لقي جاهلاً هجره»، إلى أن قال: «شيعتنا من لا يهر

---

(١) سورة البقرة: ٢٠٨.

(٢) الأصول: ص٤٢٨.

(٣) الأصول: ص٤٢٨.

(٤) الأصول: ص٤٢٥.

هرير الكلب، ولا يطمع طمع الغراب، ولا يسأل عدونا وإن مات جوعاً» الحديث[1].

أقول: (شحناه) أي لا يتعدى بسبب الغضب على الناس بيديه، أو يحركهما تحرك الانزعاج، ولا يتعدى على شخص العدو أو ماله أو عرضه، (ولايهر) كما يفعل الكلب طلباً للطعام أو ما أشبه.

وعن محمد بن عرفة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «ألا أخبركم بأشبهكم بي، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحسنكم خلقاً، وألينكم كنفاً، وأبركم بقرابته، وأشدكم حباً لإخوانه في دينه، وأصبركم على الحق، وأكظمكم للغيظ، وأحسنكم عفواً ، وأشدكم من نفسه إنصافاً في الرضا والغضب»[2].

أقول: الكنف الطرف، فإن حسن الأخلاق يجتمع الناس حوله ويتحمل، بينما غير حسن الأخلاق وعر الأطراف فيتجنبه الناس خوف سوء خلقه.

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «المؤمن حسن المعونة، خفيف المؤنة، جيد التدبير لمعيشته، ولا يلسع من جحر مرتين»[3].

وعن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، في حديث مرفوع إلى النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «جاء جبرئيل فقال: يا رسول الله إن الله أرسلني إليك بهدية لم يعطها أحداً قبلك، قال رسول الله: ما هي، قال: الصبر وأحسن منه، قال: وما هو، قال: الرضا وأحسن منه، قال: وما هو، قال: الزهد وأحسن منه، قال: وما هو، قال: الإخلاص وأحسن منه، قال: وما هو، قال: اليقين وأحسن منه. قال: قلت: وما هو يا جبرئيل، قال: إن مدرجة ذلك التوكل على الله عز وجل،

(١) الأصول: ص٤٢٦.

(٢) الأصول: ص٤٢٨.

(٣) الأصول: ص٤٢٩.

فقلت: وما التوكل على الله، قال: العلم بأن المخلوق لا يضر ولا ينفع ولا يعطي ولا يمنع، واستعمال اليأس من الخلق، فإذا كان العبد كذلك لا يعمل لأحد سوى الله، ولم يرج ولم يخف سوى الله، ولم يطمع في أحد سوى الله فهذا هو التوكل.

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الصبر، قال: تصبر في الضراء كما تصبر في السراء، وفي الفاقة كما تصبر في الغنى، وفي البلاء كما تصبر في العافية، فلا يشكو حاله عند المخلوق بما يصيبه من البلاء.

قلت: فما تفسير القناعة، قال: يقنع بما يصيب من الدنيا، يقنع بالقليل ويشكر اليسير.

قلت: فما تفسير الرضا، قال: الراضي لا يسخط على سيده أصاب من الدنيا أم لا يصيب منها، ولا يرضى لنفسه باليسير من العمل.

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الزهد، قال: يحب من يحب خالقه، ويبغض من يبغض خالقه، ويتحرج من حلال الدنيا، ولا يلتفت إلى حرامها، فإن حلالها حساب وحرامها عقاب، ويرحم جميع المسلمين كما يرحم نفسه، ويتحرج من الكلام كما يتحرج من الميتة التي قد اشتد نتنها، ويتحرج عن حطام الدنيا وزينتها كما يتجنب النار أن يغشاها، وأن يقصر أمله، وكان بين عينيه أجله.

قلت: يا جبرئيل فما تفسير الإخلاص، قال: المخلص الذي لا يسأل الناس شيئاً حتى يجد، وإذا وجد رضي، وإذا بقي عنده شيء أعطاه في الله، فإن لم يسأل المخلوق فقد أقر لله بالعبودية، وإذا وجد فرضي فهو عن الله راض، والله تبارك وتعالى عنه راض، وإذا أعطى الله عز وجل فهو على حد الثقة بربه.

قلت: فما تفسير اليقين، قال: المؤمن يعمل لله كأنه يراه، فإن لم يكن يرى الله فإن الله يراه، وأن يعلم يقيناً أن ما أصابه لم يكن ليخطيه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه،

وهذا كله أغصان التوكل ومدرجة الزهد✿[1].

أقول: (مدرجه) أي إن كل تلك الصفات تدرج على أرضية التوكل، فإذا كان للإنسان توكل صادق اتصف بكل تلك الصفات.

(لا يضر ولا ينفع) أي إن ضره ونفعه إنما يكونان بقدرة الله سبحانه التي أعطاها له، فهو يتوجه إلى رب الأسباب، لا إلى الأسباب فقط، كما هي عادة غير الإلهيين.

(يحب من يحب خالقه) فإن نظره إلى الله لا إلى الدنيا، ومن ترك الدنيا ولم ينظر إليها كان زاهداً، فهو مصداق من مصاديق الزهد.

(المخلص) أي يتوجه إلى الله فقط لا إلى الناس، بخلاف غير المخلص حيث يقسم توجهه إلى الله وإلى الناس فهو مشرك.

(ما أصابه) أي تلقائياً لا بسبب نفسه، وإلاّ فلو عمل ما يوجب مرضه لم يكن المرض مما لا يخطؤه، ولذا كانت عليه الخطيئة، إلى غير ذلك من الأمثلة.

فصل في استحباب التفكر فيما يوجب الاعتبار والعمل

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «نبه بالفكر قلبك، وجاف عن الليل جنبك، واتق الله ربك»[2].

وعن الحسن الصيقل، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عما يروي الناس: تفكر ساعة خير من قيام ليلة، قلت: كيف يتفكر، قال: «يمر بالخربة أو بالدار فيقول: أين ساكنوك أين بانوك، ما لك لا تتكلمين»[3].

(١) معاني الأخبار: ص٧٦.

(٢) الأصول: ص٣٣٦.

(٣) الأصول: ص٣٣٦.

وعن أحمد بن محمد بن أبي نصر، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أفضل العبادة إدمان التفكر في الله وفي قدرته»[1].

أقول: (في الله) أي في عظمته ومخلوقاته، لا في ذاته، فإنه منهي عنه.

وعن معمر بن خلاد، قال: سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: «ليس العبادة كثرة الصلاة والصوم، إنما العبادة التفكر في أمر الله عز وجل»[2].

وعن ربعي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «التفكر يدعو إلى البر والعمل به»[3].

وعن إسماعيل بن بشير، قال: كتب هارون الرشيد إلى أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) عظني وأوجز، قال: فكتب إليه: «ما من شيء يراه عينك إلاّ وفيه موعظة»[4].

أقول: لأنه علامة لله سبحانه، أو تذكير بفناء الدنيا وانتقالها، أو ما أشبه ذلك.

وعن يونس بن عبد الرحمن، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان أكثر عبادة أبي ذر (رحمه الله) التفكر والاعتبار»[5].

أقول: التفكر هو ربط الأشياء بعضها ببعض ومعرفة الأسباب والمسببات، والاعتبار أن يتخذ من الأمور والأحداث عبرة ليترك ما ينبغي تركه ويفعل ما ينبغي فعله، فإن الله سبحانه خلق الدنيا دار أسباب، وكثير من الارتباطات

---

(١) الأصول: ص٣٣٦.

(٢) الأصول: ص٣٣٦.

(٣) الأصول: ص٣٣٦.

(٤) المجالس: ص٣٠٤.

(٥) الخصال: ج١ ص٢٣.

بين الأسباب والمسببات خفية لا يصل إليها إلاّ من تفكر وأطال في الفكر، وبعد المعرفة يأتي دور الاعتبار، مثلاً في الحال الحاضر يفكر لماذا تأخر المسلمون، ولماذا تقدم غيرهم، وما هي أسباب الإنهاض بالمسلمين، هل يمكن ذلك بالسلاح أو بغيره، هل يحتاج الأمر إلى العنف أو السلم، هل أن وعده سبحانه بـ ﴿إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا﴾[1] يتحقق بدون الكد والتعب أو يحتاج إليهما، إلى غير ذلك.

وفي الأمور الجزئية يتفكر لماذا سقط العراق بأيدي الأعداء، وكيف نجح الانقلاب العسكري، وإذا كان الانقلاب حسناً فلماذا لا يقع في البلاد الغربية مثل هذه الانقلابات.

وفي الأمور الأخص من ذلك، لماذا قلت البضاعة الفلانية، ولماذا كثرت الأخرى، ولماذا غلت الثالثة، ورخصت الرابعة، إلى غير ذلك.

وعن محمد بن إدريس في آخر (السرائر)، نقلاً من كتاب أبي عبد الله السياري صاحب موسى والرضا (عليهما السلام)، قال: سمعته يقول: «ليس العبادة كثرة الصيام والصلاة، وإنما العبادة الفكر في الله تعالى»[2].

وعن الحسين الصيقل، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): تفكر ساعة خير من قيام ليلة، فقال: «نعم»، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «وتفكر ساعة خير من قيام ليلة»، قلت: كيف يتفكر، قال: «يمر بالدار والخربة فيقول: أين بانوك، أين ساكنوك، ما لك لا تتكلمين»[3].

فصل في استحباب التخلق بمكارم الأخلاق وذكر جملة منها

عن إسماعيل بن عباد، قال بكر: وأظنني قد سمعته من إسماعيل عن عبد الله بن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: إنا لنحب من كان عاقلاً فهماً فقيهاً حليماً مدارياً

---

(١) السرائر: ص٤٦٨.

(٢) السرائر: ص٤٦٨.

(٣) المحاسن: ص٢٦.

صبوراً صدوقاً وفياً، إن الله عز وجل خص الأنبياء بمكارم الأخلاق، فمن كانت فيه فليحمد الله على ذلك، ومن لم تكن فيه ليتضرع إلى الله عز وجل وليسأله إياها»، قال: قلت: جعلت فداك وما هن، قال: «هن الورع والقناعة والصبر والشكر والحلم والحياء والسخاء والشجاعة والغيرة والبر وصدق الحديث وأداء الأمانة»[1].

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ألا أخبركم بخير رجالكم»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «إن خير رجالكم التقي النقي، السمح الكفين، النقي الطرفين، البر بوالديه، ولا يلجئ عياله إلى غيره»[2].

أقول: (النقي الطرفين) لسانه وفرجه.

(إلى غيره) في الطعام أو قضايا الجنس أو ما أشبه، فإن المرأة إذا لم تر من زوجها الخير في أي من ذلك ربما اضطرت إلى تطلب الغير ليسد حاجاتها.

وعن الحسن بن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل ارتضى لكم الإسلام ديناً فأحسنوا صحبته بالسخاء وحسن الخلق»[3].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الإيمان أربعة أركان، الرضا بقضاء الله، والتوكل على الله، وتفويض الأمر إلى الله، والتسليم لأمر الله»[4].

أقول: تقدم الفرق بين هذه الأربعة.

وعن عبد الله بن سنان، عن رجل من بني هاشم، قال: «أربع من كن فيه كمل إسلامه، وإن كان من قرنه إلى قدمه خطايا لم ينقصه، الصدق والحياء وحسن الخلق

---

(١) الأصول: ص٣٣٦.

(٢) الأصول: ص٣٣٧.

(٣) الأصول: ص٣٣٧.

(٤) الأصول: ص٣٣٦.

والشكر»[1].

أقول: (لم ينقصه) أي نقصاً من هذه الجهات الأربع، وهذا من باب التأكيد على هذه الصفات لا عدم الاعتناء بسائر الصفات والمعاصي.

وعن حماد بن عثمان، قال: جاء رجل إلى الصادق (عليه السلام) فقال: يا بن رسول الله، أخبرني عن مكارم الأخلاق، فقال: «العفو عمن ظلمك، وصلة من قطعك، وإعطاء من حرمك، وقول الحق ولو على نفسك»[2].

وعن جراح المدائني، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «ألا أحدثك بمكارم الأخلاق، الصفح عن الناس، ومواساة الرجل أخاه في ماله، وذكر الله كثيراً»[3].

وعن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) إنه قال: «عليكم بمكارم الأخلاق، فإن الله عز وجل يحبها، وإياكم ومذام الأفعال فإن الله عز وجل يبغضها، وعليكم بتلاوة القرآن».

إلى أن قال: «وعليكم بحسن الخلق، فإنه يبلغ بصاحبه درجة الصائم القائم، وعليكم بحسن الجوار فإن الله جل جلاله أمر بذلك، وعليكم بالسواك، فإنه مطهرة وسنة حسنة، وعليكم بفرائض الله فأدوها، وعليكم بمحارم الله فاجتنبوها»[4].

وعن أبي قتادة العمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن لله عز وجل وجوهاً خلقهم من خلقه وأرضه لقضاء حوائج إخوانهم، يرون الحمد مجداً، والله سبحانه يحب مكارم الأخلاق، وكان فيما خاطب الله نبيه: ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾، قال: السخاء وحسن الخلق»[5].

أقول: (من خلقه وأرضه) أي إنهم كسائر الناس، فهم من ضمن الخلق،

---

(١) الأصول: ص٣٧٣.

(٢) معاني الأخبار: ص٥٩، المجالس ص١٦٩.

(٣) معاني الأخبار: ص٥٩.

(٤) المجالس: ص٢١٦.

(٥) مجالس ابن الشيخ: ص١٩٠.

وقد خلقوا من الأرض، فإن أصل زيد مثلا التراب، ثم صار عشباً، ثم صار نباتاً، وأكل النبات الحيوان فصار لحماً، وأكل أبوه وأمه النبات واللحم فصار نطفة، وهكذا.

(مجداً) أي إنهم يرون الرفعة في أن يحمدهم الناس، لا أنهم يفعلون للحمد بل لله سبحانه، لكنهم يشعرون بهذه الفضيلة، بينما غيرهم لا يشعر بها، أو المراد حمد الله.

فصل في وجوب اليقين بالله في النفع والضر

عن صفوان الجمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان علي بن أبي طالب (عليه السلام) يقول: «لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطيه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن الضار النافع هو الله عز وجل»[1].

أقول: تقدم الوجه في مثل هذا الحديث.

وعن صفوان الجمال، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز لهما﴾، فقال: أما إنه ما كان ذهباً ولا فضةً، وإنما كان أربع كلمات، لا إله إلاّ أنا، من أيقن بالموت لم يضحك سنه، ومن أيقن بالحساب لم يفرح قلبه، ومن أيقن بالقدر لم يخش إلاّ الله»[2].

أقول: المراد أن أهميته لم تكن بقيمته المادية بل المعنوية، فلا ينافي ما ذكر من أنه كان لوحاً من ذهب.

(لم يضحك) أي ضحك الغافلين، وإلا فقد كان الأنبياء والأئمة (عليهم السلام) يضحكون، قال الشاعر في علي (عليه السلام):

هو البكاء في المحراب ليلا

هو الضحاك إذا اشتد الضراب

كذلك في (لم يفرح) و(لم يخش) أي الخشية النهائية، وإلا فالخشية أيضاً

---

(١) الأصول: ص٣٣٨.

(٢) الأصول: ص٣٣٨.

تأتي من الأشياء الموجبة للخشية، قال الله تعالى في أمر النبي (صلى الله عليه وآله): ﴿وتخشى الناس والله أحق أن تخشاه﴾[١]، أي إذا وزنت الخشيتان رجحت الثانية على الأولى.

وعن زيد الشحام، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن أمير المؤمنين (عليه السلام) جلس إلى حائط مائل يقضي بين الناس، فقال بعضهم: لا تقعد تحت هذا الحائط فإنه معور، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): حرس امرء أجله، فلما قام سقط الحائط، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) مما يفعل هذا وأشباهه وهذا اليقين»[٢].

أقول: مراد الإمام (عليه السلام) التجنب الزائد عن المعتاد، وإلاّ فاللازم تجنب موارد الخوف، وقوله: (هذا اليقين) أي جعل الخشية النهائية عن الله تعالى كما تقدم.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ليس شيء إلاّ وله حد»، قلت: جعلت فداك فما حد التوكل، قال: «اليقين»، قلت: فما حد اليقين، قال: «أن لا تخاف مع الله شيئاً»[٣].

أقول: تقدم وجهه.

وعن أبي ولاد الحناط، وعبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من صحة يقين المرء المسلم أن لا يرضي الناس بسخط الله، ولا يلومهم على ما لم يؤته الله، فإن الرزق لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كراهية كاره، ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت»، ثم قال: «إن الله بعدله وقسطه جعل الروح والراحة في اليقين والرضا، وجعل الهمّ والحزن في الشك والسخط»[٤].

أقول: (ما لم يؤته الله) فإذا لم يؤته الله العلم لا يلوم أباه الذي لم يكن

---

(١) سورة الأحزاب: ٣٧.

(٢) الأصول: ص٣٣٧.

(٣) الأصول: ص٣٣٧.

(٤) الأصول: ص٣٣٧.

مقصراً، بأنه لماذا لم يتركه يتعلم وهكذا، فإنه إذا لم تكن تلك الموازين الموجبة للآثار، فلا لوم على أحد.

(لأدركه رزقه) أي ما يصل إلى الإنسان بالأسباب الطبيعية المجعولة كوناً، لا أنه إذا ذهب إلى غرفة وأغلقها على نفسه دخلها الرزق بشق السقف، وهذا تعبير آخر عن أنه لا ينبغي الحرص.

و(الروح) للنفس والراحة للبدن.

(في الشك والسخط) فمن شك في أنه يصله كذا أو لا، يهتم له، أما إذا تيقن أنه يصله أو لا يصله فلا يهتم، ومن سخط حزن، أما إذا لم يسخط على شيء فلا حزن.

وعن هشام بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول: «إن العمل القليل الدائم على اليقين أفضل عند الله من العمل الكثير على غير يقين»[1].

وعن سعيد بن قيس الهمداني، قال: نظرت يوماً في الحرب إلى رجل عليه ثوبان فحركت فرسي فإذا هو أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقلت: يا أمير المؤمنين في مثل هذا الموضع، فقال: «نعم يا سعيد بن قيس، إنه ليس من عبد إلاّ وله من الله عز وجل حافظ وواقية، معه ملكان يحفظانه من أن يسقط من رأس جبل أو يقع في بئر، فإذا نزل القضاء خليا بينه وبين كل شيء»[2].

أقول: أراد الإمام (عليه السلام) أن الإنسان يجب أن لا يكون جباناً خائفاً بدون مبرر الخوف، لأنه ينافي حفظ الله سبحانه، لا أنه لا يأخذ بأسباب الحيطة والحذر.

وعن علي بن أسباط، قال: سمعت أبا الحسن الرضا (عليه السلام) يقول: «كان في الكنز الذي قال الله: ﴿وكان تحته كنز لهما﴾، كان فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن أيقن بالقدر كيف يحزن» الحديث[3].

---

(١) الأصول: ص٣٣٧، علل الشرائع: ص١٨٧.

(٢) الأصول: ص٣٣٨.

(٣) الأصول: ص٣٣٨.

وعن يونس، عمن ذكره، قال: قيل للرضا (عليه السلام): إنك تتكلم بهذا الكلام والسيف يقطر دماً، فقال: «إن لله وادياً من ذهب حماه بأضعف خلقه النمل، فلو رامه البخاتي لم تصل عليه»[1].

أقول: (بهذا الكلام) كأن الإمام تكلم بكلام على خلاف المأمون، فقيل له: كيف تتكلم والمأمون سفاك يقطر سيفه بالدم دائماً، فأجاب الإمام (عليه السلام) بأن الله سبحانه يحفظه، كما يحفظ الذهب عن منال الأيدي بواسطة النمل، فإنه في أفريقيا كان النمل الكثير يحول دون وصول الناس إلى مناجم الذهب، نعم لما أبيدوا بسبب السموم المتعارفة في هذا الزمان تمكنوا من الوصول إليها.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «كفى بالأجل حارساً»[2].

أقول: هذا من باب التشبيه، بمعنى أن الأجل المقدر من الله لفلان يأتيه في وقته المقدر، فكأنه حارس يحرسه عن أن يموت قبل ذلك الوقت.

فصل في وجوب طاعة العقل ومخالفة الجهل

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، ثم قال له: أدبر فأدبر، ثم قال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، ولا أكملتك إلاّ في من أحب، أما إني إياك آمر وإياك أنهى، وإياك أعاقب وإياك أثيب»[3].

وعن الأصبغ بن نباتة، عن علي (عليه السلام)، قال: «هبط جبرئيل (عليه السلام) على آدم (عليه السلام)

---

(١) الأصول: ص٣٣٨.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢١٨.

(٣) الأصول: ص٦، المحاسن: ص١٩٢.

فقال: يا آدم إني أمرت أن أخيرك واحدة من ثلاث فاخترها ودع اثنتين، فقال له آدم: يا جبرئيل وما الثلاث، فقال: العقل والحياء والدين، فقال آدم: فإني قد اخترت العقل، فقال جبرئيل للحياء والدين: انصرفا ودعاه، فقالا: يا جبرئيل إنا أمرنا أن نكون مع العقل حيث كان، قال: فشأنكما، وعرج»[1].

أقول: لا شك أن الصفات النفسية الإيجابية هي أشياء خارجية، وإن لم تدرك بأنفسها بالحواس، فالشجاعة مثلاً شيء في داخل الإنسان توجب له الإقدام، وهكذا، وما المانع من أن يكون لها نوع إدراك وشعور، بعد أن كان لمثل التراب الذي هو أدنى منها ذلك، قال سبحانه: ﴿فقال لها وللأرض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا أتينا طائعين﴾[2]، و﴿ يومئذ تحدث أخبارها﴾[3]، فلا حاجة إلى القول بأن أمثال هذه الأحاديث من التشبيه والبلاغة المجازية.

وعن محمد بن عبد الجبار، عن بعض أصحابنا، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: ما العقل، قال: «ما عبد به الرحمن واكتسب به الجنان»، قال: قلت: فالذي كان في معاوية، قال: «تلك النكراء، تلك الشيطنة، وهي شبيهة بالعقل وليست بالعقل»[4].

أقول: لأن العقل يهدي إلى الخير، وأفضل الخير العبادة وتحصيل الجنة، وما كان في معاوية كان علاج الأمور للوصول إلى الشهوات، فهو ضد العقل صفة نكراء، مؤنث أنكر، وهو أسوء من النكرة مقابل المعرفة، لأن النكرة خلاف العرف العقلاني مرة، وما كان في معاوية كان خلاف العرف العقلاني ألف مرة.

---

(١) الأصول: ص٦، المحاسن: ص١٩١.

(٢) سورة فصلت: ١١.

(٣) سورة الزلزلة: ٩٦.

(٤) الأصول: ص٦، المحاسن: ص١٩٥.

وعن الحسن بن الجهم، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «صديق كل امرئ عقله، وعدوه جهله»[1].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من كان عاقلاً كان له دين، ومن كان له دين دخل الجنة»[2].

وعن هشام بن الحكم، قال: قال لي أبو الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام): «يا هشام إن الله بشر أهل العقل والفهم في كتابه فقال: ﴿فبشر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾[3]».

إلى أن قال: «يا هشام، إن لقمان قال لابنه: تواضع للحق تكن أعقل الناس، وإن الكيس لدى الحق يسير. يا بني إن الدنيا بحر عميق قد غرق فيها عالم كثير، فلتكن سفينتك فيها تقوى الله، وحشوها الإيمان، وشراعها التوكل، وقيمها العقل، ودليلها العلم، وسكانها الصبر، يا هشام إن لكل شيء دليلاً ودليل العقل التفكر، ودليل التفكر الصمت، ولكل شيء مطية ومطية العقل التواضع، وكفى بك جهلاً أن تركب ما نهيت عنه».

إلى أن قال: «يا هشام، إن لله على الناس حجتين، حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة (عليهم السلام)، وأما الباطنة فالعقول».

إلى أن قال: «يا هشام، كيف يزكو عند الله عملك وأنت قد شغلت قلبك عن أمر ربك وأطعت هواك على غلبة عقلك، يا هشام إن العاقل رضي بالدون عن الدنيا مع الحكمة، ولم يرض بالدون من الحكمة مع الدنيا، فلذلك ربحت تجارتهم، إن العقلاء تركوا فضول الدنيا فكيف الذنوب، وترك الدنيا من الفضل، وترك الذنوب من الفرض. يا هشام إن العاقل نظر إلى الدنيا وإلى أهلها فعلم أنها لا تنال إلاّ بالمشقة، ونظر

---

(١) الأصول: ص٦، المحاسن: ص١٩٤.

(٢) الأصول: ص٧، ثواب الأعمال: ص٩.

(٣) سورة الزمر: ١٧ ـ ١٨.

إلى الآخرة فعلم أنها لا تنال إلاّ بالمشقة، فطلب بالمشقه أبقاهما» الحديث[١].

أقول: (يسير) أي له من الأفراد يسير، حيث لإن الغالب لا يتواضعون للحق، والمراد الحق في كل شيء من الأكل والشرب والنوم والملامسة والعلم والعمل والمعاشرة وغيرها، والتواضع لدى الحق معناه العمل به لا بالهوى والشهوة.

(نهيت عنه) أي في لسان الشرع.

(مع الحكمة) الحكمة هي وضع الأشياء موضعها، وهذه هي المنتجة في العمر الطويل للإنسان، لأن عمر الإنسان لا ينتهي في الدنيا بل يبقى مليارات من السنوات، ولذا نرى أولياء الله كانوا يرجحون ذلك وإن قتلوا ولم يبق لهم أثر، كالأنبياء الذين كانوا يُقتلون، ﴿قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل﴾[٢] ولا يبقى لهم حتى قبر يعرف أو اسم يذكر، ولذا لا نعرف من الأنبياء (عليهم السلام) حتى مائة شخص، بينما غير العاقل يرجح الدنيا واضعاً الحكمة تحت قدمه، فلا يبقى له عمر أبدي، وإن أرضى بعض شهواته في هذه الدنيا الدنية.

عن سهل بن زياد، رفعه قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «العقل غطاء ستير، والفضل جمال ظاهر، فاستر خلل خلقك بفضلك، وقاتل هواك بعقلك، تسلم لك المودة، وتظهر لك المحبة»[٣].

أقول: المودة والمحبة إذا قورنتا أريد بالأولى الظاهرة وبالثانية الباطنة، قال سبحانه: ﴿إلاّ المودة في القربى﴾[٤]، أما إذا ذكرت إحداهما شملت الأخرى كالظرف والجار والمجرور.

وعن إسماعيل بن مهران، عن بعض رجاله، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «العقل

(١) الأصول: ص٨ ـ ١٠.

(٢) سورة البقرة: ٩١.

(٣) الأصول: ص١١.

(٤) سورة الشورى: ٢٣.

دليل المؤمن»[1].

وعن السري بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يا علي الفقر أشد من الجهل، ولا مال أعود من العقل»[2].

أقول: المراد بالجهل مقابل العقل لا مقابل العلم، فكل سوء من الجهل، وكل حسن من العقل، ويظهر من بعض الأحاديث أنه مخلوق أيضاً، نعم الجهل قبال العلم سلب لا ضد، ولا بعد في أن يكون الجهل مقابل العقل مخلوقاً، إذ لو لم يكن موجوداً كيف يكون له آثار كالغرور والهوى وغيرهما، فإن العدم لا يؤثر ولا يتأثر، وما يقال من أن عدم المسبب لعدم السبب يراد به البقاء على الحالة الوجودية السابقة لوجود سببها.

لا يقال: فكيف يقال: أفنى الله زيداً، والفناء عدم والله موجود.

لأنه يقال: معنى ذلك أنه قطع سبب وجوده فصار غير موجود تلقائياً، والحاصل أن الوجود سبب ومسبب، أما الثلاثة الآخر بأن يكون العدم سبباً أو مسبباً أو كليهما فذلك غير تام.

وعن هشام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لما خلق الله العقل استنطقه، ثم قال له: أقبل فأقبل، فقال له: أدبر فأدبر، فقال: وعزتي وجلالي ما خلقت خلقاً هو أحب إليّ منك، بك آخذ، وبك أعطي، وعليك أثيب»[3].

وعن أبي عمر العجمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «خمس من لم يكن فيه لم يكن فيه كثير مستمتع»، قلت: وما هي، قال: «العقل، والأدب، والدين، والجود، وحسن الخلق»[4].

أقول: أي لا يستمتع الناس به، من غير فرق بين أهله وبين المجتمع.

---

(١) الأصول: ص١٣.

(٢) الأصول: ص١٣.

(٣) المحاسن: ص١٩٢.

(٤) المحاسن: ص١٩١.

فصل في وجوب غلبة العقل على الشهوة

عن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي، قال: «من عرضت له فاحشة أو شهوة فاجتنبها مخافة الله عز وجل حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر، وانجز له ما وعده في كتابه في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾[1]، ألا ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا على الآخرة لقي الله عز وجل يوم القيامة وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن اختار الآخرة وترك الدنيا رضي الله عنه وغفر له مساوئ عمله»[2].

أقول: (جنتان) جنة للعزم القلبي وجنة للفعل في الواجب والكف في المحرم.

(حسنة) أي حسنة من هذه الجهة، لا مطلق الحسنات التي عملها، إلاّ أن تكون سيئته موجبة للحبط.

وعن عبد الله بن سنان، قال: سألت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) فقلت: الملائكة أفضل أم بنو آدم، فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام): «إن الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة، وركب في البهائم شهوة بلا عقل، وركب في بني آدم كلتيهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة، ومن غلب شهوته عقله فهو شر من البهائم»[3].

أقول: أما الملائكة الذين عملوا بالشهوات كفطرس ونحوه، فذلك لأن الله منحهم الشهوة، كما في قصة هاروت وماروت على تقدير تماميتها.

وعن السكوني، عن جعفر، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره»[4].

---

(١) سورة الرحمن: ٤٦.

(٢) الفقيه: ج٢ ص١٩٧.

(٣) علل الشرائع: ص١٣.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٦.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «كم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً»[1].

قال: وقال (عليه السلام): «كم من أكلة منعت أكلات»[2].

أقول: لا يستبعد أن يراد بذلك أعم من الأكل كقوله سبحانه: ﴿يأكلون أموال اليتامى﴾[3]، فيشمل شربة منعت شربات، وعملاً منع أعمالاً، إلى غير ذلك، وهذا ونحوه إلى الإنشاء أقرب، والمراد به التحذير من مثل ذلك، ولا يبعد إرادة الأعم من الفعل والترك، كما إذا ترك التعلم فحرم عن فوائد كثيرة.

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال الله تعالى: «إنما أقبل الصلاة لمن تواضع لعظمتي، ويكف نفسه عن الشهوات من أجلي، ويقطع نهاره بذكري، ولا يتعاظم على خلقي، ويطعم الجائع، ويكسو العاري، ويرحم المصاب، ويؤوي الغريب، فذلك يشرق نوره مثل نور الشمس، أجعل له في الظلمات نوراً، وفي الجهالة حلماً، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، يدعوني فألبيه، ويسألني فأعطيه، فمثل ذلك عندي كمثل جنات عدن لا يسمو ثمرها، ولا تتغير عن حالها»[4].

فصل في وجوب الاعتصام بالله

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أيما عبد أقبل قِبَلَ ما يحب الله عز وجل أقبل الله قِبَلَ ما يحب، ومن اعتصم بالله عصمه الله، ومن أقبل الله قبله وعصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض، أو كانت نازلة نزلت على أهل الأرض فشملتهم

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص١٦٤.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٨٥.

(٣) سورة النساء: ١٠.

(٤) المحاسن: ص١٥.

بلية كان في حزب الله بالتقوى من كل بلية، أليس الله يقول: إن المتقين في مقام أمين»[1].

أقول: (أقبل قبل ما يحب الله) قبل على وزن عنب، أي واجه محبوب الله تعالى.

(في مقام أمين) لوحظت الدنيا والآخرة وحدة واحدة، فلا يهم ما يصاب الإنسان في الدنيا إذا كانت له آخرة حسنة، وإلا فالمتقي يصيبه ما يصيب غيره بل البلاء للولاء.

وعن مفضل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أوحى الله عز وجل إلى داود (عليه السلام): ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم يكيده السماوات والأرض ومن فيهن إلاّ جعلت له المخرج من بينهن، وما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من نيته إلاّ قطعت أسباب السماوات من يديه، وأسخت الأرض من تحته، ولم أبال بأي واد يهلك» (تهالك خ ل)[2].

أقول: المخرج من ببنهن، أي لا يتركه الله سبحانه حتى يصاب بالمكروه، نعم قد يريد الله تعالى بلاءه لرفعة درجته، ففي الحديث إن الرسول (صلى الله عليه وآله) قال للحسين (عليه السلام): «إن الله شاء أن يراك قتيلا، وشاء أن يراهن سبايا»، ومشيته معناها تركه بيد الأسباب، في قبال أن يكل الأسباب عن النفوذ كما فعل بإسماعيل (عليه السلام) حيث لم تقطع السكين، وكذلك في سائر موارد المعجزات.

(بأحد من خلقي) أي اعتصاماً دون الله، وإلا فالله سبحانه أمر بالأخذ بالأسباب.

فصل في وجوب التوكل على الله والتفويض إليه

عن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «خرجت حتى انتهيت

---

(١) الأصول: ص٣٤١.

(٢) الأصول: ص٣٤٠.

إلى هذا الحائط فاتكأت عليه، فإذا رجل عليه ثوبان أبيضان ينظر في تجاه وجهي، ثم قال: يا علي بن الحسين ما لي أراك كئيباً حزيناً» إلى أن قال: «ثم قال: يا علي بن الحسين هل رأيت أحداً دعا الله فلم يجبه، قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً توكل على الله فلم يكفه، قلت: لا، قال: فهل رأيت أحداً سأل الله فلم يعطه، قلت: لا، ثم غاب عني»(١).

وعن علي بن حسان، عن عمه عبد الرحمن بن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الغنى والعز يجولان فإذا ظفرا بموضع التوكل أوطنا»(٢).

أقول: (أوطنا) إن المتوكل على الله يعمل كما أمر الله باتباع الأسباب للوصول إلى المسببات، والأسباب تجر الغنى، كما أنه بتوكله على الله لا يتملق هذا وهذا ولذا يكون عزيزاً.

وعن علي بن سويد، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: سألته عن قول الله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو حسبه﴾(٣)، فقال: «التوكل على الله درجات، منها أن تتوكل على الله في أمورك كلها، فما فعل بك كنت عنه راضياً تعلم أنه لا يألوك خيراً وفضلاً، وتعلم أن الحكم في ذلك له، فتوكل على الله بتفويض ذلك إليه وثق به فيها وفي غيرها»(٤).

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من أعطي ثلاثاً لم يمنع ثلاثاً، من أعطي الدعاء أعطي الإجابة، ومن أعطي الشكر أعطي الزيادة، ومن أعطي التوكل أعطي الكفاية»، ثم قال: «أتلوت كتاب الله عز وجل: ﴿ومن يتوكل على الله فهو

---

(١) الأصول: ص٣٤٠.

(٢) الأصول: ص٣٤١.

(٣) سورة الطلاق: ٣.

(٤) الأصول: ص٣٤١.

حسبه﴾[1]، وقال: ﴿لئن شكرتم لأزيدنكم﴾[2]، وقال: ﴿ادعوني أستجب لكم﴾[3]»[4].

أقول: (أعطى) بمعنى وفق له.

فصل في عدم جواز تعلق الرجاء والأمل بغير الله

وعن الحسين بن علوان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قرأ بعض الكتب: إن الله تبارك وتعالى يقول: «وعزتي وجلالي ومجدي وارتفاعي على عرشي لأقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيري باليأس، ولأكسونه ثوب المذلة عند الناس، ولأنحينه من قربي، ولأبعدنه من فضلي، أيؤمل غيري في الشدائد والشدائد بيدي، ويرجو غيري، ويقرع بالفكر باب غيري وبيدي مفاتيح الأبواب وهي مغلقة وبابي مفتوح لمن دعاني، فمن ذا الذي أملني لنائبة فقطعته دونها، ومن الذي رجاني لعظيمة فقطعت رجاءه مني، جعلت آمال عبادي عندي محفوظة فلم يرضوا بحفظي، وملأت سماواتي ممن لا يمل من تسبيحي، وأمرتهم أن لا يغلقوا الأبواب بيني وبين عبادي فلم يثقوا بقولي، ألم يعلم من طرقته نائبة من نوائبي أنه لا يملك كشفها أحد غيري إلاّ من بعد إذني، فما لي أراه لاهياً عني، أعطيته بجودي ما لم يسألني، ثم انتزعته عنه فلم يسألني رده، وسأل غيري، أفتراني أبدأ بالعطاء قبل المسألة ثم أسأل فلا أجيب سائلي، أبخيل أنا فيبخلني عبدي، أو ليس الجود والكرم لي، أو ليس العفو والرحمة بيدي، أو ليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دوني، أفلا يخشى المؤملون أن يؤملوا غيري، فلو أن أهل سماواتي وأهل أرضي أملوا جميعاً ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمل الجميع ما انتقص من ملكي عضو ذرة، وكيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا

---

(١) سورة الطلاق: ٣.

(٢) سورة إبراهيم: ٧.

(٣) سورة غافر: ٦٠.

(٤) الأصول: ص٣٤١، المحاسن: ص٣.

بؤساً للقانطين من رحمتي، ويا بؤساً لمن عصاني ولم يراقبني»[1].

أقول: السعادة والشقاء نفسية وجسدية، ولكل أفراد ومصاديق، مثلاً من عليه دين ولم يمت ولده سعيد من الجهة الثانية، وشقي من الجهة الأولى، وعكسه عكسه، ومن له طعام وليس له لباس سعيد من الجهة الأولى وشقي من الجهة الثانية.

وهكذا حال سائر حاجات الجسد والروح، وقد قرر الله سبحانه للسعادة في كل منهما أجزاءً وأسباباً، والناس أمام ذلك إما سعيد مطلق وإما شقي مطلق وإما بين ذلك، فمن أطاع الله في كل ما قال كان من الأول، ومن عصاه في كل ما قال كان من الثاني، ومن خلط كان له بالنسبة من هذا وهذا.

وبذلك تبين أنه لا يستشكل كيف ورد في هذا الحديث: (لأقطعن أمل كل مؤمل من الناس غيري) مع أنا نرى أن الكفار حتى الملحدين منهم كالشيوعيين أكثر عزة ووصولاً للآمال من المسلمين الذي نراهم تأخروا، إذ الكفار أخذوا بقوله سبحانه: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾[2]، و(الله الله... في نظم أمركم) و(النظافة من الإيمان) و﴿ثم أتبع سبباً﴾[3] إلى غير ذلك، وبقدر ذلك سعدوا، بينما المسلمون تركوها وبقدر ذلك شقوا، بينما أخذ المسلمون بـ ﴿يسألونك عن الخمر والميسر﴾[4]، و﴿أقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[5]، و﴿اتقوا الله الذي تسائلون به والأرحام﴾[6]، و(تناكحوا تناسلوا)، وبقدر ذلك سعدوا، بينما الكفار التاركون لها شقوا.

---

(١) الأصول: ص٣٤١ و٣٣٢.

(٢) سورة الأنفال: ٦٠.

(٣) سورة الكهف: ٨٩ و٩٢.

(٤) سورة البقرة: ٢١٩.

(٥) سورة المجادلة: ١٣.

(٦) سورة النساء: ١.

ومن الواضح أن سعادة كل شيء وشقاءه بحسب جنسه، فالكفار الآخذون بالنظم والقوة سعدوا في هذين البعدين، وذلك يوجب سيطرة الآخذ على غير الآخذ، إلى غير ذلك، فالأمل بغير الله باب من أبواب الشقاء لا أنه كل الشقاء، كما أن الأمل به سبحانه باب من أبواب السعادة لا أنه كل السعادة.

(عندي محفوظة) أي إني أعلمها وأقدر على إنجازها، كالحافظ على النقد حيث يبقيه عنده ويقدر على صرفه في وقت إرادته.

(أنا قيمه) والله يخلق مليارات الأكوان بإرادة (كن)، فمثل هذا الملك هل ينقص، وإنما لا يعطى إلاّ بقدر الاستعداد، وفي المثل الحسي: البحر لا ينفد ماؤه مهما أخذ منه، وإنما الاناء ذو الرطل لا يتمكن أن يستوعب إلاّ بقدر الرطل، ﴿أنزل من السماء ماءً فسالت أودية بقدرها﴾[1].

وعن أحمد بن فهد في (عدة الداعي)، قال: روي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿وما يؤمن أكثرهم بالله إلاّ وهم مشركون﴾[2]، قال: «هو قول الرجل لولا فلان لهلكت، ولولا فلان ما أصبت كذا وكذا، ولولا فلان لضاع عيالي، ألا ترى أنه قد جعل لله شريكاً في ملكه يرزقه ويدفع عنه»، قلت: فيقول ما ذا، يقول: لولا أن منّ الله علي بفلان لهلكت، قال: «نعم لا بأس بهذا أو نحوه»[3].

فصل في وجوب الجمع بين الخوف والرجاء

والعمل لما يرجو ويخاف

عن الحرث بن المغيرة أو أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له ما كان في وصية لقمان، قال: «كان فيها الأعاجيب، وكان أعجب ما كان فيها أن قال لابنه: خف

---

(١) سورة الرعد: ١٧.

(٢) سورة يوسف: ١٠٦.

(٣) عدة الداعي: ص٧٠.

الله خيفة لو جئته ببر الثقلين لعذبك، وأرج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين لرحمك»[1].

ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): كان أبي (عليه السلام) يقول: «ليس من عبد مومن إلاّ وفي قلبه نوران، نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»[2].

أقول: (لعذبك) أي ببعض ذنوبك، لا أن الله يفعل اعتباطاً، وفي المثل بر الثقلين مثله مثل ملايين الخلايا الحية السالمة، والذنب الواحد مثله مثل خلية فسدت بالسرطان، حيث يأتي ذلك على كل الأعضاء مما يوجب موت الإنسان، وفي عكسه مثله مثل (الكلور) المصفي للماء، حيث قطرة منه تصفي ملايين القطرات لما فيها من قوة التغيير، ولعل البر الواحد الذي صدر منه كان كتلك القطرة المصفية، فإن ذرة الثواب المحطمة للذنوب، وذرة العصيان الحابطة للطاعات تؤثر من حيث الكيف، وإن كان الكم مختلفاً جداً، فلا يقال: كيف يبطل الله بر الثقلين، وإنه خلاف الحكمة، أو يبطل ذنوب الثقلين فإنه كذلك أيضاً.

وعن ابن أبي نجران، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: قوم يعملون بالمعاصي ويقولون: نرجو، فلا يزالون كذلك حتى يأتيهم الموت، فقال: «هؤلاء قوم يترجحون في الأماني، كذبوا ليسوا براجين، من رجا شيئاً طلبه، ومن خاف من شيء هرب منه»[3].

وعن علي بن محمد رفعه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، نحوه إلاّ أنه قال: «ليسوا لنا بموال»[4].

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان أبي (عليه السلام) يقول:

(١) الأصول: ص٣٤٢.

(٢) الأصول: ص٣٤٢.

(٣) الأصول: ص٣٤٢.

(٤) الأصول: ص٣٤٣.

«إنه ليس من عبد مؤمن إلاّ وفي قلبه نوران، نور خيفة ونور رجاء، لو وزن هذا لم يزد على هذا، ولو وزن هذا لم يزد على هذا»[1].

وعن الحسين بن أبي سارة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لا يكون المؤمن مؤمناً حتى يكون خائفاً راجياً، ولايكون خائفاً راجياً حتى يكون عاملاً لما يخاف ويرجو»[2].

وعن حماد بن عيسى، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «كان فيما أوصى به لقمان لابنه أن قال: يا بني خف الله خوفاً لو جئته ببر الثقلين خفت أن يعذبك الله، وأرج الله رجاءً لو جئته بذنوب الثقلين رجوت أن يغفر الله لك»[3].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): «ارج الله رجاءً لا يجرؤك على معصيته (معاصيه خ ل)، وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته»[4].

وعن محمد بن الحسين الرضي الموسوي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال في خطبة له: «يدعي بزعمه أنه يرجو الله، كذب والعظيم، ما له لا يتبين رجاؤه في عمله، وكل راج عرف رجاؤه في عمله إلاّ رجاء الله فإنه مدخول، وكل خوف محقق إلاّ خوف الله فإنه معلول، يرجو الله في الكبير، ويرجو العباد في الصغير، فيعطي العبد ما لا يعطي الرب، فما بال الله جل ثناؤه يقصر به عما يصنع لعباده، أتخاف أن تكون في رجائك له كاذباً، أو يكون لا يراه للرجاء موضعاً، وكذلك إن هو خاف عبداً من عبيده أعطاه من خوفه ما لا يعطي ربه، فجعل

(١) الأصول: ص٣٤٤.

(٢) الأصول: ص٣٤٤.

(٣) المجالس: ص٣٩٦.

(٤) المجالس: ص١٠.

خوفه من العباد نقداً وخوفه من خالقه ضماراً ووعداً»[1].

أقول: أي كل من يقول أرجو لابد له من الدليل، فهل يصح أن يقول الزارع إني أرجو الثمر والحال أنه لم يزرع، وكل من يقول أخاف لابد له من الدليل، فهل يصح أن يقول من في ليلة شاتية إني أخاف البرد والحال أنه لا يشعل النار ولا يغلق أبواب الغرفة وثقبها.

أما من قال أرجو الله ولا عمل له، فإن رجاءه كذب (مدخول)، ومن قال أخاف الله ولا عمل له فإن خوفه كذب (معلول) أي عليل لا صحة له، (ضماراً) أي قلباً لا عملاً.

فصل في وجوب الخوف من الله

عن حمزة بن حمران، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن مما حفظ من خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنه قال: «أيها الناس إن لكم معالم فانتهوا إلى معالمكم، وإن لكم نهاية فانتهوا إلى نهايتكم، ألا إن المؤمن يعمل بين مخافتين: بين أجل قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وبين أجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه، فليأخذ العبد المؤمن من نفسه لنفسه، ومن دنياه لآخرته، وفي الشبيبة قبل الكبر، وفي الحياة قبل الممات، فو الذي نفس محمد (صلى الله عليه وآله) بيده ما بعد الدنيا من مستعتب، وما بعدها من دار إلاّ الجنة أو النار»[2].

أقول: الإنسان القاصد إلى السفر إلى مكان في طريقه معالم للدلالة على الطريق وله نهاية وهي ذلك المقصد من سفره، والسائر إلى الله كذلك له معالم في طريقه كالصوم والصلاة والإنفاق وحسن الخلق، ونهايته حتى يموت

(١) نهج البلاغة: القسم الأول ص٣٠١.

(٢) الأصول: ص٣٤٣.

حيث وصل إلى ثواب الله سبحانه.

(مستعتب) محل يمكن أن يتدارك في ذلك المحل ما فات منه في الدنيا.

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «المؤمن بين مخافتين، ذنب قد مضى لا يدري ما صنع الله فيه، وعمر قد بقي لا يدري ما يكتسب فيه من المهالك، فلا يصبح إلاّ خائفاً، ولا يصلحه إلاّ الخوف»[١].

أقول: لأنه إذا لم يخف لم يعمل لما يرجوه وينجيه.

وعن داود الرقي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾، قال: «من علم أن الله يراه ويسمع ما يقول ويعلم ما يعمله (يفعله خ ل) من خير أو شر فيحجزه ذلك عن القبيح من الأعمال، فذلك الذي خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى»[٢].

وعن الهيثم بن واقد، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»[٣].

أقول: (كل شيء) الكلية باعتبار ما في طريق الخوف منه سبحانه، مثلاً إذا قيل يخاف الملك كل أحد، يراد به من كان في مملكته، لا الكلية المطلقة، والمراد أن العامل بأوامر الله يخافه الناس فيحترمونه ويجللونه ويسمعون أوامره ويخافون سخطه وغضبه، لكن لا كل الناس، بل الناس الذين هم في هذا الطريق، ويمكن أن يراد أعم من ذلك كالحيوانات ونحوها أيضاً.

(أخافه الله من كل شيء) حيث يخاف الفقر والمرض والعدو وما أشبه، من جهة أنه لا يحس بسناد في باطنه يستند إليه في مشكلاته.

---

(١) الأصول: ص٣٤٣.

(٢) الأصول: ص٣٤٤.

(٣) الأصول: ص٣٤٢، الفقيه: ج٢ ص٣٣٥.

ورواه الصدوق بإسناده، عن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام) مثله، وزاد: «يا علي ثلاث منجيات: خوف الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضا والسخط»[1].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «يا إسحاق خف الله كأنك تراه، وإن كنت لا تراه فإنه يراك، وإن كنت ترى أنه لا يراك فقد كفرت، وإن كنت تعلم أنه يراك ثم برزت له بالمعصية فقد جعلته من أهون الناظرين عليك» (إليك)[2].

وعن أبي حمزة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من عرف الله خاف الله، ومن خاف الله سخت نفسه عن الدنيا»[3].

أقول: (خاف الله) أي خاف مخالفته، فالخوف في الحقيقة من النفس لا من الرب.

(عن الدنيا) لأنه لا يترك أمامها خوفاً أو رجاءً لأنه يمتلأ برجاء الثواب، حيث أعد الله سبحانه ثواباً جزيلاً للزاهدين.

وعن صالح بن حمزة رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن من العبادة شدة الخوف من الله عز وجل»، يقول الله عز وجل: ﴿إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ﴾[4]، وقال جل ثناؤه: ﴿فلا تخشوا الناس واخشون﴾[5]، وقال تبارك وتعالى: ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً﴾[6]، قال: وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن حب الشرف والذكر لايكونان في قلب الخائف الراهب»[7].

أقول: (الشرف والذكر) أي الشرف غير ما يحصل عن طريق الله،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٣٥.

(٢) الأصول: ص٣٤٢.

(٣) الأصول: ص٣٤٢.

(٤) سورة فاطر: ٢٨.

(٥) سورة المائدة: ٤٤.

(٦) سورة الطلاق: ٢.

(٧) الأصول: ص٣٤٣.

وذكر الناس له، فإن خوفه يوجب اتجاهه إلى الله سبحانه سواء رأى الناس له شرفاً أم لا، وسواء ذكروه أم لا.

والظاهر أن الرهبة أشد أقسام الخوف حيث يظهر أحياناً على الجوارح فيرتعش خوفاً، قال سبحانه: ﴿واضمم إليك جناحك من الرهب﴾[1]، حيث إنه (عليه السلام) كان يرتعش خوفاً، فإذا وضع يديه تحت إبطيه اشتدت أعصابه فلا تظهر رجفته، كذا في بعض التفاسير.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: من ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رأس الحِكَم مخافة الله عز وجل»[2].

أقول: الإنسان الخائف يضع الأشياء مواضعها فيكون حكيماً، حيث إن ذلك هو معني الحكمة.

وعن علي بن غراب، قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): «من خلا بذنب فراقب الله تعالى فيه واستحيي من الحفظة غفر الله عز وجل له جميع ذنوبه وإن كانت مثل ذنوب الثقلين»[3].

وعن عبد الله بن القاسم الجعفي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «الخائف من لم تدع له الرهبة لساناً ينطق به»[4].

أقول: تشبيه بمن يخاف كثيراً فإنه لا ينطق، إذ أعصاب فمه لا تستجيب له، بل إذا أراد النطق اصطكت أسنانه بعضها ببعض.

وعن سعد الإسكاف، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «وأما المنجيات، فخوف الله في السر والعلانية، والقصد في الغنى والفقر، وكلمة العدل في الرضا

---

(١) سورة القصص: ٢٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٤٢.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٥٧.

(٤) معاني الأخبار: ص٧١.

والسخط»[1].

وعن ابن عباس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن قوماً أصابوا ذنوباً فخافوا منها وأشفقوا، فجاءهم قوم آخرون فقالوا: ما لكم، فقالوا: إنا أصبنا ذنوباً فخفنا منها وأشفقنا، فقالوا لهم: نحن نحملها عنكم، فقال الله تعالى: يخافون وتجترون علي، فأنزل الله عليهم العذاب»[2].

أقول: كلامهم هذا كان حراماً لأنه من قبيل الأمر بالمنكر، فلا يقال إن التجري ليس بمحرم فكيف عوقبوا.

وعن محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، عن عم أبيه الحسين بن موسى بن جعفر، عن أبيه، عن آبائه، عن أمير المؤمنين (عليهم السلام)، قال: «إن المؤمن لا يصبح إلاّ خائفاً وإن كان محسناً، ولا يمسي إلاّ خائفاً وإن كان محسناً، لأنه بين أمرين، بين وقت قد مضى لا يدري ما الله صانع به، وبين أجل قد اقترب لا يدري ما يصيبه من الهلكات، ألا وقولوا خيراً تعرفوا به، واعملوا به تكونوا من أهله، صلوا أرحامكم وإن قطعوكم، وعودوا بالفضل على من حرمكم، وأدوا الأمانة إلى من ائتمنكم، وأوفوا بعهد من عاهدتم، وإذا حكمتم فاعدلوا»[3].

أقول: (تعرفوا به) أي يقال في المجتمع إن فلاناً يقول الخير ويهدي السبيل.

فصل في استحباب كثرة البكاء من خشية الله

عن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي، قال: «ومن ذرفت عيناه من خشية الله كان له بكل قطرة قطرت من دموعه قصر في

(١) معاني الأخبار: ص٩٠، المحاسن: ص٤.

(٢) علل الشرائع: ص١٧٧، عقاب الأعمال: ص٢٤.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص١٣٠.

الجنة مكلل بالدر والجوهر، فيه ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»[1].

أقول: حيث إن عالم الآخرة بالنسبة إلى هذا العالم كعالم الدنيا بالنسبة إلى الجنين كان الأمر كذلك، فهل يخطر بقلب الجنين ما في هذا العالم، بل هل يخطر بقلب الطفل ما يدركه الكبار من اللذائذ والشهوات والعلوم والمعارف.

وعن أبي بصير ، عن أبي عبد الله الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «كان فيما وعظ الله به عيسى بن مريم (عليه السلام) أن قال: يا عيسى أنا ربك ورب آبائك الأولين» إلى أن قال: «يا عيسى ابن البكر البتول، ابك على نفسك بكاء من قد ودع الأهل وقلا الدنيا وتركها لأهلها، وصارت رغبته فيما عند الله»[2].

وعن أحمد بن الحسن الميثمي، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان اسم نوح عبد الغفار، وإنما سمي نوحاً لأنه كان ينوح على نفسه»[3].

وعن سعيد بن جناح، عن بعض أصحابنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «اسم نوح عبد الملك، وإنما سمي نوحاً لأنه بكى خمسمائة سنة»[4].

وعن سعيد بن جناح، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كان اسم نوح عبد الأعلى، وإنما سمي نوحاً لأنه بكى خمسمائة عام»[5].

أقول: لا منافاة لتعدد الاسم، كما نشاهد من تعدد أسماء النبي والأئمة (عليهم السلام) وغيرهم.

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ليس شيء إلاّ وله

---

(١) الفقيه: ج٢ ص١٩٩، عقاب الأعمال: ص٥١.

(٢) المجالس: ص٣٠٨.

(٣) علل الشرائع: ص٢١.

(٤) علل الشرائع: ص٢١.

(٥) علل الشرائع: ص٢١.

شيء يعدله إلاّ الله، فإنه لا يعدله شيء، ولا إله إلاّ الله لا يعدله شيء، ودمعة من خوف الله فإنه ليس لها مثقال، فإن سالت على وجهه لم يرهقه قتر ولا ذلة بعدها أبداً»[1].

أقول: (مثقال) أي قدر ثقل يعرف، إذ لا يعرف ثقله في ميزان الحسنات إلاّ الله تعالى، ويعطي قائله من الثواب بقدر ذلك.

وعن إسماعيل بن أبي زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طوبى لصورة نظر الله إليها تبكي على ذنب من خشية الله، لم يطلع على ذلك الذنب غيره»[2].

وبهذا الإسناد، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كل عين باكية يوم القيامة إلاّ ثلاثة أعين، عين بكت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله»[3].

أقول: في بعض الروايات إضافة العين الباكية على الحسين (عليه السلام).

وعن أبي أيوب، عن الرضا (عليه السلام)، قال: «كان فيما ناجى الله به موسى (عليه السلام) أنه ما تقرب إليّ المتقربون بمثل البكاء من خشيتي، وما تعبّد لي المتعبدون بمثل الورع عن محارمي، ولا تزين في المتزينون بمثل الزهد في الدنيا عما يهمّ الغنى عنه، فقال موسى (عليه السلام): يا أكرم الأكرمين فما أثبتهم على ذلك، فقال: يا موسى أما المتقربون لي بالبكاء من خشيتي فهم في الرفيق الأعلى، لا يشركهم فيه أحد، وأما المتعبدون لي بالورع عن محارمي فإني لا أفتش النار عن أعمالهم، ولا أفتشهم حياءً منهم، وأما المتزينون لي (المتقربون إليّ خ ل) بالزهد في الدنيا، فإني أبيحهم (أمنحهم خ ل)

---

(١) ثواب الأعمال: ص٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص٩١.

(٣) ثواب الأعمال: ص٩٦.

الجنة بحذافيرها يتبوؤن منها حيث يشاؤون[1].

أقول: (فما أثبتهم) أي أثبت لهم من الثواب، (لا أفتش النار) فإن الأعمال المستحقة للنار تذهب إلى النار، كما تقدم في أن الغيبة إدام كلاب النار، و(لا أفتش) بمعنى لا ألحقهم بتلك الأعمال الموجودة في النار منهم، (حياءً) من باب (خذ الغايات).

وعن أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي العسكري (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال الصادق (عليه السلام): «إن الرجل ليكون بينه وبين الجنة أكثر مما بين الثرى إلى العرش لكثرة ذنوبه، فما هو إلاّ أن يبكي من خشية الله عز وجل ندماً عليها حتى يصير بينه وبينها أقرب من جفنه إلى مقلته»[2].

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من شيء إلاّ وله كيل ووزن إلاّ الدموع، فإن القطرة تطفي بحاراً من نار، فإذا اغرورقت العين بمائها لم يرهق وجهه قتر ولا ذلة، فإذا فاضت حرمها الله على النار، ولو أن باكياً بكى في أمة لرحموا»[3].

وعن محمد بن مروان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) نحوه، وزاد في أوله: «ما من عين إلاّ وهي باكية يوم القيامة إلاّ عيناً بكت من خوف الله، وما اغرورقت عين بمائها من خشية الله عز وجل إلاّ حرم الله سائر جسده على النار»[4].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من قطرة أحب الله عز وجل من قطرة دموع في سواد الليل مخافة من الله لا يراد بها غيره»[5].

---

(١) ثواب الأعمال: ص٩٤.

(٢) عيون الأخبار الرضا: ص١٧٩.

(٣) الأصول: ص٥٢٣، الفقيه: ج١ ص١٠٥.

(٤) الأصول: ص٥٢٣.

(٥) الأصول: ص٥٢٣.

وعن صالح بن رزين ومحمد بن مروان وغيرهما، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كل عين باكية يوم القيامة إلاّ ثلاثة أعين، عين غضت عن محارم الله، وعين سهرت في طاعة الله، وعين بكت في جوف الليل من خشية الله»[١].

وعن ابن أبي عمير، عن رجل من أصحابه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أوحى الله إلى موسى (عليه السلام): إن عبادي لم يتقربوا إلى بشيء أحب إلي من ثلاث خصال، قال موسى: يا رب وما هي، قال: يا موسى الزهد في الدنيا، والورع عن المعاصي، والبكاء من خشيتي، قال موسى: يا رب فما لمن صنع ذا، فأوحى الله إليه: يا موسى أما الزاهدون في الدنيا ففي الجنة، وأما البكاؤن في الدنيا من خشيتي ففي الرفيع الأعلى لا يشاركهم فيه أحد، وأما الورعون عن معاصيّ فإني أفتش الناس ولا أفتشهم»[٢].

أقول: أي تفتيشاً عن معاصيهم حتى يفضحوا بها أو يجازوا بالنار لأجلها.

فصل في وجوب حسن الظن بالله

عن أحمد بن عمر، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) في حديث قال: «فأحسن الظن بالله، فإن أبا عبد الله (عليه السلام) كان يقول: من حسن ظنه بالله كان عند ظنه به، ومن رضي بالقليل من الرزق قبل منه اليسير من العمل»[٣].

أقول: لأن الحق في قبال الواجب وبالعكس، والمراد من (اليسير) الأعمال الواجبة فقط، وهذا تحريض على القناعة وعدم الحرص.

وعن بريد بن معاوية، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: وجدنا في كتاب علي (عليه السلام): إن

(١) الأصول: ص٥٢٣.

(٢) الأصول: ص٥٢٣.

(٣) الأصول: ص٤٤٦.

رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال على منبره: «والذي لا إله إلاّ هو ما أعطي مؤمن قط خير الدنيا والآخرة إلاّ بحسن ظنه بالله ورجائه له، وحسن خلقه والكف عن اغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلاّ هو لا يعذب الله مؤمناً بعد التوبة والاستغفار إلاّ بسوء ظنه بالله وتقصير من رجائه له، وسوء خلقه واغتياب المؤمنين، والذي لا إله إلاّ هو لا يحسن ظن عبد مؤمن بالله إلاّ كان الله عند ظن عبده المؤمن، لأن الله كريم بيده الخير، يستحيي أن يكون عبده المؤمن قد أحسن به الظن ثم يخلف ظنه ورجاءه، فأحسنوا بالله الظن وارغبوا إليه»[1].

وعن سفيان بن عيينة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «حسن الظن بالله أن لا ترجو إلاّ الله، ولا تخاف إلاّ ذنبك»[2].

وعن سنان بن طريف، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «ينبغي للمؤمن أن يخاف الله خوفاً كأنه مشرف على النار، ويرجوه رجاءاً كأنه من أهل الجنة»، ثم قال: «إن الله تبارك وتعالى عند ظن عبده به إن خيراً فخيراً، وإن شراً فشراً»[3].

أقول: الظن الحسن عمل القلب، والأعمال كلها بذور تنمو وتثمر، فإذا كان الظن حسناً أثمر ما ذكر، وإن كان الظن سيئاً أثمر عكسه.

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده إلى وصية علي (عليه السلام) لمحمد بن الحنفية، قال: «ولا يغلبن عليك سوء الظن بالله عز وجل، فإنه لن يدع بينك وبين خليلك صلحاً»[4].

أقول: (خليلك) أي الله سبحانه.

---

(١) الأصول: ص٣٤٤.

(٢) الأصول: ص٣٤٤.

(٣) الروضة: ص٣٠٢.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٤٥.

وعن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن آخر عبد يؤمر به إلى النار فيلتفت فيقول الله جل جلاله: أعجلوه، فإذا أتي به قال له: عبدي لم التفت، فيقول: يا رب ما كان ظني بك هذا، فيقول الله جل جلاله: عبدي ما كان ظنك بي، فيقول: يا رب كان ظني بك أن تغفر لي خطيئتي وتدخلني جنتك، قال: فيقول الله جل جلاله: ملائكتي وعزتي وجلالي وآلائي وارتفاع مكاني ما ظن بي هذا ساعة من حياته خيراً قط، ولو ظن بي ساعة من حياته خيراً ما روعته بالنار، أجيزوا له كذبه وأدخلوه الجنة»، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما ظن عبد بالله خيراً إلاّ كان له عند ظنه، وما ظن به سوءاً إلاّ كان الله عند ظنه به، وذلك قول الله عز وجل: ﴿وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين ﴾[1]»[2].

أقول: الكلام مؤثر وإن لم يكن مطابقاً للقلب، كما أن القلب مؤثر وإن لم يكن مطابقاً للكلام، فالظن الحسن قلب لا كلام، وكلام هذا العاصي لفظ وإن لم يكن قلب، فلا يقال كيف أن الكذب يؤثر وليس بحقيقة، فإنه من جهة الكلامية حقيقة وإن لم يكن مطابقاً، هذا بالإضافة إلى ما يأتي في الحديث الآتي من نفع حسن ظنه في ذلك الوقت.

وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع، عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام)، قال: قال لي: «أحسن الظن بالله، فإن الله عز وجل يقول: أنا عند ظن عبدي بي فلا يظن بي إلاّ خيراً»[3].

وعن ابن رئاب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «يؤتى بعبد يوم القيامة ظالم لنفسه، فيقول الله: ألم آمرك بطاعتي، ألم أنهك عن معصيتي، فيقول: بلى يا رب، ولكن غلبت عليّ شهوتي، فإن تعذبني فبذنبي لم تظلمني، فيأمر الله به النار،

(١) سورة فصلت: ٢٣.

(٢) ثواب الأعمال: ص٩٤، المحاسن: ص٢٥.

(٣) عيون الأخبار الرضا: ص٢٦.

فيقول: ما كان هذا ظني بك، فيقول: ماكان ظنك بي، قال: كان ظني بك أحسن الظن، فيأمر الله به إلى الجنة، فيقول الله تبارك وتعالى: لقد نفعك حسن ظنك بي الساعة»[١].

فصل في استحباب ذم النفس وتأديبها

عن الحسن بن الجهم، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «إن رجلاً في بني إسرائيل عبد الله أربعين سنة، ثم قرب قرباناً فلم يقبل منه، فقال لنفسه: ما أتيت إلاّ منك، وما الذنب إلاّ لك، قال: فأوحى الله عز وجل اليه: ذمك لنفسك أفضل من عبادتك أربعين سنة»[٢].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «يا أسرى الرغبة أقصروا، فإن المعرّج على الدنيا ما لا يروعه منها إلاّ صريف أنياب الحدثان، أيها الناس تولوا من أنفسكم تأديبها واعدلوا بها عن ضراوة عاداتها»[٣].

وعن عبد الله بن الحسن، بإسناده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من مقت نفسه دون مقت الناس آمنه الله من فزع يوم القيامة»[٤].

أقول: (دون مقت الناس) أي مقت نفسه في سبيل الله، لا لأن الناس يمقتونه، كما أن الإنسان قد يغضب على إنسان لذاته، وقد يغضب عليه لأن الناس غاضبون عليه، إلى غير ذلك.

---

(١) المحاسن: ص٢٥.

(٢) الأصول: ص٣٤٥.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٩.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٩، الخصال: ج١ ص١١.

فصل في وجوب طاعة الله

عن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لا تذهب بكم المذاهب، فوالله ما شيعتنا إلاّ من أطاع الله عز وجل»[1].

أقول: أي لا تتصوروا أن التشيع بدون الطاعة ينفع الشيعي.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إنه لا يدرك ما عند الله إلاّ بطاعته»[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال لي: «يا جابر أيكتفي من ينتحل التشيع أن يقول بحبنا أهل البيت، فو الله ما شيعتنا إلاّ من اتقى الله وأطاعه، وما كانوا يعرفون يا جابر إلاّ بالتواضع والتخشع والأمانة وكثرة ذكر الله، والصوم والصلاة والبر بالوالدين والتعاهد للجيران من الفقراء وأهل المسكنة والغارمين والأيتام، وصدق الحديث وتلاوة القرآن، وكف الألسن عن الناس إلاّ من خير، وكانوا أمناء عشائرهم في الأشياء».

إلى أن قال: «أحب العباد إلى الله عز وجل أتقاهم وأعملهم بطاعته، يا جابر والله ما نتقرب إلى الله عز وجل إلاّ بالطاعة، وما معنا براءة من النار، ولا على الله لأحد من حجة، من كان لله مطيعاً فهو لنا ولي، ومن كان لله عاصياً فهو لنا عدو، وما تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»[3]

وعن عمرو بن خالد، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال في حديث: «والله ما معنا من الله براءة، ولا بيننا وبين الله قرابة، ولا لنا على الله حجة، ولا نتقرب إلى الله إلاّ بالطاعة، فمن كان منكم مطيعاً لله تنفعه ولايتنا، ومن كان منكم عاصياً لله لم تنفعه

---

(١) الأصول: ص٣٤٥.

(٢) الأصول: ص٣٤٥.

(٣) الأصول: ص٣٤٤.

ولايتنا، ويحكم لا تغتروا ويحكم لا تغتروا»[1].

وعن وهب بن وهب، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله جل جلاله: «يا بن آدم أطعني فيما أمرتك، ولا تعلمني ما يصلحك»[2].

أقول: قد يطلب الإنسان من الله شيئاً، وقد يقول: الشيء الفلاني أصلح لي، وهذا الثاني هو المنهي عنه، فهل الإنسان المحدود المدارك يعرف ما لا يعرفه الله تعالى.

وعن مروان بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: قال الله عز وجل: «أيما عبد أطاعني لم أكله إلى غيري، وأيما عبد عصاني وكلته إلى نفسه، ثم لم أبال في أي واد هلك»[3].

أقول: أي إنه سبحانه يترك عنايته الخاصة بالنسبة إليه حتى يهلك بسبب أية معصية من المعاصي، والمراد بالوادي تلك المعاصي، كما يقال: (فنحن بواد والعذول بواد).

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «إن الله عز وجل جعل الطاعة غنيمة الأكياس عند تفريط العجزة»[4].

وعن أبي بصير، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل ﴿اتقوا الله حق تقاته﴾[5]، قال: «يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، ويشكر فلا يكفر»[6].

---

(١) الأصول ص٣٤٥.

(٢) المجالس: ص١٩٣.

(٣) المجالس: ص٢٩٣.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٣.

(٥) سورة آل عمران: ١٠٢.

(٦) معاني الأخبار: ص٧١.

فصل في وجوب الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته

عن هشام بن الحكم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا كان يوم القيامة يقوم عنق من الناس فيأتون باب الجنة فيقال: من أنتم، فيقولون: نحن أهل الصبر، فيقال لهم: على ما صبرتم، فيقولون: كنا نصبر على طاعة الله، ونصبر عن معاصي الله، فيقول الله عز وجل: صدقوا أدخلوهم الجنة، وهو قول الله عز وجل: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾[1]»[2].

وعن الأصبغ، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «الصبر صبران، صبر عند المصيبة حسن جميل، وأحسن من ذلك الصبر عند ما حرم الله عليك، والذكر ذكران، ذكر الله عز وجل عند المصيبة، وأفضل من ذلك الله عند ما حرم الله عليك فيكون حاجزاً»[3].

وعن أبي حمزة، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «لما حضرت علي بن الحسين (عليه السلام) الوفاة ضمني إلى صدره وقال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي (عليه السلام) حين حضرته الوفاة، ومما ذكر أن أباه أوصاه به: يا بني اصبر على الحق وإن كان مراً»[4].

وعن أحمد بن أبي عبد الله، عن أبيه، رفعه عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الصبر صبران، صبر على البلاء حسن جميل، وأفضل الصبرين الورع عن المحارم»[5].

أقول: لعله (أفضل الصبرين) لأن الصبر على المعصية اختياري، حيث إن الإنسان يصبر وهو قادر على المعصية، بينما الصبر على البلاء غير اختياري، نعم يتمكن من الجزع لكن ترك العصيان أصعب من ترك الجزع، هذا بالإضافة

---

(١) سورة الزمر: ١٠.

(٢) الأصول: ص٣٤٥.

(٣) الأصول: ص٣٥٣.

(٤) الأصول: ص٣٥٣.

(٥) الأصول: ص٣٥٣.

إلى أن الصبر على عدم المعصية مستمر والصبر على البلاء وقتي غالباً.

وعن عثمان بن عيسى، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «اصبروا على الدنيا فإنما هي ساعة، فإن ما مضى منه لا تجد له ألماً ولا سروراً، وما لم يجئ فلا تدري ما هو، وإنما هي ساعتك التي أنت فيها، فاصبر فيها على طاعة الله، واصبر فيها عن معصية الله»(١).

وعن عمرو بن شمر اليماني، يرفع الحديث إلى علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الصبر ثلاثة، صبر عند المصيبة، وصبر عند الطاعة، وصبر عن المعصية، فمن صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله ثلاثمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين السماء والأرض، ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستمائة درجة، ما بين الدرجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش، ومن صبر عن المعصية كتب الله له تسعمائة درجة، ما بين درجة إلى الدرجة كما بين تخوم الأرض إلى منتهى العرش»(٢).

أقول: لا بعد في هذه المسافات، فإن الكون شاسع غريب، وقد كشفت حديثاً أنجم تبعد ثلاثة عشر مليارات سنة ضوئية، والإنسان هناك بحاجة إلى السعة حيث هناك يتحرك بالإرادة، وقد تقدم أن كل مؤمن يصبح ملكاً في الجنة، له من الرعية ما شاء الله سبحانه، رزقنا الله والمؤمنين لطفه ورحمته بمحمد وآله الطاهرين.

وعن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، إنه قال لبعض ولده: «يا بني إياك أن يراك الله في معصية نهاك عنها، وإياك أن يفقدك الله عند طاعة أمرك بها» الحديث(٣).

---

(١) الأصول: ص٣٥٣.

(٢) الأصول: ص٥١١.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٥٥.

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لي أبو جعفر (عليه السلام): «لما حضرت أبي الوفاة ضمني إلى صدره وقال: يا بني اصبر على الحق وإن كان مراً، توف أجرك بغير حساب»[1].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «الصبر صبران، صبر على ما تحب، وصبر على ما تكره»، ثم قال: «إن ولي محمد (صلى الله عليه وآله) من أطاع الله وإن بعدت لحمته، وإن عدو محمد (صلى الله عليه وآله) من عصى الله وإن قربت قرابته»[2].

قال: وقال (عليه السلام): «شتان بين عملين، عمل تذهب لذته وتبقى تبعته، وعمل تذهب مؤنته ويبقى أجره»[3].

قال: وقال (عليه السلام): «اتقوا معاصي الله في الخلوات، فإن الشاهد هو الحاكم»[4].

قال: وقال (عليه السلام): «إن الله وضع الثواب على طاعته، والعقاب على معصيته، ذيادة لعباده عن نقمته وحياشة لهم إلى جنته»[5].

أقول: (ذيادة) أي يذودهم ويبعدهم، و(حياشة) أي يطاردهم كما يطارد الصيد ليقع في الفخ.

قال: وقال (عليه السلام): «احذر أن يراك الله عند معصيته، أو يفقدك عند طاعته، فتكون من الخاسرين، فإذا قويت فاقو على طاعة الله، فإذا ضعفت فاضعت عن معصية الله»[6].

وعن محمد بن إدريس في (آخر السرائر) نقلاً من كتاب (العيون) و(المحاسن)

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٦.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٦٣.

(٤) نهج البلاغه: القسم الثاني ص١٧٠.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٢.

(٦) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٣٢.

للمفيد، قال: «أتى رجل أبا عبد الله (عليه السلام) فقال له: يا بن رسول الله أوصني، فقال: لا يفقدك الله حيث أمرك، ولا يراك حيث نهاك، قال: زدني، قال: لا أجد»[1].

أقول: كأنه أراد أنه في هذا البعد لا يجد، أو لا يجد غيره إطلاقاً، فإن المستحب أمر أيضاً، والمكروه معصية بالمعنى الأعم أي المخالفة، مثل ﴿عصى آدم ربه﴾، يقول الطبيب: أمرته فعصاني، أو أن أراد أن يبقى كلامه في ذهن السائل، فالاستكثار يوجب عدم الاهتمام، فمعنى لا أجد أي لا أجد لك، لا أنه لا يجد مطلقاً.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، قال: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد عن الله يقول: أين أهل الصبر، قال: فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة، فيقولون لهم: ما كان صبركم هذا الذي صبرتم، فيقولون: صبرنا أنفسنا على طاعة الله وصبرناها عن معصية الله، قال: فينادي مناد من عند الله: صدق عبادي خلوا سبيلهم ليدخلوا الجنة بغير حساب»[2].

أقول: بغير محاسبة في القيامة، أو يعطون الأجر بلا حساب، أو كلاهما، ظاهر الأدلة مختلف، ولعل الثالث جمع بين الأولين، إن الله يعرف الحساب لكن الإنسان لا يعرفه، فربما يقال لزيد: خذ ألف درهم، وربما يقال له: خذ بلا حساب.

فصل في وجوب تقوى الله

عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «لا يقل

(١) السرائر: ص٤٨٧.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص٦٣.

عمل مع تقوى، وكيف يقل ما يتقبل»[1].

وعن مفضل بن عمر، قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فذكرنا الأعمال، فقلت أنا: ما أضعف عملي، فقال: «مه استغفر الله»، ثم قال لي: «إن قليل العمل مع التقوى خير من كثير بلا تقوى»، قلت: كيف يكون كثير بلا تقوى، قال: «نعم مثل الرجل يطعم طعامه ويرفق جيرانه ويوطي رحله فإذا ارتفع له الباب من الحرام دخل فيه فهذا العمل بلا تقوى، ويكون الآخر ليس عنده فإذا ارتفع له الباب من الحرام لم يدخل فيه»[2].

وعن يعقوب بن شعيب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «ما نقل الله عبداً من ذل المعاصي إلى عز التقوى إلاّ أغناه من غير مال، وأعزه من غير عشيرة، وآنسه من غير بشر»[3].

أقول: (ما نقل) لأن النقل إنما يكون بتوفيقه، (أغناه) لأنه تغني نفسه اعتماداً عليه سبحانه، و(أعزه) حيث الناس يرون التقي عزيزاً، و(آنسه) لأنه يتوجه إلى خير جليس وهو الله سبحانه.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: من ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من خير الزاد التقوى»[4].

وعن الهيثم بن واقد، قال: سمعت الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) يقول: «من أخرجه الله عزوجل من ذل المعاصي إلى عز التقوى أغناه الله بلا مال، وأعزه بلا عشيرة، وآنسه بلا أنيس، ومن خاف الله أخاف الله منه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه

---

(١) الأصول: ص٣٤٥، مجالس ابن الشيخ: ص٣٨.

(٢) الأصول: ص٣٤٥.

(٣) الأصول: ص٣٤٥.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٤٢.

الله من كل شيء، ومن رضي من الله باليسير من الرزق رضي منه باليسير من العمل، ومن لم يستحي من طلب المعاش خفت مؤنته ونعم أهله، ومن زهد في الدنيا أثبت الله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا داءها ودواءها، وأخرجه من الدنيا سالماً إلى دار السلام»[(١)].

أقول: تقدم الكلام حول (أخاف الله منه كل شيء) وحول (من رضي) و(خفت مؤنته) لأنه يستربح ويصرف فلا تشتد عليه معيشته.

وعن الوليد بن عباس، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «الحسب الفعال، والشرف المال، والكرم التقوى»[(٢)].

أقول: الحسب فعل الإنسان، يقال له حسب، لأنه يحسب له عند العرف في قبال النسب، والشرف المال، لا أنه من عشيرة فلان، وهذا تحريض لتحصيل الإنسان المال حتى لا يكون كلاً على الناس.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال في خطبة له: «ألا وإن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها، وخلعت لجمها فتقحمت بهم في النار، ألا وإن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها، وأعطوا أزمتها فأوردتهم الجنة»[(٣)].

أقول: (شمس) جمع شموس، وهي الصعبة التي تسير بلا ائتمار بأمر راكبها، وتتقحم المهالك، وإنما تشبه الخطايا بها، لأن الهوى لا قيادة صحيحة لها، بخلاف العقل حيث يقود بتوئدة وحكمة.

قال: وقال (عليه السلام): «اتق الله بعض التقى وإن قل، واجعل بينك وبين الله ستراً

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٢) معاني الأخبار: ص١١٥.

(٣) نهج البلاغة: القسم الأول ص٥٤.

وإن رق»[1].

أقول: (وإن رق) حتى لا تكون مفضوحاً أمامه سبحانه، كمن يكون بينه وبين غيره ستر كثيف أو رقيق، ومن يكون لا ستر له إطلاقاً، حيث إن الثالث مفضوح لا قيمة له.

فصل في وجوب الورع

عن ابن رئاب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال: «إنا لا نعد الرجل مؤمناً حتى يكون لجميع أمرنا متبعاً مريداً، ألا وإن من اتباع أمرنا وإرادته الورع، فتزينوا به يرحمكم الله، وكيدوا أعداءنا به ينعشكم الله»[2].

أقول: فإن أفضل كبت للعدو أن يكون الإنسان ورعاً حيث لا يجد فيه مغمزاً.

وعن عمرو بن سعيد بن هلال الثقفي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، واعلم أنه لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه»[3].

وعن حفص بن غياث، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الورع، فقال: «الذي يتورع عن محارم الله عز وجل»[4].

وعن يزيد بن خليفة، قال: وعظنا أبو عبد الله (عليه السلام) فأمر وزهد، ثم قال: «عليكم بالورع فإنه لا ينال ما عند الله إلاّ بالورع»[5].

أقول: من الممكن أن يكون الإنسان زاهداً لا يرغب في الدنيا، ولكنه

---

(١) نهج البلاغه: القسم الثاني ص١٨٩.

(٢) الأصول: ص٣٤٧.

(٣) الأصول: ص٣٤٥.

(٤) الأصول: ص٣٤٦.

(٥) الأصول: ص٣٤٦.

يرتكب الحرام أحياناً، ولذا أمر الإمام بالورع بعد التزهيد.

وعن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «لا ينفع اجتهاد لا ورع فيه»[1].

وعن فضيل بن يسار، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «إن أشد العبادة الورع»[2].

وعن حديد بن حكيم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «اتقوا الله وصونوا دينكم بالورع»[3].

أقول: تقدم الفرق بين الورع والتقوى.

وعن حنان بن سدير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) في حديث: «إنما أصحابي من اشتد ورعه، وعمل لخالقه، ورجا ثوابه، هؤلاء أصحابي»[4].

وعن أبي سادة الغزال، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «قال الله عز وجل: ابن آدم اجتنب ما حرمت عليك تكن من أورع الناس»[5].

وعن أبي أسامة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «عليك بتقوى الله، والورع والاجتهاد، وصدق الحديث، وأداء الأمانة، وحسن الخلق، وحسن الجوار، وكونوا دعاة إلى أنفسكم بغير ألسنتكم، وكونوا زيناً ولا تكونوا شيناً، وعليكم بطول الركوع والسجود، فإن أحدكم إذا أطال الركوع والسجود هتف إبليس من خلفه، وقال: يا ويله أطاع وعصيت، وسجد وأبيت»[6].

أقول: (أنفسكم) أي طريقتكم، فإن الدعوة إلى الطريقة دعوة إلى النفس.

وعن علي بن أبي زيد، عن أبيه، قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) فدخل عليه

(١) الأصول: ص٣٤٦.

(٢) الأصول: ص٣٤٦.

(٣) الأصول: ص٣٤٦.

(٤) الأصول: ص٣٤٦.

(٥) الأصول: ص٣٤٦.

(٦) الأصول: ص٣٤٦.

عيسى بن عبد الله القمي، فرحب به وقرب مجلسه، ثم قال: «يا عيسى بن عبد الله، ليس منا ولا كرامة من كان في مصر فيه مائة ألف أو يزيدون وكان في ذلك المصر أحد أورع منه»[١].

وعن أبي الصباح الكناني، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أعينونا بالورع، فإنه من لقي الله عز وجل منكم بالورع كان له عند الله عز وجل فرجاً» الحديث[٢].

وعن ابن أبي يعفور، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام)، قال: «كونوا دعاة للناس بغير ألسنتكم، ليروا منكم الورع والاجتهاد والصلاة والخير، فإن ذلك داعية»[٣].

وعن عبيد الله بن علي، عن أبي الحسن الأول (عليه السلام)، قال: «كثيراً ما كنت أسمع أبي (عليه السلام) يقول: ليس من شيعتنا من لا تتحدث المخدرات بورعه في خدورهن، وليس من أوليائنا من هو في قرية فيها عشرة آلاف رجل فيهم خلق لله أورع منه»[٤].

أقول: يعني يلزم أن يكون ورعه مشهوراً بين الناس حتى أن المخدرات اللواتي هن أقل الناس اطلاعاً عادة، يتحدثن بورعه.

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي ثلاثة من لقي الله عز وجل بهن فهو من أفضل الناس، من أتى الله عز وجل بما افترض عليه فهو من أعبد الناس، ومن ورع عن محارم الله فهو من أورع الناس، ومن قنع بما رزقه الله فهو من أغنى الناس»، ثم قال: «يا علي ثلاث من لم يكن فيه لم يتم عمله، ورع يحجزه عن معاصي الله، وخلق يداري به الناس، وحلم يرد به جهل الجاهل» (الجهال خ ل)، إلى أن قال:

---

(١) الأصول: ص٣٤٦.

(٢) الأصول: ص٣٤٦.

(٣) الأصول: ص٣٤٧.

(٤) الأصول: ص٣٤٧.

«يا علي الإسلام عريان ولباسه الحياء، وزينته العفاف، ومروته العمل الصالح، وعماده الورع»[1].

أقول: (العفة) أن يترك ما يشينه، و(الحياء) أن يلاحظ عدم اطلاع الناس على عورته، ولذا كان بينهما من وجه.

وعن إبراهيم الكرخي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «لا يجمع الله لمؤمن الورع والزهد في الدنيا إلاّ رجوت له الجنة» الحديث[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «لا تنال ولايتنا إلاّ بالعمل والورع»[3].

وعن أبي زيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، إنه قال: «ليس من شيعتنا من يكون في مصر يكون فيه مائة ألف ويكون في المصر أورع منه»[4].

أقول: أي ليس من كمل الشيعة.

وعن محمد بن عمر بن حنظلة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ليس من شيعتنا من قال بلسانه وخالفنا في أعمالنا وآثارنا، ولكن شيعتنا من وافقنا بلسانه وقلبه واتبع آثارنا وعمل بأعمالنا أولئك شيعتنا»[5].

أقول: الأثر ما يبقى بعد الإنسان، فهم (عليهم السلام) كانوا يعملون، مثلاً يصلون ويصومون، ويبقون الأثر فكانوا ينشرون العلم والأخلاق مما يبقى بعدهم وترثها الأجيال.

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٣٦.

(٢) ثواب الأعمال: ص٧٤.

(٣) صفات الشيعة: ص٧.

(٤) السرائر: ص٤٨٤.

(٥) السرائر: ص٤٨٤.

وعن كليب بن معاوية الأسدي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أما والله إنكم لعلى دين الله وملائكته، فأعينونا على ذلك بورع واجتهاد، عليكم بالصلاة والعبادة، عليكم بالورع»[1].

وعن أحمد بن محمد المنصوري، عن عم أبيه، عن الإمام علي بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن الصادق (عليه السلام)، إنه قال: «عليكم بالورع، فإنه الدين الذي نلازمه وندين الله تعالى به ونريده ممن يوالينا، لا تتعبونا بالشفاعة»[2].

وبهذا الاسناد عن علي بن محمد، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: دخل سماعة بن مهران على الصادق (عليه السلام) فقال له: «يا سماعة» وذكر الحديث إلى أن قال: «والله لا يدخل النار منكم أحد، فتنافسوا في الدرجات، وأكمدوا عدوكم بالورع»[3].

أقول: (منكم) المخاطبون كانوا من الشيعة المتقين.

فصل في وجوب العفة

عن منصور بن حازم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما عبادة أفضل عند الله من عفة بطن وفرج»[4].

وعن حنان بن سدير، عن أبيه، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «أفضل العباة عفة البطن والفرج»[5].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من عفة بطن

---

(١) مجالس ابن الشيخ: ص٢٠.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص١٧٦.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص١٨٥.

(٤) الأصول: ص٣٤٧.

(٥) الأصول: ص٣٤٨.

وفرج»[1].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أكثر ما تلج به أمتي النار الأجوفان، البطن والفرج»[2].

وبإسناده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث أخافهن بعدي على أمتي، الضلالة بعد المعرفة، ومضلات الفتن، وشهوة البطن والفرج»[3].

أقول: (الضلالة) بالانحراف عن أصول الدين، و(مضلات الفتن) بأن يفتتن فيضل في فروع الدين، مثلاً يحلل الغناء أو الربا أو ما أشبه.

وعن أبي بصير، قال: قال رجل لأبي جعفر (عليه السلام): إني ضعيف العمل، قليل الصيام، ولكني أرجو أن لا آكل إلاّ حلالاً، قال: فقال له: «أي الاجتهاد أفضل من عفة بطن وفرج»[4].

وعن عبد الله بن ميمون القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «أفضل العبادة العفاف»[5].

وعن ميمون القداح، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «ما من عبادة أفضل من عفة بطن وفرج»[6].

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية، قال: «ومن لم يعط نفسه شهوتها أصاب رشده»[7].

---

(١) الأصول: ص٣٤٧.

(٢) الأصول: ص٣٤٧.

(٣) الأصول: ص٣٤٧.

(٤) الأصول: ص٣٤٧.

(٥) الأصول: ص٣٤٧.

(٦) الأصول: ص٣٤٧.

(٧) الفقيه: ج٢ ص٣٤٧.

وعن أنس قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من ضمن لي اثنين ضمنت له على الله الجنة، من ضمن لي ما بين لحييه وما بين رجليه ضمنت له على الله الجنة، يعني ضمن لي لسانه وفرجه»[1].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: «من كف أذاه عن جاره أقاله الله عثرته يوم القيامة، ومن عف بطنه وفرجه كان في الجنة ملكاً محبوراً، ومن أعتق نسمة مؤمنة بنى له بيت في الجنة»[2].

وفي (عقاب الأعمال) بإسناد تقدم في عيادة المريض، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في خطبة له: «ومن قدر على امرأة أو جارية حراماً فتركها مخافة الله، حرم الله عليه النار وآمنه من الفزع الأكبر وأدخله الجنة، فإن أصابها حراماً حرم الله عليه الجنة وأدخله النار»[3].

أقول: لعل الجارية الصغيرة أو الأمة، والمرأة الكبيرة أو الحرة.

وعن المفضل، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إنما شيعة جعفر من عف بطنه وفرجه، واشتد جهاده وعمل لخالقه، ورجا ثوابه وخاف عقابه، فإذا رأيت أولئك فأولئك شيعة جعفر»[4].

وعن محمد بن الحسين الرضي الموسوي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «قدر الرجل على قدر نعمته، وصدقه على قدر مروته، وشجاعته على قدر أنفته، وعفته على قدر غيرته»[5].

أقول: كم عنده من نعمة فذلك قدره، لأن الله لا ينعم إلاّ بقدر القابلية،

---

(١) معاني الأخبار: ص١١٧.

(٢) المجالس: ص٣٢٩.

(٣) عقاب الأعمال: ص٤٨.

(٤) صفات الشيعة: ص٧.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٥.

أما إذا حصل من الحرام فتلك بلية وليست بنعمة، وكم عنده من مروة فهو قدر صدقه لأن الإنسان بقدر مروته يصدق، فإذا كان ضعيف المروة كان ضعيف الصدق، أي يصدق أحياناً ويكذب أحياناً، وكم يأنف ويترفع عن المذلة فبقدره يكون شجاعاً مقداماً، وهكذا الغيرة والعفة.

فصل في وجوب اجتناب المحارم

عن إبراهيم بن عمر اليماني، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «كل عين باكية يوم القيامة غير ثلاث، عين سهرت في سبيل الله، وعين فاضت من خشية الله، وعين غضت عن محارم الله»[١].

وعن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من أشد ما فرض الله على خلقه ذكر الله كثيراً»، ثم قال: «لا أعني سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، وإن كان منه، ولكن ذكر الله عند ما أحل وحرم، فإن كان طاعة عمل بها، وإن كان معصية تركها»[٢].

وعن سليمان بن خالد، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام)، عن قول الله عز وجل: ﴿وقدمنا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً﴾[٣]، قال: «أما والله إن كانت أعمالهم أشد بياضاً من القباطي ولكن كانوا إذا عرض لهم الحرام لم يدعوه»[٤].

أقول: جمع قبطي، ثوب كان أبيض جداً.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من ترك معصية لله مخافة الله تبارك وتعالى أرضاه يوم القيامة»[٥].

---

(١) الأصول: ص٣٤٨.

(٢) الأصول: ص٣٤٨.

(٣) سورة الفرقان: ٢٣.

(٤) الأصول: ص٣٤٨.

(٥) الأصول: ص٣٤٨.

وبإسناده الآتي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في رسالته إلى أصحابه قال: «وإياكم أن تشره أنفسكم إلى شيء حرم الله عليكم، فإن من انتهك ما حرم الله عليه ههنا في الدنيا حال الله بينه وبين الجنة ونعيمها ولذتها وكرامتها القائمة الدائمة لأهل الجنة أبد الآبدين»، إلى أن قال: «وإياكم والإصرار على شيء مما حرم الله في القرآن ظهره وبطنه، وقد قال: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾[1]»[2].

أقول: (ظهره) المعاصي الظاهرة أمام الناس، (بطنه) المخفية عن الناس، قال سبحانه: ﴿ذروا ظاهر الإثم وباطنه﴾[3]، وفيه بعض التفاسير الأخر.

وعن أحمد بن محمد بن عيسى، قال: حدثني جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده، عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يقول الله تبارك وتعالى لابن آدم: إن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تنظر، وإن نازعك لسانك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق فلا تتكلم، وإن نازعك فرجك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقين فأطبق ولا تأت حراماً»[4].

أقول: طبقا الفرج الفخذان أماماً، والأليان خلفاً.

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي ثلاث لا تطيقها هذه الأمة، المواساة للأخ في ماله، وإنصاف الناس من نفسه، وذكر الله على كل حال، وليس هو سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، ولكن إذا ورد على ما يحرم

---

(١) سورة آل عمران: ١٣٥.

(٢) الروضة: ص٤.

(٣) سورة الأنعام: ١٢٠.

(٤) الروضة: ص١١٩.

عليه خاف الله عز وجل عنده وتركه»[1].

أقول: تقدم أن المراد بـ (لا تطيق) الصعوبة، وذلك تحريض على لزوم شدة الحفظ والوقاية عن الانزلاق.

وفي (عيون الأخبار) بأسانيد تقدمت في إسباغ الوضوء، عن الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا تزال أمتي بخير ما تحابوا وتهادوا، وأدوا الأمانة، واجتنبوا الحرام، وقروا الضيف، وأقاموا الصلاة، وآتوا الزكاة، فإذا لم يفعلوا ذلك ابتلوا بالقحط والسنين»[2].

وعن زيد الشحام، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما ابتلي المؤمن بشيء أشد عليه من خصال ثلاث يحرمها»، قيل: وما هي، قال: «المواساة في ذات يده، والإنصاف من نفسه، وذكر الله كثيراً، أما إني لا أقول لكم: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، ولكن ذكر الله عند ما أحل له وعند ما حرم عليه»[3].

أقول: (يحرمها) بصيغة المجهول، أي يحرم منها غالباً.

وعن حسين البزار، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «ألا أحدثك بأشد ما فرض الله عز وجل على خلقه»، قلت: بلى، قال: «إنصاف الناس من نفسك، ومواساتك لأخيك، وذكر الله في كل موطن، أما إني لا أقول: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر، وإن كان هذا من ذاك، ولكن ذكر الله في كل موطن إذا هجمتَ على طاعة أو معصية»[4].

وعن جارود أبي المنذر الكندي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أشد الأعمال ثلاثة، إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى لها منهم بشيء إلاّ رضيت لهم منها بمثله،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٣٦.

(٢) عيون الأخبار: ص١٩٨.

(٣) معاني الأخبار: ص٥٩، الأصول: ص٣٨١.

(٤) معاني الأخبار: ص٥٩، الأصول: ص٣٨١.

ومواساتك الأخ في المال، وذكر الله على كل حال، ليس سبحان الله والحمد لله ولا إله إلاّ الله والله أكبر فقط، ولكن إذا ورد عليك شيء أمر الله به أخذت به، وإذا ورد عليك شيء نهى عنه تركته»[1].

وعن محمد بن حمران، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من قال: لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلاّ الله عما حرم الله»[2].

وعن مسعدة بن زياد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «من أطاع الله فقد ذكر الله وإن قلت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن، ومن عصى الله فقد نسي الله وإن كثرت صلاته وصيامه وتلاوته للقرآن»[3].

أقول: المراد بالنسيان الترك، مثل ﴿إنا نسيناكم﴾[4] مع أن الله لا ينسى.

وعن زيد بن أرقم، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «من قال: لا إله إلاّ الله مخلصاً دخل الجنة، وإخلاصه أن يحجزه لا إله إلاّ الله عما حرم الله»[5].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (أبي جعفر خ ل) (عليهما السلام)، قال: «من أشد ما عمل العباد انصاف المرء من نفسه، ومواساة المرء أخاه، وذكر الله على كل حال»، قال: قلت: أصلحك الله وما وجه ذكر الله على كل حال، قال: «يذكر الله عند المعصية يهمّ بها فيحول ذكر الله بينه وبين تلك المعصية، وهو قول الله: ﴿إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون﴾[6]»[7].

وعن أبي بصير، قال: قال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): «من أقام فرائض الله واجتنب محارم الله وأحسن الولاية لأهل بيتي وتبرأ من أعداء الله فليدخل من أي

(١) معاني الأخبار: ص٥٩، الأصول: ص٣٩٤.

(٢) معاني الأخبار: ص١٠٥.

(٣) معاني الأخبار: ص١١٣.

(٤) سورة السجدة: ١٤.

(٥) معاني الأخبار: ص١٠٥، ثواب الأعمال: ص٤.

(٦) سورة الأعراف: ٢٠١.

(٧) معاني الأخبار: ص١١٣.

أبواب الجنة الثمانية شاء»[1].

أقول: لعل الأبواب ثمانية لأن الحواس خمس، ويضاف البطن والفرج وعمل القلب، وأبواب النار سبعة لأن الشم لا كبيرة له حتى يدخل الإنسان به النار، فإذا كانت الطاعات متساوية دخل من أي الثمانية، أو المعاصي كذلك من أي السبعة، وإذا كان بعضها أكثر دخل من الباب المرتبط به، والعلم عند الله سبحانه.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس، ومن اجتنب ما حرم الله عليه فهو من أعبد الناس، ومن قنع بما قسم الله له فهو من أغنى الناس»[2].

وعن زيد الشحام، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «احذروا سطوات الله بالليل والنهار»، فقلت: وما سطوات الله، قال: «أخذه على المعاصي»[3].

فصل في وجوب أداء الفرائض

عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): «من عمل بما افترض الله عليه فهو من خير الناس»[4].

وعن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾[5]، قال: «اصبروا على الفرائض، وصابروا على المصائب، ورابطوا على

(١) المجالس: ص٢٨٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٥.

(٤) الأصول: ص٣٤٨.

(٥) سورة آل عمران: ٢٠٠.

الأئمة»[1].

أقول: هذا من باب التأويل أو بعض المصاديق، وإنما ظاهره أن يصبر هو، وأن يصابر كل واحد منهما الآخر، وأن يرابطوا في الثغور في سبيل الله، وهو مصداق آخر من الصبر، كما أن (واتقوا) في خاتمة الآية أيضاً مصداق من مصاديق الصبر.

وعن أبي السفاتج: «واتقوا الله ربكم فيما افترض عليكم»[2].

وعن محمد الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال الله تبارك وتعالى: «ما تحبب إليّ عبدي بأحب مما افترضت عليه»[3].

وعن عبد الله بن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿اصبروا وصابروا ورابطوا﴾[4] قال: «اصبروا على الفرائض»[5].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اعمل بفرائض الله تكن أتقى الناس»[6].

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «من عمل بما افترض الله عليه فهو من أعبد الناس»[7].

وعن محمد بن الحسين الرضي الموسوي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «إن الله فرض عليكم فرائض فلا تضيعوها، وحدّ لكم حدوداً فلا تعتدوها، ونهاكم عن أشياء فلا تنتهكوها، وسكت لكم عن أشياء ولم يدعها

---

(١) الأصول: ص٣٤٨.

(٢) الأصول: ص٣٤٨.

(٣) الأصول: ص٣٤٨.

(٤) سورة آل عمران: ٢٠٠.

(٥) الأصول: ص٣٤٨.

(٦) الأصول: ص٣٤٨.

(٧) الأصول: ص٣٤٩.

نسياناً فلا تتكلفوها»[1].

أقول: (حد) أي الأحكام، فإن الإنسان يقف إلى تلك الحدود، سواء في البيع أو الإرث أو القضاء أو الديات أو غيرها. (نهاكم) أي المحرمات، و(سكت) فإن كل شيء مطلق فلا يلزم على الإنسان الاحتياط وإنما هي مباحة.

وعن السكوني، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اعمل بفرائض الله تكن من أتقى الناس، وارض بقسم الله تكن من أغنى الناس، وكف عن محارم الله تكن من أورع الناس، وأحسن مجاورة من يجاورك تكن مؤمناً، وأحسن مصاحبة من صاحبك تكن مسلماً»[2].

أقول: المجاورة أقل من الصحبة وأشد، لأنها دائمة، ولذا فالحسن فيها علامة الإيمان، ومن المعلوم أن الإيمان أخص من الإسلام.

فصل في استحباب الصبر في جميع الأمور

عن حفص بن غياث، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ياحفص إن من صبر صبر قليلاً، وإن من جزع جزع قليلاً» ثم قال: «عليك بالصبر والرفق، فقال: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجراً جميلاً * وذرني والمكذبين أولي النعمة﴾[3]، وقال: ﴿ادفع بالتي هي أحسن السيئة فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم * وما يلقيها إلاّ الذين صبروا وما يلقيها إلاّ ذو حظ عظيم﴾[4]، فصبر حتى نالوه بالعظائم ورموه بها، فضاق صدره فأنزل الله عليه: ﴿ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون * فسبح بحمد

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٦٦.

(٢) مجالس ابن الشيخ: ص٧٥.

(٣) سورة المزمل: ١٠ . ١١.

(٤) سورة فصلت: ٣٤ . ٣٥.

ربك وكن من الساجدين﴾[١].

ثم كذبوه ورموه فحزن لذلك، فأنزل الله: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون * ولقد كذبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا﴾[٢]، فألزم النبي (صلى الله عليه وآله) نفسه الصبر، فتعدوا فذكروا الله تبارك وتعالى فكذبوه فقال: قد صبرت في نفسي وأهلي وعرضي ولا صبر لي على ذكر إلهي، فأنزل الله عز وجل: ﴿فاصبر على ما يقولون﴾[٣] فصبر في جميع أحواله.

ثم بشر في عترته بالأئمة (عليهم السلام) ووصفوا بالصبر، فقال جل ثناؤه: ﴿وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾[٤]، فعند ذلك قال النبي (صلى الله عليه وآله): الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، فشكر الله ذلك له فأنزل الله: ﴿وتمت كلمة ربك الحسنى على بني إسرائيل بما صبروا ودمرنا ما كان يصنع فرعون وقومه وماكانوا يعرشون﴾[٥] فقال: إنه بشرى وانتقام.

فأباح الله له قتال المشركين، فأنزل الله: ﴿فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد﴾[٦] ﴿واقتلوهم حيث ثقفتموهم﴾[٧] فقتلهم الله على يدي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأحبائه وجعل له ثواب صبره مع ما ادخر له في الآخرة، فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يقر الله له عينه في أعدائه مع ما يدخر له في الآخرة»[٨].

أقول: (من صبر) و(من جزع) أي اصبر فزمان الصبر قليل وأثره الحسن يبقى أبداً، ولا تجزع فزمان الجزع قليل وأثره السيء يبقي أبداً، (كالرأس من الجسد) فكما أنه إذا قطع الرأس لا فائدة في الجسد، كذلك إذا ذهب الصبر لا فائدة في الإيمان، ولا يأتي منه ما يأتي من الإيمان المقارن للصبر.

---

(١) سورة الحجر: ٩٧ ـ ٩٨.

(٢) سورة الأنعام: ٣٣ ـ ٣٤.

(٣) سورة طه: ١٣٠، سورة ق: ٣٩.

(٤) سورة السجدة: ٢٤.

(٥) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٦) سورة التوبة: ٥.

(٧) سورة البقرة: ١٩١، سورة النساء: ٩١.

(٨) الأصول: ص٣٥١.

وعن العزرمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سيأتي على الناس زمان لا ينال فيه الملك إلاّ بالقتل» إلى أن قال: «فمن أدرك ذلك الزمان فصبر على الفقر وهو يقدر على الغنى، وصبر على البغضة وهو يقدر على المحبة، وصبر على الذل وهو يقدر على العز، آتاه الله ثواب خمسين صديقاً ممن صدق بي»[١].

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد بن الحنفية، قال: «ألق عنك واردات الهموم بعزائم الصبر، عود نفسك الصبر فنعم الخلق الصبر، واحملها على ما أصابك من أهوال الدنيا وهمومها»[٢].

أقول: (واردات الهموم) فإذا صبر الإنسان لايؤثر فيه الهم، لأنه ينتظر الفرج ويعلم أنه يزول، و(احملها) أي احمل نفسك بسبب الصبر.

وعن عبد الله بن ميمون، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال الفضل بن عباس في حديث، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن استطعت أن تعمل بالصبر مع اليقين فافعل، فإن لم تستطع فاصبر، فإن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، ﴿فإن مع العسر يسراً * إن مع العسر يسراً﴾[٣]»[٤].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إني لأصبر من غلامي هذا ومن أهلي على ما هو أمر من الحنظل، إنه من صبر نال بصبره درجة الصائم القائم، ودرجة الشهيد الذي قد ضرب بسيفه قدام محمد

---

(١) الأصول: ص٣٥٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٤٥.

(٣) سورة الشرح: ٥ ـ ٦.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٥٨.

(صلى الله عليه وآله)»[1].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «لا يعدم الصبور الظفر، وإن طال به الزمان»[2].

قال: وقال (عليه السلام): «من لم ينجه الصبر أهلكه الجزع»[3].

قال: وقال (عليه السلام): «الصبر يناضل الحدثان، والجزع من أعوان الزمان»[4].

أقول: (يناضل) أي يحارب مشكلات الحدثين، وهما الليل والنهار، فيدفعها، لأن الصبر يرجح على المشكلات.

(من أعوان الزمان) أي على الإنسان، فإذا جزع كان جزعه مشكلة ترد عليه علاوة على مشكلة الزمان من فقر ونحوه، فالجزع لأنه لا ينفع في دفع المشكلة بل يزيد مشكلة على مشكلة.

والحسن بن محمد الديلمي في (الإرشاد)، عن الصادق (عليه السلام)، إنه جاءت إليه امرأة فقالت: إن ابني سافر عني وقد طالت غيبته عني واشتد شوقي إليه فادع الله لي، فقال لها: «عليك بالصبر»، فاستعملته ثم جاءت بعد ذلك فشكت إليه طول غيبة ابنها، فقال لها: «ألم أقل لك عليك بالصبر»، فقالت: يا بن رسول الله كم الصبر، فو الله لقد فنى الصبر، فقال: «ارجعي إلى منزلك تجدي ولدك قد قدم من سفره»، فنهضت فوجدته قد قدم، فأتت به إليه فقالت: أوحي بعد رسول الله، قال: «لا، ولكن عند فناء الصبر يأتي الفرج، فلما قلت فنى الصبر عرفت أن الله قد فرج

---

(١) ثواب الأعمال: ص١٠٧.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٨٣.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٨٧.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩٢.

عنك بقدوم ولدك»[1].

أقول: وقد علم الإمام (عليه السلام) أنها صادقة في نفاد صبرها، وإلا فليس كل أحد يقول: فنى صبري، فنى صبره ويأتيه الفرج عند قوله أو زعمه ذلك.

فصل في استحباب الحلم

أقول: الحلم عن الغير، والصبر أعم.

عن محمد بن عبد (عبيد خ ل) الله، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «لا يكون الرجل عابداً حتى يكون حليماً، وإن الرجل كان إذا تعبد في بني إسرائيل لم يعد عابداً حتى يصمت قبل ذلك عشر سنين»[2].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: كان علي بن الحسين (عليه السلام) يقول: «إنه ليعجبني الرجل أن يدركه حلمه عند غضبه»[3].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله يحب الحيي الحليم العفيف المتعفف»[4].

أقول: (المتعفف) الذي إذا لم يكن ذاتاً عفيفاً التزم بالعفة، وسيأتي شبه ذلك في (الحلم) و(التحلم)، قال الشاعر: (ولن تستطيع الحلم حتى تحلما)، فإن الملكات إنما تحصل بالتدريج.

وعن حفص بن أبي عايشة، قال: بعث أبو عبد الله (عليه السلام) غلاماً له في حاجة فأبطأ فخرج على أثره لما أبطأه، فوجده نائماً، فجلس عند رأسه يروحه حتى انتبه،

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٠٩.

(٢) الأصول: ص٣٦٣.

(٣) الأصول: ص٣٦٣.

(٤) الأصول: ص٣٦٤.

فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «يا فلان والله ما ذلك لك، تنام الليل والنهار، لك الليل ولنا منك النهار»[1].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الله يحب الحيي الحليم»[2].

وعنهم، عن ابن خالد ، عن علي بن حفص، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما أعز الله بجهل قط، ولا أذل بحلم قط»[3].

وعنه، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «كفى بالحلم ناصراً»، وقال: «إذا لم تكن حليماً فتحلم»[4].

وعن سعيد بن يسار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا وقع بين رجلين منازعة نزل ملكان فيقولان للسفيه منهما: قلت وقلت وأنت أهل لما قلت، وستجزي بما قلت، ويقولان للحليم منهما: صبرت وحلمت سيغفر لك إن أتممت ذلك، وإن رد الحليم عليه ارتفع الملكان»[5].

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي ألا أخبركم بأشبهكم بي خلقاً، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أحسنكم خلقاً، وأعظمكم حلماً، وأبركم بقرابته، وأشدكم من نفسه إنصافاً»[6].

أقول: (خلقاً) في الأول الأعم من حسن الخلق، فإن (الخلق) يستعمل في مطلق سيرة الإنسان.

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كلمتان

(١) الأصول: ص٣٦٤.

(٢) الأصول: ص٣٦٣.

(٣) الأصول: ص٣٦٣.

(٤) الأصول: ص٣٦٣.

(٥) الأصول: ص٣٦٤.

(٦) الأصول: ص٣٦٤.

غريبتان فاحتملوهما، كلمة حكمة من سفيه فاقبلوها، وكلمة سفه من حكيم فاغفروها»[1].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن جده عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم»[2].

وعن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «والذي نفسي بيده ما جمع شيء إلى شيء أفضل من حلم إلى علم»[3].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «أول عوض الحليم من حلمه أن الناس أنصاره على الجاهل»[4].

قال: وقال (عليه السلام): «إن لم تكن حليماً فتحلم، فإنه قل من تشبه بقوم إلاّ أوشك أن يكون منهم»[5].

فصل في استحباب الرفق في الأمور

عن معاذ بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الرفق يمن، والخرق شؤم»[6].

أقول: (يمن، شؤم) اليمن ما يوجب راحة الروح أو الجسم، والشؤم بالعكس.

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الله رفيق يحب الرفق، ويعطي على

(١) الفقيه: ج٢ ص٢٥٤، معاني الأخبار: ص١٠٤.

(٢) الخصال: ج١ ص٦.

(٣) الخصال: ج١ ص٦.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩١.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩١.

(٦) الأصول: ص٣٦٧.

الرفق ما لا يعطي على العنف»[1].

أقول: (رفيق) من باب (خذ الغايات واترك المبادي)، (يعطي) الجاه والمال والعلم وغيرها.

وعن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلي، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن لكل شيء قفلا، وقفل الإيمان الرفق»[2].

أقول: فإذا رفق الإنسان كان إيمانه محفوظاً، كما أن القفل على المال ونحوه يجعله محفوظاً، فإن غير الرفيق يسب ويضرب ويقتل وينهب إلى غير ذلك وكله مخالف للإيمان.

وبإسناده قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «من قسم له الرفق قسم له الإيمان»[3].

وعن أحمد بن زياد بن أرقم، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أيما أهل بيت أعطوا حظهم من الرفق فقد وسع الله عليهم في الرزق، والرفق في تقدير المعيشة خير من السعة في المال، والرفق لا يعجز عنه شيء، والتبذير لا يبقى معه شيء، إن الله عز وجل رفيق يحب الرفق»[4].

وعن عمرو بن شمر، عن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو كان الرفق خلقاً يرى ما كان مما خلق الله شيء أحسن منه»[5].

وعن موسى بن بكر، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «الرفق نصف العيش»[6].

أقول: عيش الإنسان يتوقف على المأكل والمشرب وما أشبه من ناحية،

---

(١) الأصول: ص٣٦٧.

(٢) الأصول: ص٣٦٦.

(٣) الأصول: ص٣٦٦.

(٤) الأصول: ص٣٦٧.

(٥) الأصول: ص٣٦٧.

(٦) الأصول: ص٣٦٧.

والتلائم مع الاجتماع من ناحية ثانية، والرفق مفتاح التلائم، فهو نصف العيش السعيد نصفاً عرفياً، لا هندسياً، ويحتمل أن يراد بالرفق الرفق في كل شيء أعم من التلائم الاجتماعي، فيشمل الرفق بالبدن وباللباس وبالدار وفي الأكل والشرب وغير ذلك.

وعن حماد بن بشير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله رفيق يحب الرفيق» الحديث[1].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الرفق لم يوضع على شيء إلاّ زانه، ولا نزع من شيء إلاّ شانه»[2].

وعن عمر بن أبي المقدام رفعه، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إن في الرفق الزيادة والبركة، ومن يحرم الرفق يحرم الخير»[3].

أقول: الزيادة من حيث الكم، والبركة أي الدوام من حيث الكيف، وقد تقدم الوجه في أمثال هذا الحديث.

وعن عبد الله بن المغيرة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما زوي الرفق عن أهل بيت إلاّ زوي عنهم الخير»[4].

وعن هشام بن أحمر، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قال لي، وجري بيني وبين رجل من القوم كلام، فقال لي: «ارفق بهم، فإن كفر أحدهم في غضبه، ولا خير في من كان كفره في غضبه»[5].

أقول: فإن بعض الناس إذا غضبوا كفروا، ومثل هؤلاء دينهم لا قيمة

---

(١) الأصول: ص٣٦٦.

(٢) الأصول: ص٣٦٧.

(٣) الأصول: ص٣٦٧.

(٤) الأصول: ص٣٦٧.

(٥) الأصول: ص٣٦٧.

له، كما إنهم لا شخصية لهم حتى يقابلهم الإنسان بكلام.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله رفيق يحب الرفق ويعين عليه» الحديث[1].

وبهذا الإسناد قال: «ما اصطحب اثنان إلاّ كان أعظمهما أجراً وأحبهما إلى الله أرفقهما بصاحبه»[2].

وعن ثعلبة عمن حدثه، عن أحدهما (عليهما السلام)، قال: «إن الله رفيق يحب الرفق» الحديث[3].

وعن الفضيل بن عثمان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من كان رفيقاً في أمره نال ما يريد من الناس»[4].

فصل في استحباب التواضع

عن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: سمعته يقول: «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تواضع لله رفعاه، ومن تكبر وضعاه»[5].

وعن عمرو بن أبي المقدام، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «فيما أوحى الله عز وجل إلى داود (عليه السلام): «يا داود كما أن أقرب الناس من الله المتواضعون كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون»[6].

---

(١) الأصول: ص٣٦٧.

(٢) الأصول: ص٣٦٧.

(٣) الأصول: ص٣٦٧.

(٤) الأصول: ص٣٦٧.

(٥) الأصول: ص٣٦٨.

(٦) الأصول: ص٣٦٩.

وعن أبي بصير، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في حديث قال: «فأوحى الله إلى الجبال: إني واضع سفينة نوح عبدي على جبل منكن، فتطاولت وشمخت وتواضع الجودي، وهو جبل عندكم فضربت السفينة بجؤجؤها الجبل»[1].

وعنهم، عن أحمد، عن ابن فضال، عن العلا بن زين، عن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يذكر: إنه أتى رسول الله (عليه السلام) ملك فقال: «إن الله يخيرك أن تكون عبداً رسولاً متواضعاً، أو ملكا رسولاً، قال: فنظر إلى جبرئيل، وأومى بيده أن تواضع، فقال: عبداً متوضعاً رسولاً، فقال الرسول مع أنه لا ينقصك مما عند ربك شيئاً، قال: ومعه مفاتيح خزائن الأرض»[2].

أقول: حقيقة الرسول (صلى الله عليه وآله) ما كانت تختلف بالأمرين، وإنما الفارق العنوان فقط، مثلاً يقال في التشهد: (عبده ورسوله) أي مملوكه ورسوله، وإضافة الملك إليه سبحانه، من باب (بيت الله) تشريفية، قال سبحانه: ﴿إن الله قدبعث لكم طالوت ملكاً﴾[3]، لكن الرسول (صلى الله عليه وآله) تواضع حتى في الاسم، لا لأن منزلته عند الله تختلف، فقد نص في الحديث بعدم ذلك، بل لملاحظة قلوب الناس، حتى لا يزعموا كبرياءً في اسمه، وللأسوة مما يوجب اقتداء الرؤساء به في التواضع، قال سبحانه: ﴿لن يستنكف المسيح أن يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون﴾[4].

عن علي بن أسباط، عن الحسن بن الجهم، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قال: «التواضع أن تعطي الناس ما تحب أن تعطاه»[5].

أقول: هذا لازم التواضع، إذ هو وضع الشيء في موضعه وعدم الاعتلاء

(١) الأصول: ص٣٦٩.

(٢) الأصول: ص٣٦٨.

(٣) سورة البقرة: ٢٤٧.

(٤) سورة النساء: ١٧٢.

(٥) الأصول: ص٣٦٩.

على الحق، ولازم ذلك إعطاء الناس حقوقهم.

قال: وفي حديث آخر، قال (عليه السلام): «التواضع درجات، منها أن يعرف المرء قدر نفسه فينزلها منزلتها بقلب سليم، لا يحب أن يأتي إلى أحد إلاّ مثل ما يؤتى إليه، إن رأى سيئة دراها بالحسنة، كاظم الغيظ، عاف عن الناس، والله يحب المحسنين»[1].

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي، والله لو أن الوضيع في قعر بئر لبعث الله عز وجل إليه ريحاً ترفعه فوق الأخيار في دولة الأشرار»[2].

أقول: (فوق الأخيار) أي يكون سيد الأخيار (في دولة الأشرار) أي ولو كانت الدولة بيد الأشرار، وذلك لأن الأخيار يحبونه فيسودونه عليهم، إذا لم يكن هناك من هو فوقه تواضعاً، إذ قد عرفت أن التواضع عبارة عن إعطاء كل ذي حق حقه، وأن يعرف قدر نفسه فلا يجعلها فوق مستواها.

وعن الحسن بن الجهم، قال: سألت الرضا (عليه السلام) فقلت له: جعلت فداك ما حد التوكل، فقال لي: «أن لا تخاف مع الله أحداً»، قال: قلت: جعلت فداك فما حد التواضع، فقال: «أن تعطي الناس من نفسك ما تحب أن يعطوك مثله»، قلت: جعلت فداك أشتهي أن أعلم كيف أنا عندك، فقال: «انظر أنا عندك»[3].

أقول: (أن لا تخاف) أي في مرتبة الخوف من الله، لا أن لا يخاف الإنسان سلطاناً جائراً أو ما أشبه ذلك، (كيف أنا عندك) لأن القلب يهدي إلى القلب، فإذا عظم إنسان إنساناً عاكسه بالتعظيم، وكذلك إذا حقره، وهكذا، ولعل الإتيان بباب التفاعل لأجل ذلك، حيث إن هذا إذا وضع نفسه لذاك وضع ذاك نفسه لهذا، من باب تضارب إذا

---

(١) الأصول: ص٣٦٩.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٧.

(٣) عيون أخبار الرضا: ص٢١٣.

ضرب كل واحد منهم الآخر، وفرقه مع ضارب: إن في المفاعلة يكون الابتداء من أحدهما، وفي التفاعل يقع الأمران معاً، وأريد بالتواضع التلازم من دون أن يكون أحدهما سابقاً على الآخر.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «إن من التواضع أن يرضى بالمجلس دون المجلس، وأن يسلم على من تلقى، وأن يترك المراء وإن كان محقاً، ولا تحب أن تحمد على التقوى»[1].

فصل في استحباب التواضع عند تجدد النعمة

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في حديث جعفر بن أبي طالب مع النجاشي ملك الحبشة: إن النجاشي قال: إنا نجد فيما أنزل الله على عيسى (عليه السلام) أن من حق الله على عباده أن يحدثوا لله تواضعاً عند ما يحدث لهم من نعمة، فلما بلغ النبي (صلى الله عليه وآله) قال لأصحابه: «إن الصدقة تزيد صاحبها كثرة، فتصدقوا يرحمكم الله، وإن التواضع يزيد صاحبه رفعة، فتواضعوا يرفعكم الله، وإن العفو يزيد يزيد صاحبه عزاً فاعفوا يعزكم الله»[2].

فصل في تأكد استحباب التواضع للعالم والمتعلم

عن معاوية بن وهب، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «اطلبوا العلم وتزينوا معه بالحلم والوقار، وتواضعوا لمن تعلّمونه العلم، وتواضعوا لمن طلبتم منه العلم،

(١) معاني الأخبار: ص١٠٨، الأصول: ص٣٦٨.

(٢) الأصول: ص٣٦٨.

ولاتكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم[1].

أقول: (فيذهب باطلكم) العالم الجبار إذا لم يكن في الحكم، يتكبر على الناس ويجبرهم على إعطائه المال والخضوع له، وهذا الباطل منه يوجب عدم سماع الناس للحق الذي يقوله، وعدم التأسي به في الحق الذي يعمله، والحاصل إن باطله في بعض يوجب نظر الناس إلى كل أعماله بأنها باطلة، وأما إذا كان في الحكم فالأمر أوضح.

وعن محمد بن سنان رفعه، قال: قال عيسى بن مريم (عليه السلام) للحواريين: «لي إليكم حاجة اقضوها لي، فقالوا: قضيت حاجتك يا روح الله، فقام فغسل أقدامهم، فقالوا: كنا أحق بهذا منك، فقال: إن أحق الناس بالخدمة العالم، إنما تواضعت هكذا لكي ما تتواضعوا بعدي في الناس كتواضعي لكم، ثم قال عيسى: بالتواضع تعمر الحكمة لا بالتكبر، وكذلك في السهل ينبت الزرع لا في الجبل»[2].

أقول: تعمير الحكمة، لأن الحكمة عبارة عن وضع كل شيء موضعه المقرر له، وحيث كان الإنسان متواضعاً لا يستنكف أن يضع الأشياء موضعها، بخلاف ما إذا كان متكبراً، مثلاً إذا جاءه فقير مؤمن لا يستنكف أن يقوم له لإيمانه، بينما إذا كان متكبراً لم يفعل ذلك، إلى غيرها من الأمثلة، وعمران الحكمة بالفعلية لا أن الشخص يعلمها فقط.

فصل في استحباب التواضع في المأكل والمشرب ونحوهما

عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أفطر رسول الله (صلى الله عليه وآله) عشية خميس في مسجد قبا، فقال: هل من شراب، فأتاه أوس بن خولي الأنصاري

(١) الأصول: ص١٨.

(٢) الأصول: ص١٨.

بعس مخيض بعسل، فلما وضعه على فيه نحاه، ثم قال: شرابان يكتفى بأحدهما من صاحبه، لا أشربه ولا أحرمه، ولكن أتواضع لله، فإنه من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر خفضه الله، ومن اقتصد في معيشته رزقه الله، ومن بذر حرمه الله، ومن أكثر ذكر الموت أحبه الله»[1].

أقول: عدم الشرب من التواضع، إذ ليس أكل اللذيذ أو شربه إلاّ لاشتهاء الفم، فإذا وضع الإنسان نفسه دون ذلك كان تواضعاً، لكن هذا إذا لم يكن الأمر صالحاً للبدن، وإلاّ لم يكن من التكبر، بل من «إن لبدنك عليك حقاً».

وعن داود، عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله، وقال: «ومن أكثر ذكر الموت أظله الله في جنته»[2].

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «مر علي بن الحسين (عليه السلام) على المجذمين وهو راكب حماره وهم يتغدون، فدعوه إلى الغدا، فقال: أما لولا أني صائم لفعلت، فلما صار إلى منزله أمر بطعام فصنع وأمر أن يتنوقوا فيه، ثم دعاهم فتغدوا عنده وتغدى معهم»[3].

أقول: (معهم) لا في إنائهم، فإن الجذام معد كما لا يخفى، وإنما فعل الإمام (عليه السلام) ذلك تواضعاً لله وجبراً لكسر قلوبهم.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: «القناعة مال لا ينفد»[4].

أقول: القناعة نوع من التواضع، لكن في بعد خاص.

---

(١) الأصول: ص٣٦٨.

(٢) الأصول: ص٣٦٨.

(٣) الأصول: ص٣٦٩.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٦.

فصل في وجوب إيثار رضى الله على هوى النفس

عن عاصم بن حميد، عن أبي عبيدة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الله عز وجل يقول: وعزتي وعظمتي وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هوى نفسه إلاّ كفيت عليه صنعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر»[1].

أقول: هذا بالإضافة إلى أنه غيبي، لأن كل إنسان يقدم الفضيلة، وأوامر الله كلها فضيلة، على الهوى الداعية إلى الرذيلة، يحبه الناس ويلتفون حوله، وبذلك تكفيه صنعته في معاشه.

(وكنت) لأنه اتبع السبب، والأسباب كلها بيد الله ومن جعله، فإن تجارة التجار لا وراء لها بينما إذا كان الله وراء التجارة ربح بكل حال، وكأنه قصد بذلك أن هذا الإنسان وراء تجارته التجار، ويكون وراء تجارة التجار الذين يتعاملون معه الله سبحانه مما يكون ربحه تجارته مضموناً قطعاً، ويحتمل في الحديث معنى آخر.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال الله عز وجل: «وعزتي وجلالي وعظمتي وبهائي وعلو ارتفاعي لا يؤثر عبد مؤمن هواي على هواه في شيء من أمر الدنيا إلاّ جعلت غناه في نفسه، وهمته في آخرته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر»[2].

أقول: (غناه في نفسه) لأن الإنسان إذا رجح الهوى كان يتطلب دائماً الغني في الخارج، غنى في المال أو في الجنس أو في الجاه أو ما أشبه، فيركض دائماً لتحصيل ذلك، بينما إذا رجح إرادة الله تعالى فهو يقنع بما قسمه الله، أي

(١) الأصول: ص٣٧٧، الخصال: ج١ ص٥.

(٢) الأصول: ص٣٧٧، المحاسن: ص٢٨.

لا يطمع ولا يحرص ولا يمد عينه إلى ما ليس له، فيكون غناه في نفسه.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): يقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي وكبريائي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لايؤثر عبد هواه على هواي إلا شتّت عليه أمره، ولبست عليه دنياه، وشغلت قلبه بها، ولم آته منها إلاّ ما قدرت له، وعزتي وجلالي وعظمتي ونوري وعلوي وارتفاع مكاني لا يؤثر عبد هواي على هواه إلاّ استحفظته ملائكتي، وكفلت السماوات والأرضين رزقه، وكنت له من وراء تجارة كل تاجر، وأتته الدنيا وهي راغمة»[1].

أقول: (شتت عليه أمره) هوى الله سبحانه مجموعة تحت ضابطة الحكمة والعقلانية، بينما هوى الإنسان لا ضابط له، قال سبحانه: ﴿ولاتطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا﴾[2]، كالعنب المفرط الذي سقط عن العنقود فلا ضابط لها ولا رابط، فإذا اتبع الشخص هواه تشتت أمره، فيوماً هواه مع زيد ويوماً مع عمرو وهكذا في كل الشؤون.

(لبست) لأنه لا يعرف الدنيا الصالحة من الدنيا الفاسدة.

لا يقال: فلماذا نرى كثيراً من المؤمنين مشتتة أمورهم، وكثيراً من الفاسقين بالعكس.

لأنه يقال: قد تقدم أن المؤمن الذي أخذ ببعض الإسلام، والكافر الذي أخذ ببعضه، يؤثر عدم البعض في الأول، والبعض في الثاني أثره، فمن لم ينظم أمره من المؤمنين يتشتت أمره في هذا البعد، ومن نظم أمره من الكافرين يجتمع أمره في هذا البعد وهكذا، إلى غير ذلك من أبعاض الدين التي بمجموعها هي إرادة الله سبحانه وهواه.

وقوله: (هواي) من باب المشاكلة، مثل: ﴿تعلم ما في نفسي ولا

---

(١) الأصول: ص٤٦٤.

(٢) سورة الكهف: ٢٨.

أعلم ما في نفسك﴾[1].

وعن إسماعيل بن محمد، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «إن الله عز وجل يقول: إني لست كل كلام الحكمة أتقبل، إنما أتقبل هواه وهمه، فإن كان هواه وهمه في رضاي جعلت همه تقديساً وتسبيحاً»[2].

أقول: لأن الأعمال بالنيات، فإذا كان الكلام صحيحاً بدون نية صحيحة لم يكن مقبولاً، وكذلك في سائر الأعمال، و(الهوى) الميل، و(الهم) الاهتمام العملي، فإن الإنسان قد يكون هواه مع شيء ولكن لا يعمل له.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال (عليه السلام): «جاهد هواك كما تجاهد عدوك»[3].

وفي (ثواب الأعمال)، عن أحمد بن محمد، عن أبيه، عن الحسين بن إسحاق، عن علي بن مهزيار، عن محمد بن أبي عمير، عن منصور بن يونس، عن أبي حمزة، قال: سمعت علي بن الحسين (زين العابدين خ ل) (عليه السلام) يقول: «إن الله جل جلاله يقول: وعزتي وجلالي وعظمتي وجمالي وبهائي وعلوي وارتفاع مكاني، لا يؤثر عبد هواي على هواه إلاّ جعلت همه في آخرته، وغناه في قلبه، وكففت عنه ضيعته، وضمنت السماوات والأرض رزقه، وأتته الدنيا وهي راغمة»[4].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال في خطبة له: «أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان، اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتباع الهوى فيصد عن الحق، وأما طول الأمل فينسي الآخرة»[5].

أقول: (يصد عن الحق) حيث إن الهوى ضد الحق، فالحق له اتجاه واحد

---

(١) سورة المائدة: ١١٦.

(٢) الروضة: ص١٦٦.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٤) ثواب الأعمال: ص٩٢.

(٥) نهج البلاغة: القسم الأول ص١٠١.

صحيح، والهوي تارة هنا وتارة هناك.

(ينسي الآخرة) إذ لو طال أمل الإنسان يعمل لمستقبله لا لآخرته، فكأن الآخرة منسية، مثلاً لا يخمس لأنه يريد بناء حديقة لنفسه يتمتع بها في مستقبل حياته، وبذلك يكون نسي الآخرة.

فصل في وجوب تدبر العاقبة قبل العمل

عن مسعدة بن صدقة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن رجلاً أتى النبي (صلى الله عليه وآله) فقال له: يا رسول الله أوصني، فقال له: فهل أنت مستوص إن أنا أوصيتك، حتى قال له ذلك ثلاثاً، وفي كلها يقول الرجل: نعم يا رسول الله، فقال: فإني أوصيك إذا أنت هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك رشداً فامضه، وإن يك غياً فانته عنه»(1).

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد ابن الحنفية، قال: «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ، ومن تورط في الأمور غير ناظر في العواقب فقد تعرض لمفظعات النوائب، والتدبير قبل العمل يؤمنك من الندم، والعاقل من وعظه التجارب، وفي التجارب علم مستأنف، وفي تقلب الأحوال علم جواهر الرجال»(2).

أقول: (استقبل وجوه الآراء) إذ بالمقارنة بين الآراء يعرف الصواب من الخطأ، كما أن من يرى دوراً يعرف أن أيها أجمل وأيها كاملة في قبال غيرها الناقصة، فالأشياء تعرف بأمثالها، كما تعرف بأضدادها.

(وعظه التجارب) فعرف أن سبب السقوط لما كان ذلك الأمر مثلاً يلزم اجتنابه وهكذا.

---

(١) الروضة: ص١٤٩، قرب الإسناد: ص٢٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٤٦.

(علم مستأنف) مثلاً الإنسان لا يعلم أن في هذه الثقبى حشرة فإذا جرب بإدخال إصبعه علم ذلك وهو علم جديد لم تكن له سابقة به.

(الرجال) حيث إن الإنسان لا يظهر جوهره وحقيقته إلاّ بتوارد أحوال مختلفة عليه، مثلاً إذا كان فقيراً يظهر أنه يكفر، أو كان غنياً يظهر أنه يطغى، فإذا تبادل الغنى والفقر عليه ظهر جوهره، أما إذا كان غنياً فقط لا يظهر كفره، أو فقيراً فقط لا يظهر طغيانه.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «لسان العاقل وراء قلبه، وقلب الأحمق وراء لسانه»[١].

وعنه (عليه السلام) أنه قال: «قلب الأحمق في لسانه، ولسان العاقل في قلبه»[٢].

أقول: الأحمق يقول بدون تفكر فكأن قلبه في لسانه، والعاقل لا يقول إلاّ بتفكر فكأن لسانه في قلبه.

قال: وقال (عليه السلام): «من استقبل وجوه الآراء عرف مواقع الخطأ»[٣].

وعن أبي قتادة القمي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ليس لحاقن رأي، ولا لملول صديق، ولا لحسود غنى، وليس بحازم من لا ينظر في العواقب، والنظر في العواقب تلقيح للقلوب»[٤].

أقول: (الحاقن) المحصور، لأن فكره مشغول بحقنه، ولذا ورد (لا صلاة لحاقن ولا لحاقب ولا لحازق)، أي المحصور بالبول والغائط أو بضيق الخف، وقالوا لا يقضي القاضي وهو مشغول القلب.

(صديق) لأن الملول يمل بسرعة عن أصدقائه فلا يبقون له أصدقاء.

(غنى) لأن الحسود يحسد الناس فينفضون من حوله،

---

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٣.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٥٣.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٨٥.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص١٨٥.

والغنى بحاجة إلى التفاف الناس حول الإنسان حتى يستفيد في تجارته وكسبه.

و(الحازم) هو الذي يلاحظ جوانب الأمور ثم يركبها، قال الشاعر:

(وأحزم الناس من لم يرتكب عملا

حتى يفكر ما تجني عواقبه)

(تلقيح) فكما أن التلقيح بين النطفتين ينتج الولد، كذلك النظر في العواقب ومقارنة بعض النتائج ببعض يعطي الثمار الطيبة في كيفية العمل.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: علمني يا رسول الله، قال: عليك باليأس مما في أيدي الناس، فإنه الغنى الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال: إياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال: إذا هممت بأمر فتدبر عاقبته، فإن يك خيراً ورشداً فاتبعه، وإن يك غياً فاجتنبه»[١].

فصل في وجوب إنصاف الناس

عن ابن محبوب، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من أنصف الناس من نفسه رضي به حكماً لغيره»[٢].

أقول: لأن الناس إذا رأوا نزاهته حتى على نفسه، يرون أنه لابد وأن لا يحابي بإعطاء الحق إلى غير مستحقه، فيجعلونه حكماً في قضاياهم.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «سيد الأعمال إنصاف الناس من نفسك، ومواساة الأخ في الله، وذكر الله على كل حال»[٣].

وعن رومي بن زرارة، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين

---

(١) المحاسن: ص١٦، الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٢) الأصول: ص٣٨١.

(٣) الأصول: ص٣٨١.

(عليه السلام) في كلام له: «ألا إنه من ينصف الناس من نفسه لم يزده الله إلاّ عزاً»[1].

أقول: حيث يراه الناس نزيهاً، والنزيه عزيز في المجتمع، محبوب عند الناس.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ثلاث هم أقرب الخلق إلى الله يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب، رجل لم تدعه قدرة في حال غضبه أن يحيف على من تحت يده، ورجل مشي بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال بالحق في ما له وعليه»[2].

أقول: (مشى) أي في تنازع بينهما.

وعن جعفر بن إبراهيم الجعفري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من واسى الفقير من ماله وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً»[3].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول في آخر خطبته: «طوبى لمن طاب خلقه، وطهرت سجيته، وصلحت سريرته، وحسنت علانيته، وأنفق الفضل من ماله، وأمسك الفضل من قوله، وأنصف الناس من نفسه»[4].

أقول: (طهرت) أي كانت طبيعته طاهرة عن الأخلاق والصفات الذميمة، والإنسان يتمكن من ذلك كما يتمكن من تطهير الأرض من الأعشاب الضارة، والصلاح بعد الطهارة، حيث يوجب الصلاح النمو، كالارض تطهر ثم يزرع فيها.

وعن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من يضمن لي أربعة بأربعة

---

(١) الأصول: ص٣٨١.

(٢) الأصول: ص٣٨١، الخصال: ج١ ص٤١.

(٣) الأصول: ص٣٨٢.

(٤) الأصول: ص٣٨٠.

أبيات في الجنة، أنفق ولا تخف فقراً، وأفش السلام في العالم، واترك المراء وإن كنت محقاً ، وأنصف الناس من نفسك»[١].

أقول: (أنفق) أي بالقدر المتوسط، وإلا فالزيادة بما يجعله فقيراً مرغوب عنها.

وعن يوسف البزاز، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «ما تدارى اثنان في أمر قط فأعطى أحدهما النصف صاحبه فلم يقبل منه إلاّ أديل منه»[٢].

أقول: (أديل منه) أي سلط الله سبحانه المنصف على غير المنصف، فإن الدنيا دار نبات ينبت عمل الإنسان فيه، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، منتهى الأمر إن بعض الظروف تنبت بسرعة وبعضها تنبت ببطأ، وهذه قضية طبيعية، فلا تنتقض بأنه ربما لا يكون كذلك، كما أن الأدوية طبيعتها الشفاء وإن لم تشف أحياناً لموانع أو مزاحمات.

وعن محمد بن قيس، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن لله جنة لا يدخلها إلاّ ثلاثة، أحدهم من حكم في نفسه بالحق»[٣].

وعن أبي عبيدة الحذاء، عن أبي عبد الله جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «ألا أخبرك بأشد ما افترض الله على خلقه، إنصاف الناس من أنفسهم، ومواساة الإخوان في الله عز وجل، وذكر الله عز وجل على كل حال، فإن عرضت له طاعة عمل بها، وإن عرضت له معصية تركها»[٤].

أقول: (فإن عرضت) هذا تفسير لذكر الله.

---

(١) الأصول: ص٣٨٠، الفروع ج١ ص١٧٤.

(٢) الأصول: ص٣٨٢.

(٣) الأصول: ص٣٨٢.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص٥٤.

وعن علي بن ميمون الصائغ، قال: سمعت أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: «من أراد أن يسكنه الله جنته فليحسن خلقه، وليعط النصفة من نفسه، وليرحم اليتيم، وليعن الضعيف، وليتواضع لله الذي خلقه»[١].

وعن معاوية، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «ما ناصح الله عبد في نفسه فأعطى الحق منها وأخذ الحق لها إلاّ أعطي خصلتين: رزقاً من الله يسعه، ورضا عن الله يغنيه»[٢].

أقول: (يغنيه) في كافة أموره، مثل كفايته سبحانه عدوه، وشفائه من مرضه، وإعطائه الأولاد، إلى غير ذلك.

وعن جعفر بن إبراهيم الجعفري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من واسى الفقير وأنصف الناس من نفسه فذلك المؤمن حقاً»[٣].

فصل في أنه على المؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه

عن يحيى بن إبراهيم، عن جده أبي البلاد رفعه، قال: جاء أعرابي إلى النبي (عليه السلام) فقال: يا رسول الله علمني عملاً أدخل به الجنة، فقال: «ما أحببت أن يأتيه الناس إليك فأته إليهم، وما كرهت أن يأتيه الناس إليك فلا تأته إليهم»[٤].

وعن يعقوب بن شعيب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أوحى الله إلى آدم (عليه السلام) إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات» إلى أن قال: «وأما التي بينك وبين

(١) مجالس ابن الشيخ: ص٢٧٦.

(٢) المحاسن: ص٢٨، ثواب الأعمال: ص٩٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٢٧.

(٤) الأصول: ص٣٨١.

الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك»[1].

فصل في اشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيب الناس

عن عثمان بن جبلة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث خصال من كن فيه أو واحدة منهن كان في ظل عرش الله يوم لا ظل إلاّ ظله، رجل أعطى الناس من نفسه ما هو سائلهم، ورجل لم يقدم رجلاً ولم يؤخر رجلاً حتى يعلم أن ذلك لله رضا، ورجل لم يعب أخاه المسلم بعيب حتى ينفي ذلك العيب عن نفسه، فإنه لا ينفي منها عيباً إلاّ بدا له عيب، وكفى بالمرء شغلاً بنفسه عن الناس»[2].

أقول: (بدا له عيب) فهو دائماً مشغول بإصلاح عيب نفسه، فلا يبقى له وقت للاشتغال بعيوب الناس، هذا بالإضافة إلى أن من فيه عيب الجبن مثلاً، ليس من الصحيح أن يعيب من فيه البخل، فإنه إذا لم يكن له بخل لكنه معيب أيضاً، وأي فرق في مشتمل العيب بين هذا وذاك.

وعن أبي مريم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «سمعت جابر بن عبد الله الأنصاري يقول: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر بنا فوقف وسلم، ثم قال: ما لي أري حب الدنيا قد غلب على كثير من الناس» إلى أن قال: «طوبى لمن شغله خوف الله عز وجل عن خوف الناس، طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب المؤمنين من إخوانه» الحديث[3].

وعن الحسين بن مختار، عن بعض أصحابه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «كفى بالمرء عيباً أن يتعرف من عيوب الناس ما يعمي عليه من أمر نفسه، أو يعيب على الناس أمراً هو فيه لا يستطيع التحول عنه إلى غيره، أو يؤذي جليسه بما

---

(١) الأصول: ص٣٨٢.

(٢) الأصول: ص٣٨٢.

(٣) الروضة: ص١٦٨.

لا يعنيه»[1].

أقول: (بما لا يعنيه) فإن أذية الناس لا تعني الإنسان إطلاقاً، فليس للكلام مفهوم، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وما أشبه ذلك فهي خارجة عن صدق أذية الناس، كما أن المقابلة بالمثل خارجة أيضاً.

وعن أبي ذر، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) في حديث، قال: قلت: يا رسول الله أوصني، قال: «أوصيك بتقوى الله، فإنه رأس الأمر كله»، قلت: زدني، قال: «عليك بتلاوة القرآن وذكر الله كثيراً»، قلت: زدني، قال: «عليك بطول الصمت»، قلت: زدني، قال: «إياك وكثرة الضحك»، قلت: زدني، قال: «عليك بحب المساكين ومجالستهم»، قلت: زدني، قال: «قل الحق وإن كان مراً»، قلت: زدني، قال: «لا تخف في الله لومة لائم»، قلت: زدني، قال: «ليحجزك عن الناس ما تعلم من نفسك ولا تجد عليهم في ما تأتي مثله»، ثم قال: «كفى بالمرء عيباً أن يكون فيه ثلاث خصال، يعرف من الناس ما يجهل من نفسه، ويستحيي لهم مما هو فيه، ويؤذي جليسه فيما لا يعنيه»، ثم قال: «يا أباذر لا عقل كالتدبير، ولا ورع كالكف، ولا حسب كحسن الخلق»[2].

أقول: (لومة لائم) أي يقول فيما أمر الله تعالى، لا أنه يترك التقية وما أشبه، فإن الله الآمر بالقول كثيراً يأمر بالسكوت في مورد السكوت أيضاً، فليس معنى ذلك الاعتباط في القول.

(لا تجد) أي لا تغضب.

(كالتدبير) أي يدبر أموره الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية والعائلية وغيرها، بأن يضع كل شيء موضعه، (كالكف) عن المعاصي (حسب) أي ما يحسب له من الفضائل والأخلاق.

وعن أبان بن عبد الملك، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: «إن موسى

---

(١) الأصول: ص٥١٤.

(٢) معاني الأخبار: ص٩٥.

(عليه السلام) لما أراد أن يفارق الخضر (عليه السلام) قال: أوصني، فكان في ما أوصاه أن قال له: إياك واللجاجة وأن تمشي في غير حاجة، وأن تضحك من غير عجب، واذكر خطيئتك، وإياك وخطايا الناس»[1].

أقول: (اللجاجة) العناد، فإن اللجوج يريد أن لا ينكسر كلامه ورأيه وإن كان في ذلك عطبه. (تمشي) السير في الأمر، لا خصوص المشي بالرجل، فهو عبارة أخرى من (دع ما لا يعنيك)، (وخطايا الناس) أي لا تفتش عنها ولا تذكرها.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال في النهي عن عيب الناس: «وإنما ينبغي لأهل العصمة والمصنوع إليهم في السلامة أن يرحموا أهل الذنوب والمعصية، ويكون الشكر هو الغالب عليهم والحاجز لهم عنهم، فكيف بالعائب الذي عاب أخاه وعيَّره ببلواه، أما ذكر موضع ستر الله عليه من ذنوبه ما هو أعظم من الذنب الذي عاب به، فكيف يذمه بذنب قد ركب مثله، فإن لم يكن ركب ذلك الذنب بعينه فقد عصى الله في ما سواه مما هو أعظم منه، وأيم الله لو لم يكن عصاه في الكبير لقد عصاه في الصغير، ولجرأته على عيب الناس أكبر، يا عبد الله لا تعجل في عيب عبد بذنبه فلعله مغفور له، ولا تأمن على نفسك صغير معصية فلعلك تعذب عليه، فليكفف من علم منكم عيب غيره لما يعلم من عيب نفسه، وليكن الشكر شاغلاً له على معافاته مما ابتلي به غيره»[2].

أقول: (فكيف بالعائب) أي إن التكليف الرحم لا السكوت، فكيف بأن يتعدى من السكوت إلى أن يعيبهم.

(١) المجالس: ص١٩٤.

(٢) نهج البلاغة: القسم الأول ص٢٧٧.

قال: وقال (عليه السلام): «من نظر في عيب نفسه اشتغل عن عيب غيره، ومن رضي رزق الله لم يحزن على ما فاته» إلى أن قال: «ومن نظر في عيوب الناس ثم رضيها لنفسه فذلك الأحمق بعينه»[1].

قال: وقال (عليه السلام): «أكبر العيب أن تعيب ما فيك مثله»[2].

وعن محمد بن إسماعيل، عن بعض رجاله، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا رأيتم العبد متفقداً لذنوب الناس ناسياً لذنوبه فاعلموا أنه قد مكر به»[3].

أقول: (مكر به) المكر هو الإتيان من جهة خفية لضرر لشخص، وهذا العائب قد تضرر بسبب عيبه للناس بما هو فيه، تضرراً من جهة خفية، حيث لا يعده ضرراً، بينما إذا أراد إنسان ضرره عد ذلك ضرراً عليه من ذلك الإنسان.

عن نافع، عن ابن عمر، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كان بالمدينة أقوام لهم عيوب فسكتوا عن عيوب الناس، فأسكت الله عن عيوبهم الناس، فماتوا ولا عيوب لهم عند الناس، وكان بالمدينة أقوام لا عيوب لهم فتكلموا في عيوب الناس، فأظهر الله لهم عيوباً لم يزالوا يعرفون بها إلى أن ماتوا»[4].

أقول: (أظهر الله) أي صاروا أهل العيوب، أو الناس اتهموهم جزاءً تعييبهم للناس، أو المراد من (لا عيوب لهم) أي لم تكن لهم عيوب ظاهرة وكانت باطنة، فلما عابوا الناس فتش الناس عن عيوبهم حتى ظهرت.

وعن أبي عبيدة الحذاء، قال: سمعت أبا جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أسرع الخير ثواباً البر، وإن أسرع الشر عقاباً البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، وأن يعير الناس بما

---

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٨.

(٢) السرائر: ص٤٦٨.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص٢٧.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص٦٥.

لا يستطيع تركه، وأن يؤذي جليسه بما لا يعنيه»[1].

أقول: لا يقال: إنا نرى بغاة لا يعاقبون سريعاً.

لأنه يقال: إذا كان هؤلاء غير بغاة كانوا أطول أعماراً وأكثر آثاراً وكان الناس يمدحونهم، فإن ذم الناس عقوبة أيضاً، فإن الظلم ينتج عقوبة الظالم وذمه من الناس، وليس كذلك ترك الصلاة أو ما أشبه إذ لا يكون هناك مظلوم يمكر بظالمه حتى يرديه، هذا مع الغض عن الأسباب الغيبية.

فصل في وجوب العدل

عن روح ابن أخت المعلى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «اتقوا الله واعدلوا فإنكم تعيبون على قوم لا يعدلون»[2].

وعن عبد الكريم، عن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «العدل أحلى من الماء يصيبه الظمآن، ما أوسع العدل إذا عدل فيه وإن قل»[3].

أقول: (ما أوسع العدل) إذا كان ألف دينار لمائة شخص فحصل كل واحد على عشرة كان عدلاً، أما إذا لم يحصل عشرة وحصل الآخرون فإنه وإن كان توسعة على التسعين إلاّ أنه لم يسع المائة، فالعدل أوسع من الجور.

وعن ابن محبوب، عن معاوية بن وهب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «العدل أحلى من الشهد، وألين من الزبد، وأطيب ريحاً من المسك»[4].

أقول: اللذة الروحية التي يلتذ بها الإنسان العادل بنفسه، ومن عدل

(١) مجالس ابن الشيخ: ص٦٥.

(٢) الأصول: ص٣٨٢.

(٣) الأصول: ص٣٨١.

(٤) الأصول: ص٣٨٢.

في حقه أكثر من اللذة الجسمية الحاصلة من الشهد والزبد والمسك.

وعن أبي إسحاق الجرجاني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله جعل لمن جعل له سلطاناً أجلاً ومدة من ليال وأيام وسنين وشهور، فإن عدلوا في الناس أمر الله صاحب الفلك أن يبطئ بإدارته فطالت أيامهم ولياليهم وسنينهم شهورهم، وإن جاروا في الناس فلم يعدلوا أمر الله صاحب الفلك فأسرع بإدارته فقصرت لياليهم وأيامهم وسنينهم وشهورهم، وقد وفى الله عز وجل بعدد الليالي والشهور»[1].

أقول: لعل المراد أن الظلم يسبب عدم التقدم في أي بعد من أبعاد الحياة فيما يري طي الزمان بسببه، بينما العدل بخلاف ذلك، أو أنه على سبيل الحقيقة فأي دليل على العدم.

لا يقال: إنا نرى الساعات ولو دار الفلك أسرع كانت الساعة تدل على ذلك.

لأنه يقال: من يدير الفلك أسرع يدير الساعة أيضاً أسرع، وبذلك ينحل إشكال أنه إذا كان في مكان جائر وفي مكان آخر عادل يلزم التناقض في سير الفلك سرعة وبطئاً، إذ الله القدير قادر على الإسراع في هذه القطعة والإبطاء في القطعة الثانية، كالسيارة تسرع في الفرسخ الأول وتبطئ في الفرسخ الثاني.

لا يقال: كيف والبلد المجاور تأتي أصواته إلى هذا البلد وبالعكس، مثلاً في الهند حاكم جائر وفي العراق، والساعة السادسة ليلاً ويستمع إلى إذاعة الهند، وهي ساعة سابعة في العراق مثلاً، فإذا دار الفلك في الهند أسرع كانت سادسته خامسة، فاللازم أن يسمع صوته في العراق سادسة لا سابعة.

لأنه يقال: أي مانع عقلي من أن القادر يسمع ما يقذفه الهند في الخامسة واقعاً السادسة ظاهراً، في الساعة السابعة من العراق، فالأمواج تسير ببطئ حتى تصل

(١) الروضة: ص٢٧١، علل الشرائع: ص١٨٩.

إلى العراق، ثم من الممكن أن يكون الزمان نفسياً لا خارجياً، كما قال به بعض فتنحل المشكلة من أصلها.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله الصادق (عليه السلام)، قال: «ثلاث هم أقرب الخلق إلى الله عز وجل يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب، رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يديه، ورجل مشى بين اثنين فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيرة، ورجل قال الحق فيما عليه»[1].

فصل في أنه لا يجوز لمن وصف عدلاً أن يخالفه إلى غيره

عن ابن أبي يعفور، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن من أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم خالفه إلى غيره»[2].

أقول: فإن الجوهرة كانت له ومع ذلك هو فقير، أو لأنه يرى غيره ذهب إلى الجنة بسببه وهو يذهب إلى النار.

وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن أشد الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم عمل بغيره»[3].

وعن قتيبة الأعشى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن من أشد الناس عذاباً يوم القيامة من وصف عدلاً وعمل بغيره»[4].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال في قول الله عز وجل: ﴿فكبكبوا فيها هم والغاوون﴾[5]، فقال: «يا أبا بصير، هم قوم وصفوا عدلاً بألسنتهم ثم خالفوه إلى

---

(١) المجالس: ص٢١٥.

(٢) الأصول: ص٤٥١.

(٣) الأصول: ص٤٥١.

(٤) الأصول: ص٤٥١.

(٥) سورة الشعراء: ٩٤.

غيره»[1].

وعن خيثمة، قال: قال لي جعفر (عليه السلام): «أبلغ شيعتنا أنه لن ينال ما عند الله إلاّ بعمل، وأبلغ شيعتنا أن أعظم الناس حسرة يوم القيامة من وصف عدلاً ثم يخالفه إلى غيره»[2].

فصل في إصلاح النفس عند ميلها إلى الشر

عن أبي خديجة، قال: دخلت على أبي الحسن (عليه السلام) فقال لي: «إن الله تبارك وتعالى أيد المؤمن بروح منه يحضره في كل وقت يحسن فيه ويتقي، ويغيب عنه في كل وقت يذنب فيه ويعتدي، فهي معه تهتز سروراً عند إحسانه، وتسبح في الثرى عند إساءته، فتعاهدوا عباد الله نعمه بإصلاحكم أنفسكم تزدادوا يقيناً، وتربحوا نفيساً ثميناً، رحم الله امرأً همّ بخير فعمله، أو همّ بشر فارتدع عنه»، ثم قال: «نحن نزيد الروح بالطاعة لله والعمل له»[3].

أقول: (تزدادوا) فإن الصفات النفسية، تنمو عند العمل بها، كالجسد يزيد قوة بالرياضة.

وعن أحمد بن محمد بن خالد رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أقصر نفسك عما يضرها من قبل أن تفارقك، وأسع في فكاكها كما تسعى في طلب معيشتك، فإن نفسك رهينة بعملك»[4].

أقول: (رهينة) كما أن الراهن يعطي ما أخذه من القرض فيسترجع الرهينة

(١) الأصول: ص٤٥١.

(٢) الأصول: ص٤٥١.

(٣) الأصول: ص٤٣٥.

(٤) الأصول: ص٥١١.

من المرتهن، كذلك الإنسان يعطي العمل فيسترجع نفسه بإدخالها الجنة، وإذا لم يعط العمل أدخل نفسه النار وخسرها، ﴿قل إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾[1].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «كانت الفقهاء والعلماء إذا كتب بعضهم إلى بعض كتبوا بثلاث ليس معهن رابعة، من كانت همته آخرته كفاه الله همه من الدنيا، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس»[2].

أقول: قد تشيع بين الناس كلمات حكيمة يرونها أساس الاجتماع الصحيح، فإذا أوصى بعضهم بعضاً أوصى بتلك الكلمات التي تجري مجرى المثل، مثلاً من المثل الشائع في هذه الأزمنة:

(فإنما الأمم الأخلاق ما بقيت)، (فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا).

أو (كن ابن من شئت واكتسب ادباً)، (يغنيك محموده عن النسب).

أو (لسانك لا تبدي به سوءة امرئ)، (فكلك سوءات وللناس ألسن).

وهذه الكلمات المذكورة في الرواية كانت كذلك في تلك الأزمنة، والفقهاء هم المربوطون بعلم القانون، والعلماء أعم منهم لغة، وإذا قوبلا أريد بهم غيرهم، كالعلماء بالأدب والرياضيات وما أشبه ذلك.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة) عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «من أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس، ومن أصلح أمر آخرته أصلح الله له دنياه»[3].

أقول: الإنسان إذا أصلح ما بينه وبين الله صار إنساناً طيباً، ومن الواضح

---

(١) سورة الزمر: ١٥.

(٢) الروضة: ص٣٠٧، الفقيه: ج٢ ص٣٥٠.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٦١.

أن الإنسان الطيب الخلوق يكون محبوباً للناس، وإصلاح الآخرة الائتمار بأمر الله سبحانه، وإصلاح أمر الدين منوط بإطاعته سبحانه، لأن أوامره تعالى تفيد الدنيا والآخرة، والحاصل إن الأول في باب الإنسان مع المجتمع، والثاني في باب الإنسان مع نفسه، وكلاهما إنما يصلح إذا أطاع الإنسان أمر الله تعالى.

قال: وقال (عليه السلام): «من أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن عمل لدينه كفاه الله دنياه، ومن أحسن فيما بينه وبين الله كفاه الله ما بينه وبين الناس»[١].

أقول: إن السريرة إذا صلحت صلحت العلانية، حيث إن الإنسان إذا كان مخلصاً متواضعاً رفيقاً حنوناً إلى غير ذلك، ظهر آثارها في علانيته، فتنصلح علانيته، وحيث إن الارتباط بينهما إنما هو بجعل الله تعالى قيل (أصلح الله علانيته).

وعن إسماعيل بن مسلم، عن جعفر بن محمد، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: «من أصلح فيما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس»[٢].

فصل في وجوب اجتناب الخطايا والذنوب

عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أما إنه ليس من عرق يضرب ولا نكبة ولا صداع ولا مرض إلاّ بذنب، وذلك قول الله عز وجل في كتابه: ﴿ما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾[٣]، قال: ثم قال: وما يعفو الله أكثر مما يؤاخذه به»[٤].

أقول: هذا على سبيل الغلبة، وإلا فالأخيار يبتلون أيضاً كالأشرار.

وعن عبد الله بن مسكان، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عزوجل:

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٤٥.

(٢) المحاسن: ص٢٩.

(٣) سورة الشورى: ٣٠.

(٤) المحاسن: ص٤٣٩.

﴿فما أصبرهم على النار﴾[1] فقال: «ما أصبرهم على فعل ما يعلمون أنه يصيرهم إلى النار»[2].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الذنوب كلها شديدة، وأشدها ما نبت عليه اللحم والدم، لأنه إما مرحوم وإما معذب، والجنة لا يدخلها إلاّ طيب»[3].

أقول: الكلام مشتمل على مقدمة مطوية وهي: فإن كان مرحوماً أذيب ذلك اللحم حتى يتمكن من دخول الجنة، لأنه لا يدخلها إلاّ طيب، ومن الواضح أن الذوبان إنما يكون بالشدة والعسر، فاللازم أن لا يذنب الإنسان حتى لا يبتلي بأحدى الشدتين، شدة العذاب أو شدة الإذابة.

وعن مسمع، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن العبد ليحبس على ذنب من ذنوبه مائة عام، وإنه لينظر إلى أزواجه في الجنة يتنعمن»[4].

وعن علي بن أسباط، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا تبدين عن واضحة وقد عملت الأعمال الفاضحة، ولا تأمن البيات وقد عملت السيئات»[5].

أقول: لعل المراد لا تظهر سيئات الناس حتى الواضحة منها والحال أنك عملت الأعمال الفاضحة، وإلا قال الناس فيك ما تقول فيهم، (والبيات) هو العذاب الذي يأخذ الإنسان فجأة بليل، والعذاب في الليل أشد وقعاً حيث الظلمة المخوفة وقلة أسباب العلاج إلى غير ذلك، مثل كون الإنسان يفز من النوم وذلك يزيده ألماً، ولهذا هدد سبحانه بالعذاب ليلاً أو في وقت القيلولة، قال سبحانه: ﴿وكم من قرية أهلكناها فجاءها بأسنا بياتاً أو هم قائلون﴾[6]

---

(١) سورة البقرة: ١٧٥.

(٢) الأصول: ص٤٣٩.

(٣) الأصول: ص٤٣٩.

(٤) الأصول: ص٤٤١، المجالس: ص٢٤٧.

(٥) الأصول: ص٤٤١.

(٦) سورة الأعراف: ٤.

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من نكبة تصيب العبد إلاّ بذنب، وما يعفو الله أكثر»[1]

وعن طلحة بن زيد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: كان أبي (عليه السلام) يقول: «ما من شيء أفسد للقلب من خطيئة، إن القلب ليواقع الخطيئة فما تزال به حتى تغلب عليه فيصير أعلاه أسفله»[2].

أقول: أي يصير القلب منكوساً، والمراد به يرى المعروف منكراً، والحسن سيئاً، وبالعكس، مثلاً يرى الإنفاق إسرافاً، وحسن الخلق ضعفاً، إلى غير ذلك، تشبيهاً بالإنسان الذي يجعل رجله من أعلى، ورأسه من أسفل، والمراد بالقلب النفسي، وبالنكس تبدل الصفة.

وعن الفضيل بن يسار، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن العبد ليذنب الذنب فيزوى عنه الرزق»[3].

وعن الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الرجل ليذنب الذنب فيدرؤ عنه الرزق»، وتلا هذه الآية: ﴿إذ أقسموا ليصرمنها مصبحين * ولا يستثنون * فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون﴾[4]،[5].

وعن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا أذنب الرجل خرج في قلبه نكتة سوداء، فإن تاب انمحت، وإن زاد زادت حتى تغلب على قلبه فلا يفلح بعدها أبداً»[6].

أقول: الملكات السيئة تنمو تدريجاً، والمراد بالنكتة أول انحراف في

---

(١) الأصول: ص٤٣٩.

(٢) الأصول: ص٤٣٩.

(٣) الأصول: ص٤٤٠.

(٤) سورة القلم: ١٧ ـ ١٩.

(٥) الأصول: ص٤٤٠، المحاسن: ص١١٥.

(٦) الأصول: ص٤٤٠.

الصفة النفسية، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن العبد يسأل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها إلى أجل قريب أو إلى وقت بطيء، فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى للملك: لا تقض حاجته واحرمه إياه فإنه تعرض لسخطي واستوجب الحرمان مني»[1].

وعن ابن فضال، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الرجل يذنب الذنب فيحرم صلاة الليل، وإن العمل السيء أسرع في صاحبه من السكين في اللحم»[2].

وعن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من همّ بالسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب تبارك وتعالى فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك بعد ذلك أبداً»[3].

أقول: حيث يعلم سبحانه أنه لا يوفق للتوبة، وإلا فالله سبحانه ﴿غفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى﴾[4].

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من عبد إلاّ وفي قلبه نكتة بيضاء، فإذا أذنب ذنباً خرج في النكتة نكتة سوداء، فإن تاب ذهب ذلك السواد، وإن تمادى في الذنوب زاد ذلك السواد حتى يغطي (تغطي خ ل) البياض، فإذا غطى البياض لم يرجع صاحبه إلى خير أبداً، وهو قول الله عز وجل: ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾[5]»[6].

وعن أبي عمرو المدايني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: كان أبي (عليه السلام) يقول: «إن الله قضى قضاءً حتماً لا ينعم على العبد بنعمة فيسلبها إياه حتى يحدث العبد

---

(١) الأصول: ص٤٤٠.

(٢) الأصول: ص٤٤٠.

(٣) الأصول: ص٤٤٠، المحاسن: ص١١٥.

(٤) الأصول: ص٤٤٠.

(٥) سورة المطففين: ١٤.

(٦) الأصول: ص٤٤١.

ذنباً يستحق بذلك النقمة»[1].

وعن سماعة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من أنعم الله على عبد نعمة فسلبها إياه حتى يذنب ذنباً يستحق بذلك السلب»[2].

وعن يونس بن يعقوب، عن أبي عبد الله (عليه السلام) إنه قال: «إن أحدكم ليكثر الخوف من السلطان، وما ذلك إلاّ بالذنوب فتوقوها ما استطعتم ولا تمادوا فيها»[3].

أقول: (ليكثر) أي يكثر خوفه من السلطان من باب القلب، مثل (عرضت الناقة على الحوض).

وعن يونس رفعه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا وجع أوجع للقلوب من الذنوب، ولا خوف أشد من الموت، وكفى بما سلف تفكراً، وكفى بالموت واعظاً»[4].

أقول: أي القضايا السابقة من ارتفاع الأشخاص والأمم، وانخفاضهما في مختلف الأبعاد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وغيرها، والصحة والمرض والعلم والجهل إلى غير ذلك، تكفي للإنسان المتفكر أن يأخذ منها عبرته، وعلمه بالموت يكفيه واعظاً في أن ينزجر عن الآثام، فإن الإثم إنما يؤتى به للّذة، فإذا علم الإنسان أنه يموت وتتهدم لذاته صار ذلك سبباً لتركه الآثام.

وعن العباس بن هلال الشامي، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: «كلما أحدث العباد من الذنوب ما لم يكونوا

---

(١) الأصول: ص٤٤١.

(٢) الأصول: ص٤٤١.

(٣) الأصول: ص٤٤٢.

(٤) الأصول: ص٤٤٢.

يعملون أحدث لهم من البلاء ما لم يكونوا يعرفون»[1].

أقول: مثلاً الغناء واللهو في الإذاعات والتلفزيونات، والأحواض المختلطة ونوادي العراة وغير ذلك، ومن البلاء القنابل والصواريخ، والأمراض الجديدة كالأيذر وغيرها بالنسبة إلى عصرنا.

وعن جعفر الجعفري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك»[2].

وعن مفضل بن عمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «يا مفضل إياك والذنوب، وحذرها شيعتنا، فوالله ما هي إلى أحد أسرع منها إليكم، إن أحدكم لتصيبه المعرة من السلطان وما ذلك إلاّ بذنوبه، وإنه ليصيبه السقم وما ذلك إلاّ بذنوبه، وإنه ليحبس عنه الرزق وما هو إلاّ بذنوبه، وإنه ليشدد عليه عند الموت وما ذاك إلاّ بذنوبه، حتى يقول من حضره: لقد غم بالموت»، فلما رأى ما قد دخلني قال: «أتدري لم ذاك»، قلت: لا، قال: «ذاك والله إنكم لا تؤاخذون بها في الآخرة، وعجلت لكم في الدنيا»[3].

أقول: (إليكم) الجسم الألطف يشعر بالألم أكثر، فالشعرة النابتة في العين أكثر إيلاماً من النابتة تحت الإبط مثلاً، والشيعي حيث تقربه إلى الله سبحانه بسبب إطاعته المطلقة له يكون ذنبه موجباً لسرعة مؤاخذته، كما أن المقرب من السلطان أكثر مؤاخذة إذا أذنب من البعيد عنه، فإنه كلما يكون أقرب يلزم أن يكون أكثر تأدباً.

(غم بالموت) أي غمره الموت بشدة من الغيم إذا أخذ آفاق السماء.

(لا تؤاخذون) ذكر الإمام (عليه السلام) علة يفهمها السامع، كما هو شأنهم (عليهم

---

(١) الأصول: ص٤٤٢.

(٢) عقاب الأعمال: ص١٤.

(٣) علل الشرائع: ص١٠٨.

الصلاة والسلام) من (التكلم مع الناس على قدر عقولهم)، والظاهر أن ما ذكرناه هو السبب الأول أو المساوي، لا أنه ليس بسبب أو بسبب ثانوي، والله العالم.

وعن أبي أسامة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «تعوذوا بالله من سطوات الله بالليل والنهار»، قلت: وما سطوات الله، قال: «الأخذ على المعاصي»[1].

وعن عمرو بن عثمان، عن رجل، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «حق على الله أن لا يعصى في دار إلاّ أضحاها للشمس حتى تطهرها»[2].

أقول: (حتى تطهرها) كل البيوت تخرب أخيراً وتضحى للشمس، وإنما بيوت المعاصى تخرب على خلاف القانون الطبيعي، الذي إذا خلي وطبعه كان خرابها بأسباب طبيعية، والتطهير معنوي أو خارجي، لم يكتشف بعد بأن يكون للذنوب آثار خارجية، كالخمر الموجبة للسكر، والزنا الموجب للأمراض الزهرية، وتكون الشمس كما تطهر الأرض عن الأوساخ الظاهرة تطهرها عن مثل هذه الأوساخ الخفية.

وعن الهيثم بن واقد الجزري، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول: «إن الله عز وجل بعث نبياً من أنبيائه إلى قومه، وأوحى إليه أن قل لقومك: إنه ليس من أهل قرية ولا ناس كانوا على طاعتي فأصابهم فيها سراء، فتحولوا عما أحب إلى ما أكره إلاّ تحولت لهم عما يحبون إلى ما يكرهون، وليس من أهل قرية ولا أهل بيت كانوا على معصيتي فأصابهم فيها ضراء، فتحولوا عما أكره إلى ما أحب إلاّ تحولت لهم عما يكرهون إلى ما يحبون، وقل لهم: إن رحمتي سبقت غضبي، فلا تقنطوا من رحمتي، فإنه لا يتعاظم عندي ذنب أغفره، وقل لهم: لا يتعرضوا معاندين لسخطي ولا يستخفوا بأوليائي، فإن لي سطوات عند غضبي لا يقوم لها شيء من خلقي»[3].

أقول: (معاندين) أي في حال كونهم معاندين.

---

(١) الأصول: ص٤٣٩.

(٢) الأصول: ص٤٤٠.

(٣) الأصول: ص٤٤١، عقاب الأعمال: ص٣١.

وعن سليمان الجعفري، عن الرضا (عليه السلام)، قال: «أوحى الله عز وجل إلى نبي من الأنبياء إذا أطعت رضيت، وإذا رضيت باركت، وليس لبركتي نهاية، وإذا عصيت غضبت، وإذا غضبت لعنت، ولعنتي تبلغ السابع من الورى»[1].

أقول: هو أثر وضعي للذنب، كالخمر إذا شربها الوالدان ظهر الولد معيوباً، قال سبحانه: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[2]، أما عدم النهاية للبركة فإن بركة الدنيا تصل إلى الآخرة التي لا نهاية لها، وليس الذنب بلا نهاية إلاّ للمعاندين، ففي الدعاء: (أقسمت أن تخلد فيها المعاندين).

وعن عباد بن صهيب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: يقول الله عز وجل: «إذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني»[3].

أقول: فإن ذلك أكثر إمعاناً في الأذية، لأن من لا يعرف الله لا يخاف الله حتى يحدد أذيته خوفاً من الله، وأكثر إيلاماً حيث تسلط غير الجنس يؤلم الروح أكثر من تسلط الجنس، لأنه لا يفهمه ويؤذيه بدون تقدير له ولو تقديراً في باطنه، وكذلك حال من يعرف الله تعالى فإن المؤمن إذا آذى المؤمن لا يتأذى المصاب بقدر ما يتأذى إذا آذاه الكافر، حيث يعلم في الأول أن قلب المؤذي يحن إليه بخلاف الثاني، فالتألم من غير العارف لله مادي ومعنوي.

وعن ابن عرفة، عن أبي الحسن (عليه السلام)، قال: «إن لله عز وجل في كل يوم وليلة مناد ينادي: مهلاً مهلاً عباد الله عن معاصي الله، فلولا بهائم رتع، وصبية رضع،

---

(١) الأصول: ص٤٤١.

(٢) سورة النساء: ٩.

(٣) الأصول: ص٤٤٢.

وشيوخ ركع، لصب عليكم العذاب صباً ترضون به رضا»[1].

أقول: فالإنسان لا يعذب من أجل البهائم، ويا له من انخفاض عن الإنسانية.

عن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله جل جلاله: «أيما عبد أطاعني لم أكله إلى غيري، وأيما عبد عصاني وكلته إلى نفسه، ثم لم أبال في أي واد هلك»[2].

أقول: تقدم معنى (في أي واد هلك).

قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل: «إذا عصاني من خلقي من يعرفني سلطت عليه من خلقي من لا يعرفني»[3].

وعن ابن أبي عمير، عمن سمع أبا عبد الله الصادق (عليه السلام) يقول: «ما أحب الله من عصاه»، ثم تمثل:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه

هذا محال في الفعال بديع

لو كان حبك صادقاً لأطعته

إن المحب لمن يحب مطيع[4].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «لو لم يتوعد الله على معصيته لكان يجب أن لا يعصى شكراً لنعمه»[5].

أقول: ونستفيد من كلمة أخرى له أن اللازم أن لا يعصى لعظمته، فإنا نحترم العظيم كما جبلنا عليه، لا خوفاً من عقابه، ولا طمعاً في جزائه، ولا لأنه سلف أن أنعم علينا، بل لأنه عظيم فحسب.

---

(١) الأصول: ص٤٤٢.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٥٣.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٥٣، المجالس: ص١٣٨.

(٤) المجالس: ص٢٩٣.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢١٥.

قال: وقال (عليه السلام): «من العصمة تعذر المعاصي»[1].

أقول: كما إذا لم تكن له عين حتى ينظر إلى الأجنبية، أو كان في مكان وحده فلا أحد ليغتاب عنده، ففي ذلك حفظ وعصمة من الله سبحانه، وهي نعمة يجب شكرها.

قال: وقال (عليه السلام) في بعض الأعياد: «إنما هو عيد لمن قبل الله صيامه وشكر قيامه، وكل يوم لا تعصي الله فيه فهو يوم عيد»[2].

فصل في وجوب اجتناب الشهوات واللذات المحرمة

عن حمزة بن حمران، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الجنة محفوفة بالمكاره والصبر، فمن صبر على المكاره في الدنيا دخل الجنة، وجهنم محفوفة باللذات والشهوات، فمن أعطى نفسه لذتها وشهوتها دخل النار»[3].

أقول: (الجنة) مرتفع والمرتفعات دائماً محفوفة بالمكاره، كمن يريد أن يكون فقيهاً أو خطيباً بارعاً أو طبيباً أو مهندساً، إن ذلك لا يمكن إلاّ بالصعوبة والصبر.

و(النار) انخفاض، والمنخفضات لا تحتاج إلى الصعوبة في الوصول إليها، فمن ترك نفسه في هاوية سقط إليها بدون صعوبة، ومن أراد أن لا يكون عالماً سهل عليه المنام والكسل وعدم الاشتغال، إلى غير ذلك، وقد ذكرنا استثناءً من ذلك في كتاب (الحكم في الإسلام) و(حول القرآن الحكيم).

ولا يخفى أن مكاره خاصة حول الجنة، لا كل مكروه، كما أن شهوات خاصة حول النار، لا كل شهوة، فالمجانسة مراعاة في الطرفين.

---

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٦.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٤٦.

(٣) الأصول: ص٣٥٢.

وعن أبي العباس البقباق، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ترك الخطيئة أيسر من طلب التوبة، وكم من شهوة ساعة أورثت حزناً طويلاً، والموت فضح الدنيا فلم يترك لذي لب فرحاً»[1].

أقول: (أيسر) لأنه ليس فيه ذلة الطلب والخوف من عدم الاستجابة.

(فضح الدنيا) فلو لم يكن الموت لم تعرف خسة الدنيا بل كانت ثمينة، كالإناء الذي يتكسر أو لا يتكسر، فإن الثاني له من القيمة ما ليس للأول.

وعن إسماعيل بن مسلم السكوني، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «طوبى لمن ترك شهوة حاضرة لموعد لم يره»[2].

أقول: الإنسان لم ير الآخرة ونعيمها، لكن لا يخفى أن العقل. بالإضافة إلى الشرع. يدل عليها، فمن غير المعقول أن الحكيم يخلق هذا الجهاز المعقد جداً والذي لم يكتشف إلى الآن. انظر (الإنسان ذلك المجهول). لفترة محدودة بهذه الأعمار القصيرة، فهل يعقل أن يبنى العاقل قصراً من أحسن القصور أثاثاً وجمالاً لاستراحة ساعة.

فصل في وجوب اجتناب المحقرات من الذنوب

عن أبي أسامة زيد الشحام، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «اتقوا المحقرات من الذنوب، فإنها لا تغفر»، قلت: وما المحقرات، قال: «الرجل يذنب الذنب فيقول: طوبى لي إن لم يكن لي غير ذلك»[3].

أقول: إن الاستهانة بالذنب تسبب:

أولاً: عدم التوبة منه، فيرى الإنسان

---

(١) الأصول: ص٥١٠.

(٢) الخصال: ج١ ص٥.

(٣) الأصول: ص٤٤٦.

عقابه.

وثانياً: يجرؤ الشخص إلى أمثاله، كمن يستهين بإدخال أصبعه في جحر لاسع، فإنه لا مانع لديه من إدخاله في جحر آخر أو نفس الجحر مرات متعددة.

وعن سماعة، قال: سمعت أبا الحسن (عليه السلام) يقول: «لا تستكثروا كثير الخير، ولا تستقلوا قليل الذنوب، فإن قليل الذنوب تجتمع حتى يكون كثيراً، وخافوا الله في السر حتى تعطوا من أنفسكم النصف»[(١)].

أقول: فإن من لم يخف في السر، لا يعطي حق الناس إلاّ بقدر خوفه من الناس، وذلك خلاف لزوم أداء حق الناس مطلقاً.

وعن زياد، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نزل بأرض قرعاء فقال لأصحابه: ايتوا بحطب، فقالوا: يا رسول الله نحن بأرض قرعاء ما بها من حطب، فقال: فليأت كل إنسان بما قدر عليه، فجاؤوا به حتى رموا بين يديه بعضه على بعض، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): هكذا تجتمع الذنوب، ثم قال: إياكم والمحقرات من الذنوب، فإن لكل شيء طالباً، ألا وإن طالبها يكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين»[(٢)].

أقول: يكتب الذنب الذي قدمه الإنسان كالزنا، وآثاره كالولد الحرام الذي نشأ منه، حيث يكون خبيثاً، أو شرب الخمر فأثر في ضعف ولده حيث إنه جناية بحق هذا الولد، وهكذا.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «اتقوا المحقرات من الذنوب فإن لها طالب، يقول أحدكم: أذنب وأستغفر، إن الله عز وجل يقول: ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم وكل شيء أحصيناه في إمام مبين﴾[(٣)]، وقال عز وجل:

(١) الأصول: ص٤٤٦.

(٢) الأصول: ص٤٤٧.

(٣) سورة يس: ١٢.

﴿إنها إن تك مثقال حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير﴾[1]»[2].

أقول: (أذنب وأستغفر) إذ كثيراً ما لا يوفق للاستغفار، وكثيراً ما يبقى أثره وإن استغفر ويؤخذ بأثره وإن محي عنه الذنب، كمن أكل مال الغير ثم لم يتمكن من رده، أو استغاب ثم خجل من إرضاء صاحبه، إلى غير ذلك.

وعن محمد بن حكيم، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يصغر ما ينفع يوم القيامة ولا يصغر ما يضر يوم القيامة، فكونوا فيما أخبركم الله عز وجل كمن عاين»[3].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «أشد الذنوب ما استهان به صاحبه»[4].

قال: وقال (عليه السلام): «أشد الذنوب ما استخف به صاحبه»[5].

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في حديث المناهي: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «لا تحقروا شيئاً من الشر وإن صغر في أعينكم، ولا تستكثروا شيئاً من الخير وإن كثر في أعينكم، فإنه لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الإصرار»[6].

أقول: فإن الاستغفار بشرائطه يمحو الذنب، والإصرار يحول الصغيرة كبيرة، وقد ذكرنا تفصيله في (الفقه).

وعن خالد (له خ) محمد بن سليمان، عن رجل، عن محمد بن علي (عليه السلام)، إنه

(١) سورة لقمان: ١٦.

(٢) الأصول: ص٤٤٧.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٢٦.

(٤) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٥٦.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٥٦.

(٦) الفقيه: ج٢ ص١٩٩.

قال لمحمد بن مسلم في حديث: «لا تستصغرن حسنة أن تعملها، فإنك تراها حيث يسرك، ولا تستصغرن سيئة تعملها، فإنك تراها حيث تسوؤك» الحديث[1].

وعن ابن أخي الفضيل، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «من الذنوب التي لا تغفر قول الرجل: ليتني لا أؤاخذ إلاّ بهذا»[2].

أقول: تقدم وجه ذلك.

وعن الحسن بن أبي الحسن الديلمي في (الإرشاد) قال: قال (عليه السلام): «إياكم ومحقرات الذنوب، فإن لها من الله طالباً، وإنها لتجتمع على المرء حتى تهلكه»[3].

وعن محمد بن علي الكراجكي في كتاب (كنز الفوائد)، قال: روي عن أحد الأئمة (عليهم السلام) أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله كتم ثلاثة في ثلاثة، كتم رضاه في طاعته، وكتم سخطه في معصيته، وكتم وليه في خلقه، فلا يستخفن أحدكم شيئاً من الطاعات، فإنه لا يدري في أيها رضى الله، ولا يستقلن أحدكم شيئاً من المعاصي فإنه لا يدري في أيها سخط الله، ولا يزرين أحدكم بأحد من خلق الله، فإنه لا يدري أيهم ولي الله»[4].

قال: ومن كلامه (عليه السلام): «لا تنظروا إلى صغير الذنب، ولكن انظروا إلى ما اجترأتم»[5].

أقول: (ما اجترأتم) من عظم الله سبحانه الذي عصاه.

وعن عبد الله بن بكير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من همّ

---

(١) علل الشرائع: ص١٩٩.

(٢) الخصال: ج١ ص١٤.

(٣) الوسائل: ج٦ ص٢٤٧.

(٤) كنز الفوائد: ص١٣.

(٥) كنز الفوائد: ص١٣.

بالسيئة فلا يعملها، فإنه ربما عمل العبد السيئة فيراه الرب فيقول: وعزتي وجلالي لا أغفر لك أبداً»[1].

أقول: تقدم وجه ذلك.

فصل في تحريم كفران نعمة الله

عن سدير، قال: سأل رجل أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿قالوا ربنا باعد بين أسفارنا وظلموا أنفسهم﴾[2] الآية، فقال: «هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضها إلى بعض، وأنهار جارية، وأموال ظاهرة، فكفروا نعم الله وغيروا ما بأنفسهم من عافية الله، فغير الله ما بهم من نعمة الله، وإن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم، فأرسل الله عليهم سيل العرم، فغرق قراهم وخرب ديارهم، وأذهب بأموالهم، وأبدلهم مكان جناتهم جنتين ذواتي أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل، ثم قال: ﴿ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلاّ الكفور﴾[3]»[4].

أقول: تفصيل القصة مذكور في التفاسير، وفي كتب قصص الأنبياء.

وعن عبد الله بن إسحاق الجعفري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «مكتوب في التوراة: اشكر من أنعم عليك، وأنعم على من شكرك، فإنه لا زوال للنعماء إذا شكرت، ولا بقاء لها إذا كفرت، الشكر زيادة في النعم، وأمان من الغير»[5].

---

(١) المحاسن: ص١١٧، عقاب الأعمال: ص٢٤.

(٢) سورة سبأ: ١٩.

(٣) سورة سبأ: ١٧.

(٤) الأصول: ص٤٤١.

(٥) الأصول: ص٣٥٤.

فصل في وجوب اجتناب الكبائر

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: ﴿ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً﴾[1]، قال: «معرفة الإمام واجتناب الكبائر التي أوجب الله عليها النار»[2].

أقول: (معرفة الإمام) هذا من باب المصداق، وقد تقدم أن الحكمة عبارة عن وضع الأشياء موضعها في كل شأن من شؤون العقيدة أو الشريعة.

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً﴾[3]، قال: «الكبائر التي أوجب الله عز وجل عليها النار»[4].

وعن عبد الله بن مسكان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما من عبد إلاّ وعليه أربعون جُنة، حتى يعمل أربعين كبيرة، فإذا عمل أربعين كبيرة انكشفت عنه الجنن»، الحديث[5].

أقول: (جُنة) فإن الله سبحانه يحفظ الإنسان بسبب ما أودع فيه من أسباب الحفظ القلبية، فهي تحول دون تمكن إبليس من صرفه إلى المعاصي، فهو في المعنويات كالدرع التي تقي لابسها عن السهام ونحوها.

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: قال الصادق (عليه السلام): «من اجتنب الكبائر يغفر الله جميع ذنوبه، وذلك قول الله عز وجل: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلاً كريماً﴾[6]»[7].

---

(١) سورة البقرة: ٢٦٩.

(٢) الأصول: ص٤٤٥.

(٣) سورة النساء: ٣١.

(٤) الأصول: ص٤٤٢.

(٥) الأصول: ص٤٤٣، علل الشرائع: ص١٧٩.

(٦) سورة النساء: ٣١.

(٧) الفقيه: ج٢ ص١٩٢.

وعن محمد بن الفضيل (الفضل خ ل)، عن أبي الحسن (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾[1]، قال: «من اجتنب الكبائر ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفر الله عنه سيئاته»[2].

وعن عباد بن كثير النواء، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن الكبائر، فقال: «كل ما أوعد الله عليه النار»[3].

وعن الحسن بن زياد العطار، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «قد سمى الله المؤمنين بالعمل الصالح مؤمنين، ولم يسم من ركب الكبائر، وما وعد الله عز وجل عليه النار مؤمنين في قرآن ولا أثر، ولا تسمهم بالإيمان بعد ذلك الفعل»[4].

أقول: أي الإيمان الكامل كما يظهر من الروايات الأخر.

وعن الفضل بن شاذان، عن الرضا (عليه السلام)، قال: «من أقر بالتوحيد ونفى التشبيه» إلى أن قال: «وأقر بالرجعة باليقين واجتنب الكبائر فهو مؤمن حقاً وهو من شيعتنا أهل البيت»[5].

وعن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أرأيت قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يزني الزاني وهو مؤمن»، قال: «ينزع منه روح الإيمان» الحديث[6].

أقول: ينزع منه روح الإيمان لوضوح أن الملكة تذهب حين المخالفة، كما إذا نسي الإنسان محفوظه ذهبت عنه ملكة الحفظ، وإن رجعت بعد ذلك بتذكر المنسي، فهو وإن بقي مؤمناً باعتبار العقيدة إلاّ أن الإيمان القوي ذاهب عنه حين ارتكاب الحرام.

---

(١) سورة النساء: ٣١.

(٢) ثواب الأعمال: ص٧١.

(٣) عقاب الأعمال: ص٢٠.

(٤) معاني الأخبار: ص١١٧.

(٥) صفات الشيعة: ص٢٨.

(٦) السرائر: ص٤٦٤.

فصل في تعيين الكبائر التي يجب اجتنابها

عن ابن محبوب قال: كتب معي بعض أصحابنا إلى أبي الحسن (عليه السلام)، يسأله عن الكبائر كم هي وما هي، فكتب: «الكبائر من اجتنب ما وعد الله عليه النار، كفر عنه سيئاته إذا كان مؤمناً، والسبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»[1].

أقول: الأعداد المذكورة في الروايات لا مفهوم لها، وإنما يراد ذكر جملة منها حسب الاحتياج في السائل أو نحوه، ومثله مثل صياد يأتي من سيف البحر فيقول لا شيء اليوم حيث يفهم منه الصيد، فإذا جاء من السيف حطاب وقال شيء كثير والحمد لله، لم يناف ذلك، لأن كل واحد تكلم عن ما يمارسه بل قد يأتي صيادان أحدهما صياد سمك والآخر صياد الروبيان، فيقول أحدهما لا شيء، ويقول الآخر شيء كثير.

وعن عبد العظيم بن عبد الله الحسني، قال: حدثني أبو جعفر الثاني (عليه السلام)، قال: سمعت أبي (عليه السلام) يقول: سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام) يقول: دخل عمرو بن عبيد على أبي عبد الله (عليه السلام) فلما سلم وجلس تلا هذه الآية: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش﴾، ثم أمسك، فقال له أبو عبد الله (عليه السلام): «ما أسكتك»، قال: أحب أن أعرف الكبائر من كتاب الله عز وجل.

فقال: نعم يا عمرو، أكبر الكبائر الإشراك بالله، يقول الله: ﴿ومن يشرك بالله﴾ فقد حرم الله عليه الجنة.

وبعده الإياس من روح الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ولا ييأس من روح الله إلاّ القوم الكافرون﴾.

---

(١) الأصول: ص٤٤٢.

ثم الأمن من مكر الله، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ولا يأمن مكر الله إلاّ القوم الخاسرون﴾.

ومنها عقوق الوالدين، لأن الله سبحانه جعل العاق جباراً شقياً.

وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾ إلى آخر الآية.

وقذف المحصنة لأن الله عز وجل يقول: ﴿لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم﴾.

وأكل مال اليتيم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿إنما يأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾.

والفرار من الزحف، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ومن يولهم يومئذ دبره إلاّ متحرفاً لقتال أو متحيزاً إلى فئة فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير﴾.

وأكل الربا، لأن الله عز وجل يقول: ﴿والذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس﴾.

والسحر، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ولقد علموا لمن اشتراه ماله في الآخرة من خلاق﴾.

والزنا، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ومن يفعل ذلك يلق أثاماً، يضاعف له العذاب يوم القيامة ويخلد فيه مهانا﴾.

واليمين الغموس الفاجرة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمناً قليلاً أولئك لا خلاق لهم في الآخرة﴾.

والغلول، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة﴾.

ومنع الزكاة المفروضة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿فتكوى بها جباههم وجنوبهم

وظهورهم﴾.

وشهادة الزور وكتمان الشهادة، لأن الله عز وجل يقول: ﴿ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾.

وشرب الخمر، لأن الله عز وجل نهى عنها كما نهى عن عبادة الأوثان.

وترك الصلاة متعمداً أو شيئاً مما فرض الله عز وجل، لأن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: من ترك الصلاة متعمداً فقد برئ من ذمة الله وذمة رسوله.

ونقض العهد وقطيعة الرحم، لأن الله عز وجل يقول: ﴿لهم اللعنة ولهم سوء الدار﴾.

قال: فخرج عمرو وله صراخ من بكائه وهو يقول: هلك من قال برأيه، ونازعكم في الفضل والعلم[1].

أقول: ذكرنا تفصيل هذه الروايات في (الفقه) باب العدالة.

وقوله: (أو شيئاً مما فرض الله عز وجل) ما يراد فرضاً أكيداً، وإلا فكل الواجبات فرائض الله تعالى.

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: جاء رجل إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: يا أمير المؤمنين إن ناساً زعموا أن العبد لا يزني وهو مؤمن، ولا يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر وهو مؤمن، ولا يأكل الربا وهو مؤمن، ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن، فقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «صدقت، سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقول والدليل كتاب الله»، وذكر الحديث إلى أن قال: «وقد تأتي عليه حالات فيهمّ بالخطيئة فتشجعه روح القوة، ويزين له روح الشهوة، وتقوده روح البدن، حتى يواقع الخطيئة، فإذا لامسها نقص من الإيمان وتفصى منه، فليس يعود فيه حتى يتوب، فإذا تاب تاب

---

(١) الأصول: ص٤٤٥، الفقيه: ج٢ ص١٨٦.

الله عليه، وإن عاد أدخله نار جهنم»[1] الحديث.

أقول: لا شك أن الإنسان له روح وبدن وإرادة، ولعلها هي التي عبر عنها في الرواية بروح القوة إلخ، وكل هذه الثلاثة حسية، تتدخل في كل عمل يريده الإنسان باطلاً كالزنا، أو صحيحاً كالتزويج للزوجة.

وعن عبيد بن زرارة، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الكبائر، فقال: «هن في كتاب علي (عليه السلام) سبع، الكفر بالله، وقتل النفس، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، وأكل مال اليتيم ظلماً، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة»، قال: فقلت: هذا أكبر المعاصي، فقال: «نعم»، قلت: فأكل الدرهم من مال اليتيم ظلماً أكبر أم ترك الصلاة، قال: «ترك الصلاة»، قلت: فما عددت ترك الصلاة في الكبائر، قال: «أي شيء أول ما قلت لك»، قلت: الكفر، قال: «فإن تارك الصلاة كافر يعني من غير علة»[2].

أقول: المراد الكفر العملي لا الكفر الاعتقادي، إذ قد تقدم أن الكفر قسمان، نعم ربما يقال للمعصية كفر، ويراد به الكفر العقيدي مبالغة في التنفير.

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في القنوت في الوتر، إلى أن قال: «واستغفر لذنبك العظيم» ثم قال: «كل ذنب عظيم»[3].

أقول: تقدم أن كل ذنب عظيم بالنسبة إلى من يعصى وإن كان صغيراً في نفسه، فإن كلمة نابية بالنسبة إلى شخص عظيم عظيمة وإن كانت في نفسها صغيرة، حتى إذا قيلت في إنسان عادي لم تكن عظيمة، فإن كلاً من العمل والعامل

(١) الأصول: ص٤٤٤.

(٢) الأصول: ص٤٤٣.

(٣) الفروع: ج١ ص١٢٥، التهذيب: ج١ ص١٧٢.

والمعمول له والزمان والمكان والشرائط لها مدخلية في الصفات اللاحقة بالعمل من الحسن أو القبح أو ما إلى ذلك.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الكبائر سبع، قتل المؤمن متعمداً، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، وكل ما أوجب الله عليه النار»[١].

وعن عبد الله بن سنان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن من الكبائر عقوق الوالدين، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله»[٢].

قال: وقد روي: «أكبر الكبائر الشرك بالله»[٣].

وعن نعمان الرازي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من زنى خرج من الإيمان، ومن شرب الخمر خرج من الإيمان، ومن أفطر يوماً من شهر رمضان متعمداً خرج من الإيمان»[٤].

وعنه، عن محمد بن عبده، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): لا يزني الزاني وهو مؤمن، قال: «لا، إذا كان على بطنها سلب الإيمان، فإذا قام رد إليه، فإذا عاد سلب»، قلت: فإن يريد أن يعود، فقال: «ما أكثر من يريد أن يعود فلا يعود إليه أبداً»[٥].

وعن إسحاق بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في قول الله عز وجل: ﴿الذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش إلاّ اللمم﴾، فقال: «الفواحش الزنا والسرقة، واللمم

(١) الأصول: ص٤٤٢.

(٢) الأصول: ص٤٤٢.

(٣) الأصول: ص٤٤٢.

(٤) الأصول: ص٤٤٢.

(٥) الأصول: ص٤٤٢.

الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه» الحديث[1].

أقول: (اللمم) ما يلم بالإنسان ويجتمع حوله وإن لم يكن ذنباً، فالتعبير عن الصغار به من باب المصداق، مثلاً قد يكون للإنسان دار أو دكان أو بستان، وقد يجتمع حوله قلم وورق وعلبة وكراس، فإنها تسمى باللمم، وغالباً يترك المؤمن الزنا ونحوه من العظائم، أما مثل ضحكة ونظرة وكلمة نابية وإشارة باستهزاء وما أشبه فهي غالبية في المتدينين غير العدول، وهي اللمم التي إن اجتنب الإنسان الكبار يعفى عنها، والله العاصم.

وعن داود، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا زني الرجل فارقه روح الإيمان»، قال: فقال: «هو مثل قول الله عز وجل: ﴿ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون﴾ ثم قال: غير هذا أبين منه، ذلك قول الله عز وجل: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ وهو الذي فارقه»[2].

أقول: كلا القولين للإمام، والفارق أن الأول سلبي حيث (تيمم الخبيث) أي قصده، والثاني إيجابي حيث إن الروح تأمر بالفضائل، أو إن الثاني أعم حيث إن الأول خاص بترك الحرام، والثاني أعم من ترك الحرام وفعل الواجب، والإمام أراد التدرج للتوضيح أكثر.

وعن مسعدة بن صدقة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «الكبائر القنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، وقتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار بعد الزحف» الحديث[3].

أقول: (القنوط) من أن لا تشمله الرحمة، و(اليأس) من مجيء الرحمة، فهما

---

(١) الأصول: ص٤٤٢.

(٢) الأصول: ص٤٤٢.

(٣) الأصول: ص٤٤٣.

أمران، وإن كان يطلق كل منهما على الآخر إن استقل بالذكر، فهما كالظرف والجار والمجرور.

وعن ابن بكير، قال: قلت لأبي جعفر (عليه السلام) في قول رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا زنى الرجل فارقه روح الإيمان»، قال: «هو قوله: ﴿وأيدهم بروح منه﴾ ذاك الذي يفارقه»[1].

وعن الفضيل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «يسلب منه روح الإيمان ما دام على بطنها، فإذا نزل عاد الإيمان»، قال قلت: أرايت إن همّ، قال: «لا، أرأيت إن همّ أن يسرق أتقطع يده»[2].

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «الكبائر سبعة، منها قتل النفس متعمداً، والشرك بالله العظيم، وقذف المحصنة، وأكل الربا بعد البينة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة، وعقوق الوالدين، وأكل مال اليتيم ظلماً»، قال: «والتعرب والشرك واحد»[3].

أقول: (ظلماً) لأنه قد يأكل المشرف على تربية اليتيم من ماله بقدر حقه في التربية، فإنه أكل جائز على ما فصل في كتاب (الفقه).

(المحصنة) قد ذكر في باب القذف أن قذف العاهرة ليس له حكم القذف المذكور في الكتاب والسنة.

(واحد) أي واحد من حيث الأثر، فإن من ذهب إلى بلد لا يتمكن من إظهار شعائر الإسلام كان هو والمشرك في الظاهر سواء، إذ كل منهما لا يصلي ولا يصوم ولا يحج ولا، ولا، ظاهراً.

وعن زياد الكناسي، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «والذي إذا دعاه أبوه لعن أباه،

---

(١) الأصول: ص٤٤٣.

(٢) الأصول: ص٤٤٣.

(٣) الأصول: ص٤٤٣.

والذي إذا أجابه ابنه يضربه»[1].

أقول: فإن في الأول عقوقاً، وفي الثاني قطع رحم.

وعن محمد بن حكيم، قال: قلت لأبي الحسن موسى (عليه السلام): الكبائر تخرج من الإيمان، فقال: «نعم وما دون الكبائر»، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن»[2].

وعن عبيد بن زرارة في حديث، إن أبا جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (عليه السلام): «لا يزني الزاني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق وهو مؤمن»[3].

وعن أبي الصامت، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أكبر الكبائر سبع، الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، وأكل أموال اليتامى، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وإنكار ما أنزل الله عز وجل» الحديث[4].

وعن علي بن جعفر، في كتابه عن أخيه موسى بن جعفر (عليه السلام)، قال: سألته عن الكبائر التي قال الله عز وجل: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه﴾ قال: «التي أوجب الله عليها النار»[5].

وعن عبد الرحمن ابن كثير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الكبائر سبع، فينا أنزلت، ومنا استحلت، فأولها الشرك بالله العظيم، وقتل النفس التي حرم الله، وأكل مال اليتيم، وعقوق الوالدين، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف،

---

(١) الأصول: ص٤٤٤.

(٢) الأصول: ص٤٤٥.

(٣) الأصول: ص٤٤٥.

(٤) التهذيب: ج١ ص٣٩٣.

(٥) بحار الأنوار: ج١٠ ص٢٦٨.

وإنكار حقنا» الحديث[1].

أقول: (فينا أنزلت) أي الآيات، ولذا نحن أعلم بالأحكام، والظاهر أن (منا استحلت) يراد به أنهم استحلوا المحرمات بالنسبة إلينا فقتلونا، وأكلوا أموال اليتامى.

قال: وروي أن الحيف في الوصية من الكبائر[2].

وعن عباد بن كثير النواء، قال: سألت أبا جعفر (عليه السلام) عن الكبائر، فقال: «كل ما أوعد الله عليه النار»[3].

وبإسناده عن أبي خديجة سالم بن مكرم الجمال، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «الكذب على الله وعلى رسوله وعلى الأوصياء من الكبائر»[4].

قال وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من قال عليّ ما لم أقل فليتبوأ مقعده من النار»[5]

وعن محمد بن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «وجدنا في كتاب علي (عليه السلام) الكبائر خمسة: الشرك، وعقوق الوالدين، وأكل الربا بعد البينة، والفرار من الزحف، والتعرب بعد الهجرة»[6].

وعن عبيد بن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): أخبرني عن الكبائر، فقال: «هن خمس، وهن مما أوجب الله عليهن النار، قال الله تعالى: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾، وقال ﴿إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلماً إنمايأكلون في بطونهم ناراً وسيصلون سعيراً﴾.

---

(١) الفقيه: ج٢ ص١٨٦، الخصال: ج٢ ص١٤.

(٢) الفقيه: ج٢ ص١٨٧.

(٣) الفقيه: ج٢ ص١٩٠.

(٤) الفقيه: ج٢ ص١٩٠.

(٥) الفقيه: ج٢ ص١٩٠.

(٦) علل الشرائع: ص١٦٢، الخصال: ج١ ص١٣١.

وقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم الذين كفروا زحفاً فلا تولوهم الأدبار﴾ إلى آخر الآية، وقال عز وجل: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا﴾ إلى آخر الآية، ورمي المحصنات الغافلات المؤمنات، وقتل مؤمن متعمداً على دينه»[1].

أقول: الشرك من الكبائر بلا إشكال، قال سبحانه: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به﴾[2]، والإشكال عليه بأنه كيف يكون من الكريم الرحيم غير المحتاج، العقاب على من لم يعترف به أو جعل معه غيره، والحال أن الإنسان المتحلي بالفضائل لا يفعل ذلك بالنسبة إلى نفسه فكيف برب العالمين، غير وارد فإن أخبار الطينة تجيب على ذلك، فإن كل شيء خلق من شيء يناسبه يرجع بالآخرة إليه للمجانسة، والمشركون مخلوقون من طينة سجين، أما كيفية العقاب فقد تقدم الكلام فيه وأن الخلود للمعاندين، وقد ألمعنا إلى بعض ذلك في (الأصول) بعد وضوح أن العقاب من الضروريات الإسلامية وأنه (جزاءً وفاقاً).

وعن محمد بن علي، عن آبائه، عن الصادق (عليهم السلام)، قال: «عقوق الوالدين من الكبائر، لأن الله جعل العاق عصياً شقياً»[3].

وبهذا الإسناد قال (عليه السلام): «وقتل النفس من الكبائر، لأن الله يقول: ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾[4]»[5].

وبهذا الإسناد قال (عليه السلام): «وقذف المحصنات من الكبائر، لأن الله يقول: لعنوا في الدنيا والآخرة ولهم عذاب عظيم»[6].

---

(١) عقاب الأعمال: ص١٩، علل الشرائع: ص١٦٢.

(٢) سورة النساء: ٤٨.

(٣) علل الشرائع: ص١٦٣.

(٤) سورة النساء: ٩٣.

(٥) علل الشرائع: ص١٦٣.

(٦) علل الشرائع: ص١٦٤.

وعن أحمد بن عمر الحلبي، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿إن تجتنبوا كبائر ماتنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم﴾ قال: «من اجتنب ما أوعد الله عليه النار إذا كان مؤمناً كفر عنه سيئاته وأدخله مدخلاً كريماً، والكبائر السبع الموجبات: قتل النفس الحرام، وعقوق الوالدين، وأكل الربا، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، وأكل مال اليتيم، والفرار من الزحف»[1].

وفي (عيون الأخبار) بأسانيده عن الفضل بن شاذان، عن الرضا (عليه السلام) في كتابه إلى المأمون قال: «الإيمان هو أداء الأمانة واجتناب جميع الكبائر، وهو معرفة بالقلب وإقرار باللسان وعمل بالأركان»، إلى أن قال: «واجتناب الكبائر، وهي قتل النفس التي حرم الله تعالى، والزنا، والسرقة، وشرب الخمر، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به من غير ضرورة، وأكل الربا بعد البينة، والسحت، والميسر وهو القمار، والبخس في المكيال والميزان، وقذف المحصنات، والزنا، واللواط، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعونة الظالمين والركون إليهم، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير عسر، والكذب، والكبر، والإسراف، والتبذير، والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والاشتغال بالملاهي، والإصرار على الذنوب»[2].

أقول: (السحت) هو أكل مال الناس بالباطل.

(والأمن من مكر الله) بأن يتصور الإنسان أنه يعصي وأن الله ليس بصدد عقوبته في الدنيا، بما يخفى عليه أنه كيف ومتى يعاقبه، فإن ذلك يوجب السدور في الغي والعصيان.

و(الغموس) اليمين الكاذبة وتسمى بذلك لأنها تغمس بصاحبها في الإثم أو في النار، كما يغمس

---

(١) ثواب الأعمال: ص٧١.

(٢) عيون الأخبار الرضا: ص٢٦٨.

الإنسان في الماء إلى قمة رأسه.

(الإسراف والتبذير) الفرق بينهما إن جمعا أن الأول الزيادة عما ينبغي، والثاني كون أصله لا ينبغي، فإذا صرف الشخص مداً من ماء في غسل آنية يحتاج إلى نصف مد كان سرفاً، وإذا صب المد على الأرض بدون غسل شيء كان تبذيراً.

(الذنوب) أي الصغائر فإن الإصرار يوجب كونها كبيرة كما تقدم.

وفي رواية أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «اجتنبوا السبع الموبقات»، قيل: وما هن، قال: «الشرك بالله، والسحر، وقتل النفس التي حرم الله إلاّ بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات»[1].

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قلت له: ما لنا نشهد على من خالفنا بالكفر، وما لنا لا نشهد لأنفسنا ولأصحابنا أنهم في الجنة، فقال: «من ضعفكم، إن لم يكن فيكم شيء من الكبائر فاشهدوا أنكم في الجنة»، قلت: فأي شيء الكبائر، قال: «أكبر الكبائر الشرك بالله، وعقوق الوالدين، والتعرب بعد الهجرة، وقذف المحصنة، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، والربا بعد البينة، وقتل المؤمن»، فقلت له: الزنا والسرقة، فقال: «ليسا من ذلك»[2].

أقول: أي ليسا من أكبر الكبائر وإن كانا كبيرتين كما تقدم، فإن الكبائر لها درجات أيضاً.

وبإسناده عن الأعمش، عن جعفر بن محمد (عليه السلام) في حديث شرائع الدين، قال: «والكبائر محرمة، وهي الشرك بالله، وقتل النفس التي حرم الله، وعقوق الوالدين، والفرار من الزحف، وأكل مال اليتيم ظلماً، وأكل الربا بعد البينة،

(١) الخصال: ج٢ ص١٤.

(٢) الخصال: ج٢ ص٤١.

وقذف المحصنات، وبعد ذلك الزنا واللواط والسرقة وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به من غير ضرورة، وأكل السحت، والبخس في الميزان والمكيال، والميسر، وشهادة الزور، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله، والقنوط من رحمة الله، ومعاونة المظلومين، والركون إلى الظالمين، واليمين الغموس، وحبس الحقوق من غير إعسار، واستعمال التكبر والتجبر، والكذب والإسراف والتبذير، والخيانة، والاستخفاف بالحج، والمحاربة لأولياء الله، والملاهي التي تصد عن ذكر الله عز وجل مكروهةٌ كالغناء وضرب الأوتار، والإصرار على صغائر الذنوب»[1].

أقول: (معاونة المظلومين) من الإضافة إلى المفعول أي معاونة الظالمين عليهم، أو المراد ترك معاونة المظلومين، ولعل في النسخة سقطاً.

(مكروهة) الكراهة تستعمل بمعنى الحرام، قال سبحانه: ﴿كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً﴾[2].

وعن محمد بن علي الكراجكي في (كنز الفوائد)، قال: قال (عليه السلام): «الكبائر تسع، أعظمهن الإشراك بالله عز وجل، وقتل النفس المؤمنة، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، والفرار من الزحف، وعقوق الوالدين، واستحلال البيت الحرام، والسحر، فمن لقي الله عز وجل وهو بريء منهن كان معي في جنة مصاريعها الذهب»[3].

أقول: (استحلال البيت الحرام) أي هتك حرمته.

(مصاريعها) أي أبوابها، جمع مصراع، إحد فردي الباب.

---

(١) الخصال: ج٢ ص١٥٥.

(٢) سورة الإسراء: ٣٨.

(٣) كنز الفوائد: ص١٨٤.

فصل في وجوب التوبة من الكبائر

عن سليمان بن خالد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، الكبائر فماسواها، قال: قلت: دخلت الكبائر في الاستثناء، قال: «نعم»[1].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): «الكبائر فيها استثناء أن تغفر لمن يشاء، قال: «نعم»[2].

وعن هشام بن سالم، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من مؤمن يقارف في يومه وليلته أربعين كبيرة فيقول وهو نادم: أستغفر الله الذي لا إله إلاّ هو الحي القيوم، بديع السماوات والأرض، ذا الجلال والإكرام، وأسأله أن يصلي على محمد وآله وأن يتوب عليّ، إلاّ غفرها الله له، ولا خير في من يقارف في يومه أكثر من أربعين كبيرة»[3].

أقول: بشرط أن يعمل بموجبات التوبة كما في روايات أخر.

محمد بن علي بن الحسين، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي»[4].

أقول: (الشفاعة) أن يكون الإنسان المؤهل شفعاً إلى جانب المؤهل للغفران، كما أن الحمال لا يقدر على حمل الشيء الثقيل فيساعده غيره حتى يتمكن من الحمل، أو السيارة لا تتمكن من السير لعطب فيها، فيدفعها إنسان حتى تسير،

(١) الأصول: ص٤٤٥.

(٢) الأصول: ص٤٤٥.

(٣) الأصول: ص٥٠٤.

(٤) الفقيه: ج٢ ص١٩٢.

ومن الواضح اشتراط المؤهلية فيهما، فلا تنفع الشفاعة في حمل شيء ثقيل لغير الحمال الذي لا يتمكن أن يحمله، أو لدفع سيارة لا عجلات لها، كما أن الشافع يجب أن يكون أهلاً، فالفاسق الذي يصلح للجنة لكن عنده قلة، مثلاً يدخل الجنة صاحب المائة وهو صاحب التسعين، فإن النبي (صلى الله عليه وآله) الذي له المليارات يعطي من نفسه عشرة له حتى يكمل مائة فيدخل الجنة، والقول بأن ذلك تشجيع على العصيان أو أنه كالولد الفاشل في الامتحان يشفع له الأستاذ فيعطيه الدرجة المؤهلة له للصف اللاحق أو للشهادة غير تام، إذ هو تشجيع على عدم اليأس ﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾[1]، ونتيجة الشفاعة للفاشل أنه يدخل المجتمع بدون علم يؤهله للخدمة فيكون ما يفسده كثيراً، وليس كذلك حال الدخول في الجنة، والكلام في هذا المقام طويل نكتفي منه بهذا القدر.

قال: وقال الصادق (عليه السلام): «شفاعتنا لأهل الكبائر من شيعتنا، فأما التائبون فإن الله يقول: ﴿ما على المحسنين من سبيل﴾[2]».

قال: وقال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا شفيع أنجح من التوبة»[3].

قال: وسئل الصادق (عليه السلام) عن قول الله عز وجل: ﴿إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾، دخلت الكبائر في مشية الله، قال: «نعم إن شاء عذب عليها، وإن شاء عفا»[4].

وعن أبي السفاتج، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في قول الله عز وجل: ﴿ومن يقتل

(١) سورة ص: ٥٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص١٩٢.

(٣) الفقيه: ج٢ ص١٩٢.

(٤) الفقيه: ج٢ ص١٩٢.

مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها﴾، قال: «جزاؤه جهنم إن جازاه»[1].

أقول: (إن جازاه) أي إن لم تدركه الشفاعة أو المغفرة من الله سبحانه، وإن لم يتب هو في الدنيا، فالمعنى جزاؤه جهنم إن وصل الأمر إلى الجزاء.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث الإسلام والإيمان، قال: «والإيمان من شهد أن لا إله إلاّ الله» إلى أن قال: «ولم يلق الله بذنب أوعد عليه بالنار»، قال أبو بصير: جعلت فداك وأينا لم يلق الله إليه بذنب أوعد الله عليه النار، فقال: «ليس هو حيث تذهب، إنما هو من لم يلق الله بذنب أوعد الله عليه بالنار ولم يتب منه»[2].

وعن سهل بن اليسع، قال: «سمع الرضا (عليه السلام) بعض أصحابه يقول: لعن الله من حارب علياً (عليه السلام)، فقال له: «قل إلاّ من تاب وأصلح»، ثم قال: «ذنب من تخلف عنه ولم يتب أعظم من ذنب من قاتله ثم تاب»[3].

وعن محمد بن أبي عمير، قال: سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام)، يقول: «من اجتنب الكبائر من المؤمنين لم يسأل عن الصغائر، قال الله تعالى: ﴿إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريماً﴾ ». قال: قلت: فالشفاعة لمن تجب، فقال: حدثني أبي عن آبائه عن علي (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إنما شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي، فأما المحسنون فما عليهم من سبيل».

قال ابن أبي عمير: فقلت له: يا بن رسول الله فكيف تكون الشفاعة لأهل الكبائر، والله تعالى يقول: ﴿ولا يشفعون إلاّ لمن ارتضى﴾، ومن يرتكب الكبائر لا يكون مرتضى، فقال: «يا أبا أحمد ما من مؤمن يذنب ذنباً إلاّ ساءه ذلك وندم عليه، وقد قال رسول الله

---

(١) معاني الأخبار: ص١٠٨.

(٢) معاني الأخبار: ص١٠٨.

(٣) عيون الأخبار الرضا: ص٢٤٠.

(صلى الله عليه آله): كفى بالندم توبة، وقال: من سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن، فمن لم يندم على ذنب يرتكبه فليس بمؤمن ولم تجب له الشفاعة» إلى أن قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «لا كبير مع الاستغفار، ولا صغير مع الإصرار» الحديث[1].

أقول: كثيراً ما كان الرواة بعد أهليتهم لا يقدرون على فهم المطالب، فيضطرون (عليهم الصلاة والسلام) إلى كلام يناسب مداركهم الهابطة، و(من ارتضى) في الآية، أي من ارتضي شفاعته، لا أن يكون العاصي مرتضى، وحيث لم يتمكن الراوي من فهم كلام الإمام، تنزل الإمام إلى مدركه، فأجاب بما أجاب، وإلا فلا شبهة في أن الشفاعة تنال غير التائب أيضاً.

وعن إبراهيم بن العباس، قال: كنت في مجلس الرضا (عليه السلام) فتذاكرنا الكبائر وقول المعتزلة فيها إنها لا تغفر، فقال الرضا (عليه السلام): قال أبو عبد الله (عليه السلام): «قد نزل القرآن بخلاف قول المعتزلة، قال الله عز وجل: ﴿وإن ربك لذو مغفرة للناس على ظلمهم﴾ الحديث»[2].

وعن جندب الغفاري، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «إن رجلاً قال يوماً: والله لا يغفر الله لفلان، فقال الله عز وجل: من ذا الذي تألّى عليّ أن لا أغفر لفلان، فإني قد غفرت لفلان وأحبطت عمل الثاني بقوله: لا يغفر الله لفلان»[3].

أقول: (تألى) من (الألية) بمعنى الحلف، (أحبطت) لأنه قال بلا علم، وتجرأ على تقسيم رحمة الله سبحانه مما أوجب له الذنب، ولا يخفى أن الإحباط له مراتب.

وعن هشام، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء﴾،

---

(١) التوحيد: ص٤١٨.

(٢) التوحيد: ص٤١٧.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص٣٦.

دخلت الكبائر في الاستثناء، قال: «نعم»[1].

فصل في تحريم الإصرار على الذنب

عن أبي بصير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «لا والله، لا يقبل الله شيئاً من طاعته على الإصرار على شيء من معاصيه»[2].

أقول: قال سبحانه: ﴿إنما يتقبل الله من المتقين﴾[3]، ولا يخفى أن عدم القبول غير العقاب، فمن يبني داراً لإنسان قد يثيبه بالأجر، وقد لا يثيبه وإن لم يعاقبه، فهذا عدم القبول، فمن صلى بشرائطها إن كان متقياً أثيب، وإن لم يكن متقياً لم يثب ولم يعاقب، وإن لم يصل عوقب.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من علامات الشقاء جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار على الذنب»[4].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار»[5].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قول الله عز وجل: ﴿ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون﴾ قال: الإصرار أن يذنب الذنب فلا يستغفر الله ولا يحدث نفسه بالتوبة فذلك الإصرار»[6].

(١) تفسير القمي: ص١٢٨.

(٢) الأصول: ص٤٤٧.

(٣) سورة المائدة: ٢٧.

(٤) الأصول: ص٤٤٧.

(٥) الأصول: ص٤٤٧.

(٦) الأصول: ص٤٤٧.

وعن عبد الله بن إبراهيم الجعفري، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، قال قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أذنب ذنباً وهو ضاحك دخل النار وهو باك»[١].

فصل في ما يلزم أو ينبغي تركه من الخصال المحرمة والمكروهة

عن أبي بصير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أصول الكفر ثلاثة، الحرص والاستكبار والحسد» الحديث[٢].

أقول: الحريص يترك أوامر الله لحرصه على المال ونحوه، والمستكبر يرى نفسه فوق أوامر الله وأوليائه، والحسود يحسد أولياء الله فلا يخضع لهم، وكل الثلاثة تجر إلى الكفر عقيدياً أو عملياً.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «أركان الكفر أربعة: الرغبة والرهبة والسخط والغضب»[٣].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أول ما عصي الله به ستة، حب الدنيا، وحب الرياسة، وحب الطعام، وحب النوم، وحب الراحة، وحب النساء»[٤].

أقول: (أول) لعل المراد في الرتبة، لا في الزمان.

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث من كن فيه كان منافقاً وإن صام وصلى وزعم أنه مسلم، من إذا ائتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، إن الله عز وجل قال في كتابه: ﴿إن الله لا يحب

(١) عقاب الأعمال: ص١٤.

(٢) الأصول: ص٤٤٧.

(٣) الأصول: ص٤٤٧.

(٤) الأصول: ص٤٤٧.

الخائنين﴾[1]، وقال: ﴿أنّ لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين﴾[2]، وفي قوله: ﴿واذكر في الكتاب إسماعيل إنه كان صادق الوعد وكان رسولاً نبياً﴾[3]»[4].

وعن أبي حمزة، عن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ألا أخبركم بشرار رجالكم»، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: «شرار رجالكم البهات، الجريء، الفحاش، الآكل وحده، والمانع رفده، والضارب عبده، والملجي عياله إلى غيره»[5].

أقول: (الجريء) أي على العصيان، (غيره) في المعيشة أو في قضايا الجنس حيث لا يقوم بالواجب عليه فيهما.

وعن يزيد الصائغ، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): رجل على هذا الأمر إن حدث كذب، وإن وعد أخلف، وإن ائتمن خان، ما منزلته، قال: «هي أدنى المنازل من الكفر وليس بكافر»[6].

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: خطب رسول الله (صلى الله عليه وآله) الناس فقال: «ألا أخبركم بشراركم، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: الذي يمنع رفده، ويضرب عبده، ويتزود وحده، فظنوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شر من هذا، ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شر من ذلك، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الذي لا يرجى خيره، ولا يؤمن شره، فظنوا أن الله لم يخلق خلقاً هو شر من هذا، ثم قال: ألا أخبركم بمن هو شر من ذلك، قالوا: بلى، قال: المتفحش اللعان الذي إذا ذكر عنده المؤمنون لعنهم، وإذا ذكروه لعنوه»[7].

أقول: (الفحش) التجاوز عن الحد في أي شي كان، فهو غير اللعان.

وعن يونس، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ألا أخبركم بأبعدكم مني شبهاً، قالوا: بلى يا رسول الله، فقال: الفاحش المتفحش البذيء البخيل المختال الحقود الحسود القاسي القلب

---

(١) سورة الأنفال: ٥٨.

(٢) سورة النور: ٧.

(٣) سورة مريم: ٥٤.

(٤) الأصول: ص٤٤٨.

(٥) الأصول: ص٤٤٨.

(٦) الأصول: ص٤٤٧.

(٧) الأصول: ص٤٤٧.

البعيد من كل خير يرجى، غير المأمون من كل شر يتقى»[1].

أقول: (المتفحش) هو المتجاوز عن الحد في الفحش الذي هو تجاوز الحد أيضاً.

وعن ميسر، عن أبيه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «خمسة لعنتهم وكل نبي مجاب، الزائد في كتاب الله، والتارك لسنتي، والمكذب بقدر الله، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمستأثر بالفيء المستحل له»[2].

أقول: (لسنتي) أي طريقتي، لا بمعنى التارك للمستحبات.

وعن سليم بن قيس الهلالي، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «بني الكفر على أربع دعائم، الفسق، والغلو، والشك، والشبهة.

والفسق على أربع شعب: على الجفا، والعمى، والغفلة، والعتو.

والغلو على أربع شعب: على التعمق بالرأي، والتنازع فيه، والزيغ، والشقاق.

والشك على أربع شعب: على المرية، والهوى، والتردد، والاستسلام.

والشبهة على أربع شعب: إعجاب بالزينة، وتسويل النفس، وتأول العوج، ولبس الحق بالباطل.

والنفاق على أربع دعائم: على الهوى، والهوينا، والحفيظة، والطمع.

والهوى على أربع شعب، على البغي، والعدوان، والشهوة، والطغيان.

والهوينا على أربع شعب: على الغرة، والأمل، والهينة، والمماطلة.

والحفيظة على أربع شعب: على الكبر، والفخر، والحمية، والعصبية.

(١) الأصول: ص٤٤٨.

(٢) الأصول: ص٤٤٨.

والطمع على أربع شعب: الفرح، والمرح، واللجاجة، والتكاثر» الحديث[1].

أقول: جعل الإمام (عليه السلام) كل واحد من (الكفر) و(النفاق) على ستة عشر دعامة، والظاهر أنه من باب غالب الأصول لهما لا الحصر، ثم تفصيل الكلام في ذلك، والفرق بين بعضها مع بعض، وبين ما ذكر في هذه الرواية وما لم يذكر بحاجة إلى طول خارج عن حوصلة هذا الموجز.

مثلاً (الفسق) خروج عن الطاعة و(الغلو) ارتفاع عن قدر الطاعة اللازمة، و(الشك) تردد في الأمر و(الشبهة) جعل شيء شبيهاً بشيء آخر من غير جامع.

(على المرية) أي يظهر الشك من جهة المماراة، أو من جهة أن هواه خلاف الحق، فيظهر الشك فيه، أو أنه واقعاً متردد، أو أنه يستسلم للباطل فيظهر الشك في الحق، وهكذا.

وعن أبي حمزة، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «إن المنافق ينهى ولا ينتهي، ويأمر بما لا يأتي، إذا قام إلى الصلاة اعترض»، قلت: يا بن رسول الله وما الاعتراض، قال: الالتفات، «وإذا ركع ربض، يمسي وهمه العشاء وهو مفطر، ويصبح وهمه النوم ولم يسهر، إن حدثك كذبك، وإن ائتمنته خانك، وإن غبت اغتابك، وإن وعدك أخلفك»[2].

أقول: (ربض) أي جعل نفسه كالغنم الرابض، لا كحالة الركوع المأمور به في الشريعة من آداب استواء الرجلين وجعل الظهر معتدلاً ومد العنق ووضع اليدين على الركبتين.

وعن الحسن الطبرسي في (مكارم الأخلاق)، عن ابن مسعود، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في وصية طويلة، قال: «سيأتي أقوام يأكلون طيب الطعام وألوانها، ويركبون الدواب، ويتزينون بزينة المرأة لزوجها، ويتبرجون تبرج النساء، وزينتهن مثل زي الملوك

---

(١) الأصول: ص٤٨٦.

(٢) الأصول: ص٤٨٧.

الجبابرة، هم منافقوا هذه الأمة في آخر الزمان، شاربون بالقهوات، لاعبون بالكعاب، راكبون الشهوات، تاركون الجماعات، راقدون عن العتمات، مفرطون في الغدوات، يقول الله تعالى: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غياً﴾[1]»[2].

أقول: (تبرج النساء) كما أن المرأة إذا أرادت الخروج تزينت بالزينة كذلك إذا خرجوا من بيوتهم يتزينون للناس، (القهوة) الخمر، (الكعاب) قسم من القمار، (في الغدوات) أي يفرطون في المأكل في الصباح، أو أن أمورهم على نحو الإفراط في كل نهار، لا على نحو الوسط والتعقل.

وعن حماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي لعلي (عليه السلام)، قال: «يا علي، خلق الله عز وجل الجنة لبنتين، لبنة من ذهب، ولبنة من فضة» إلى أن قال: «فقال الله جل جلاله: وعزتي وجلالي لا يدخلها مدمن خمر، ولا نمام، ولا ديوث ولا شرطي ولا مخنث ولا نباش ولا عشار ولا قاطع رحم ولا قدري»[3].

أقول: (قدري) أي من ينسب كل شيء إلى القدر، وهم المجبرة.

وقال (صلى الله عليه وآله): «يا علي، كفر بالله العظيم من هذه الأمة عشرة، القتات، والساحر، والديوث، والناكح المرأة حراماً في دبرها، وناكح البهيمة، ومن نكح ذات محرم، والساعي في الفتنة، وبائع السلاح من أهل الحرب، ومانع الزكاة، ومن وجد سعة فمات ولم يحج» إلى أن قال: «يا علي، تسعة أشياء تورث النسيان، أكل التفاح الحامض، وأكل الكزبرة، والجبن، وسؤر الفار، وقراءة كتابة القبور، والمشي بين امرأتين

(١) سورة مريم: ٥٩.

(٢) مكارم الأخلاق: ٢٤٩.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٣٤.

وطرح القملة، والحجامة في النقرة، والبول في الماء الراكد»[1].

أقول: (كفر) أي الكفر العملي، والاختصاص بالعشرة من باب أنها من أهم المعاصي، أو المراد المجاز أي إنهم كالكافر العقيدي، مثل زيد أسد، (في دبرها) الخصوصية لأجل أن بعض الشباب يصادقون الأبكار وخوفاً على الفضيحة في وطي القبل يطؤون الدبر، (البهيمة) يمكن أن يشمل كل واحد من وطي البهيمة وموطوئها كما يفعله بعض الفسقة من الرجال بوطي القرد ونحوه في دبرهم، ومن النساء بوطي القرد ونحوه في قبلهن، (النسيان) لا يبعد أن يكون كل ذلك من الأسباب الطبيعية وإن لم يظهر بعد للعلم الربط بينها وبين النسيان، كما يحتمل أن يكون بعضها بأسباب غيبية.

قال: وقال الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام): «من لم يبال ما قال وما قيل فيه فهو شرك شيطان، ومن لم يبال أن يراه الناس نسياً فهو شرك شيطان، ومن اغتاب أخاه المؤمن من غير ترة بينهما فهو شرك شيطان، ومن شغف بمحبة الحرام وشهوة الزنا فهو شرك شيطان».

ثم قال: «إن لولد الزنا علامات، أحدها بغضنا أهل البيت، وثانيها أن يحن إلى الحرام الذي خلق منه، وثالثها الاستخفاف بالدين، ورابعها سوء المحضر للناس، ولا يسيء محضر إخوانه إلاّ من ولد على غير فراش أبيه أو حملت به أمه في حيضها»[2].

أقول: (شرك شيطان) أي الشيطان اشترك في نطفته، على ما تقدم بيانه، أو المراد أنه حبالة الشيطان يصيد به المؤمنين، فإن الأشرار من أسباب الشيطان في انحراف الناس.

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٣٧.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٦٠.

(نسياً) أي تاركاً للأحكام كأنه نسيها، والحاصل لا يبالي بالمحرمات، ولا حياء له فلا يبالي بأن يراه الناس كذلك، قال سبحانه: ﴿وما كان ربك نسياً﴾[1].

(ترة) من وتر يتر، على وزن وعد يعد عدة، والمراد تنازع وتخاصم.

(بغضنا) لا يراد الكلية من أحد الجانبين، حتى أن كل مبغض ولد زنا، فالأول لم يكن ولد زنا وقد كان مبغضاً، أو كل ولد زنا مبغض، ولذا يكثر ولد الزنا في غير المسلمين وهم لا يعرفون الإسلام أصلاً، بل على نحو الجزئية، فإن ولد الزنا منحرف طبعاً، والمنحرف من طبعه معاداة الكرام.

(في حيضها) إما المراد التلوث بالحيض وإن كانت طاهرة، أو المراد من الحيض مطلق الدم، حيث إن كلا من الحيض والاستحاضة من (حاض) وأصله فوران السائل ماءً، ومنه (الحوض) أو دماً أو غيرهما، فالدم الشهري حيض لأنه يأتي من باب الطبيعة، أما الاستحاضة فهي مرض فكأن المرأة بعدم مبالاتها بصحتها طلبت هي أن يفور الدم، وهذا على ما ذكره الأطباء الجدد من عدم إمكان الحمل في حال الحيض بالعادة الشهرية، ولعلهم أخطؤوا، كما أخطؤوا في كثير من أقوالهم، ولم يظهر خطؤهم إلاّ بعد تقدم العلم.

وعلى أي فحيث إن الوطي في حال الحيض مكروه حتى لغير المتشرعة، حيث إن التلوث بالدم في الموضع يوجب كراهة الرجل للمباشرة والمرأة لها، فالولد المنعقد يكون مع نفسية غير مستقيمة، ويؤثر ذلك فيه انحرافاً، والمنحرف يحن إلى بغض الكرام، ولعل هناك أسباباً خفية تظهر للعلم، أو أسباباً غيبية لا ندركها.

قال: وخطب أمير المؤمنين (عليه السلام) في عيد الفطر... إلى أن قال: «أطيعوا الله فيما نهاكم عنه من قذف المحصنة، وإتيان الفاحشة، وبخس المكيال، وشهادة الزور، والفرار من الزحف»[2].

---

(١) سورة مريم: ٦٤.

(٢) الفقيه: ج١ ص١٦٧.

وعن عبد الله بن الحسين بن زيد بن علي بن أبي طالب، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله تبارك وتعالى كره لكم أيتها الأمة أربعاً وعشرين خصلة ونهاكم عنها، كره لكم العبث في الصلاة، وكره المن في الصدقة، وكره الضحك بين القبور، وكره التطلع في الدور، وكره النظر إلى فروج النساء، وقال: يورث العمى، وكره الكلام عند الجماع وقال: يورث الخرس، وكره النوم قبل العشاء الآخرة، وكره الحديث بعد العشاء الآخرة، وكره الغسل تحت السماء بغير ميزر، وكره المجامعة تحت السماء، وكره دخول الأنهار إلاّ بميزر وقال: في الأنهار عمار وسكان من الملائكة، وكره دخول الحمام إلاّ بميزر، وكره الكلام بين الأذان والإقامة في صلاة الغداة حتى ينقضي الصلاة، وكره ركوب البحر في هيجانه، وكره النوم فوق سطح ليس بمحجر وقال: من نام على سطح ليس بمحجر فقد برئت منه الذمة، وكره أن ينام الرجل في بيت وحده، وكره للرجل أن يغشى امرأته وهي حائض، فإن غشيها وخرج الولد مجذوماً أو أبرص فلا يلومن إلاّ نفسه، وكره أن يغشي الرجل امرأته وقد احتلم حتى يغتسل من احتلامه الذي رأى، فإن فعل وخرج الولد مجنوناً فلا يلومن إلاّ نفسه، وكره أن يكلم الرجل مجذوماً إلاّ أن يكون بينه وبينه قدر ذراع، وقال: فر من المجذوم فرارك من الأسد، وكره البول على شط نهر جار، وكره أن يحدث الرجل تحت شجرة مثمرة قد أينعت، أو نخلة قد أينعت يعني أثمرت، وكره أن ينتعل الرجل وهو قائم، وكره أن يدخل الرجل البيت المظلم إلاّ أن يكون بين يديه سراج أو نار، وكره النفخ في الصلاة»[1].

أقول: (فروج النساء) في الزوجة والأمة، فإن النظر يوجب النفرة في

(١) الفقيه: ج٢ ص١٨٤، الأمالي: ص١٨١.

كثير من الأحيان من جهة التواءات الداخل، أما الفرج الحرام فذلك محرم، ولعل المراد الأعم لاستعمال الكراهة فيهما، ولذا اشتمل الحديث على الحرام والمكروه الاصطلاحي معاً.

(العمى) الظاهر أنه عمي الناظر لا الولد، أو الولد بقرينة (الخرس) حيث ورد أن الكلام عند الجماع يورث خرس الولد.

(الذمة) تقدم معنى براءة الذمة.

وبإسناده عن حماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «يا علي، كره الله لأمتي العبث في الصلاة» وذكر مثله إلاّ أنه أسقط قوله: «وكره المجامعة تحت السماء»، وقوله: «وكره النفخ في الصلاة»[1].

وعن أبي موسى، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: «ثلاثة لا يدخلون الجنة، مدمن خمر ومدمن سحر، وقاطع رحم، ومن مات مدمن خمر سقاه الله من نهر العرطة»، قيل: وما نهر العرطة، قال: نهر يجري من فروج المومسات، يؤذي أهل النار بريحهن»[2].

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أخبرني جبرئيل أن ريح الجنة يوجد من مسيرة ألف عام، وما يجدها عاق، ولا قاطع رحم، ولا شيخ زان، ولا جارُّ إزاره خيلاء، لا فتان ولا منان ولا جعظري»، قلت: وما الجعظري، قال: «الذي لا يشبع من الدنيا»[3].

أقول: (شيخ زان) الخصوصية من جهة أن شهوة الشيخ قد أدبرت فلماذا يزني، بينما الشاب ليس كذلك، (فتان) من يلقي الفتنة بين الناس.

وعن ثور بن سعيد، عن أبيه سعيد بن علاقة، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام)

(١) الفقيه: ج٢ ص٢٣٥.

(٢) معاني الأخبار: ص٩٤.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٧٥.

يقول: ترك نسج العنكبوت في البيت يورث الفقر، والبول في الحمام يورث الفقر، والأكل على الجنابة يورث الفقر، والتخلل بالطرفاء يورث الفقر، والتمشط من قيام يورث الفقر، وترك القمامة في البيت يورث الفقر، واليمين الفاجرة تورث الفقر، والزنا يورث الفقر، والنوم قبل طلوع الشمس يورث الفقر، واعتياد الكذب يورث الفقر، واليمين الفاجرة تورث الفقر، والزنا يورث الفقر، وإظهار الحرص يورث الفقر، والنوم بين العشاءين يورث الفقر، والنوم قبل طلوع الشمس يورث الفقر، واعتياد الكذب يورث الفقر، وكثرة الاستماع إلى الغناء يورث الفقر، ورد السائل الذكر بالليل يورث الفقر، وترك التقدير في المعيشة يورث الفقر، وقطيعة الرحم تورث الفقر».

ثم قال: «ألا أنبئكم بعد ذلك بما يزيد في الرزق»، قالوا: بلى يا أمير المؤمنين، فقال: «الجمع بين الصلاتين يزيد في الرزق، والتعقيب بعد الغداة وبعد العصر يزيد في الرزق، وصلة الرحم يزيد في الرزق، وكسح الفناء يزيد في الرزق، ومواساة الأخ في الله عز وجل يزيد في الرزق، والبكور في طلب الرزق يزيد في الرزق، والاستغفار يزيد في الرزق، واستعمال الأمانة يزيد في الرزق، وقول الحق يزيد في الرزق، وترك الحصر يزيد في الرزق، وشكر المنعم يزيد في الرزق، واجتناب اليمين الكاذبة يزيد في الرزق، والوضوء قبل الطعام يزيد في الرزق، وأكل ما يسقط من الخوان يزيد في الرزق، ومن سبح الله كل يوم ثلاثين مرة دفع عنه سبعين نوعاً من البلاء أيسرها الفقر»[1].

أقول: بعض المذكورات إيراثها الفقر ظاهر الوجه كما تقدم، وبعضها إما غيبي وإما بسبب خفي لم يظهر بعد للعلم.

(السائل الذكر) تقدم الوجه في عدم كون الأمر كذلك بالنسبة إلى (الأنثى).

(الجمع بين الصلاة) لا يبعد أن يكون الجمع أفضل، لكن المشهور على أن التفريق أفضل، فإن الجمع بين الروايات يقتضي ما ذكرناه حيث تحتمل روايات

---

(١) الخصال: ج٢ ص٩٣.

التفريق التقية، كروايات أن الغروب هو المغرب، والرسول (صلى الله عليه وآله) كان يصلي تارة هكذا وتارة هكذا، كما في روايات العامة والخاصة، وتفصيل المسألة في (الفقه).

(إجابة المؤذن) يعني إذا أذن حضر السامع الصلاة، (على الخلاء) أي حال التخلي ببول أو غائط (الوضوء قبل الطعام) هل يراد غسل اليدين كما قاله المشهور، أو التوضي كما يتوضأ للصلاة كما قاله بعض، احتمالان، والأول أقرب إلى الذهن، والثاني إلى اللفظ والاحتياط، (رفع عنه) والظاهر أن ما يزيد الرزق من المذكورات أيضاً على النحوين كما ذكرناه في موجبات الفقر.

وعن ابن عباس، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، إنه قال في حجة الوداع: «إن من أشراط القيامة أضاعة الصلاة، واتباع الشهوات، والميل مع الأهواء، وتعظيم المال، وبيع الدنيا بالدين، فعندها يذاب قلب المؤمن في جوفه كما يذاب الملح في الماء مما يرى من المنكر فلا يستطيع أن يغيره».

ثم قال: «إن عندها يكون المنكر معروفاً، والمعروف منكراً، ويؤتمن الخائن، ويخون الأمين، ويصدق الكاذب، ويكذب الصادق».

ثم قال: «فعندها أمارة النساء، ومشاورة الإماء، وقعود الصبيان على المنابر، ويكون الكذب ظرفاً، والزكاة مغرماً، والفيء مغنماً ، ويجفو الرجل والديه ويبر صديقه».

ثم قال: «فعندها يكتفي الرجال بالرجال، والنساء بالنساء، ويغار على الغلمان كما يغار على الجارية في بيت أهلها، ويشبه الرجال بالنساء والنساء بالرجال، ويركبن ذوات الفروج السروج، فعليهم من أمتي لعنة الله».

ثم قال: «إن عندها تزخرف المساجد كما تزخرف البيع والكنائس، وتحلى المصاحف، وتطول المنارات، وتكثر الصفوف والقلوب متباغضة، والألسن

مختلفة».

ثم قال: «فعند ذلك تحلى ذكور أمتي بالذهب، ويلبسون الحرير والديباج، ويتخذون جلود النمر صفاقاً».

ثم قال: «فعندها يظهر الربا، ويتعاملون بالغيبة والرشا، ويوضع الدين وترفع الدنيا».

ثم قال: «وعندها يكثر الطلاق، فلا يقام لله حد ولن يضر الله شيئاً».

ثم قال: «وعندها تظهر القينات والمعازف، وتليهم شرار أمتي».

ثم قال: «وعندها يحج أغنياء أمتي للنزهة، ويحج أوساطها للتجارة، ويحج فقراؤهم للرياء والسمعة، فعندها يكون أقوام يتعلمون القرآن لغير الله، فيتخذونه مزامير، ويكون أقوام يتفقهون لغير الله، ويكثر أولاد الزنا، يتغنون بالقرآن، ويتهافتون بالدنيا».

ثم قال: «وذلك إذا انتهكت المحارم، واكتسب المآثم، وتسلط الأشرار على الأخيار، ويفشو الكذب، وتظهر الحاجة، وتفشى الفاقة، ويتباهون في الناس، ويستحسنون الكوبة والمعازف، وينكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر».

إلى أن قال: «فأولئك يدعون في ملكوت السماء الأرجاس الأنجاس» الحديث[1].

أقول: (ومشاورة الإماء) إما لأن نظام العبيد يرجع، أو المراد ما كان في الزمان السابق، فإن أشراط الساعة ما بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث قال: «بعثت أنا والساعة كهاتين» وأشار إلى إصبعيه، فإن بعض علماء الكون يقولون إن الذاهب من عمر الدنيا ما يقارب خمسة مليارات من الأعوام، وما بقي ما يقارب مليار، ومن المعلوم أن السدس قريب من الأخير، والعلم عند الله سبحانه.

(مغنماً) أي يأكله من لا يستحقه ويراه غنيمة حصل عليها.

(السروج) الظاهر أن المراد

---

(١) تفسير القمي: ص٦٢٧.

المتبرجات، كما في زماننا، أما مع الحجاب والعفة فقد كان في زمن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أيضاً حيث كن يركبن الحيوانات ذات السروج.

(بالغيبة) أي يعطون المال لأجل أن يستغيب الآخذ الناس حتى يسقطهم بالدعايات الكاذبة لأجل ترفيع الجهة التي أعطته المال، كما نشاهد ذلك في هذا الزمان كثيراً.

(وتظهر الحاجة) أي تكثر حاجات الناس، أو يكثر الفقر بين الناس.

ولعل الفرق بين (الرجس) و(النجس) أن الأول ذاتي والثاني عرضي، كناية عن أن باطنهم وظاهرهم يصبح نجساً لاستعمالهم النجس.

وحيث إن ما ذكر في هذه الرواية مربوطة بمواضع مختلفة من (الفقه) ذكرت تفاصيلها هناك لم ندخل في تفصيل البحث حولها.

وعن الحارث بن المغيرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ستة لا تكون في المؤمن، العسر، والنكد، واللجاجة، والكذب، والحسد، والبغي»[1].

أقول: (العسر) أي لا يكون عسيراً في بيعه وشرائه وقضائه واقتضائه وسائر أموره.

فصل في تحريم طلب الرياسة مع عدم الوثوق بالعدل

عن معمر بن خلاد، عن أبي الحسن (عليه السلام)، إنه ذكر رجلاً فقال: إنه يحب الرياسة، فقال: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد تفرق رعاؤها بأضر في دين المسلم من الرياسة»[2].

أقول: إذا كان ذئبان كلما أرادت الغنم أن تفر إلى جانب لحقها الذئب

(١) السرائر: ص٤٧٠.

(٢) الأصول: ص٤٥٠.

الذي في ذلك الجانب، أما إذا كان ذئب واحد فتتمكن الغنم من الفرار، وحب الرئاسة كالذئبين كلما أراد الإنسان الخلاص وقف حب الرئاسة أمامه.

وعن سعيد بن جناح، عن أخيه أبي عامر، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من طلب الرياسة هلك»[١].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: قال لي أبو عبد الله (عليه السلام): «إياك والرياسة» الحديث[٢].

وعن عبد الله بن مسكان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إياكم وهؤلاء الرؤساء الذين يترأسون، فو الله ما خفقت النعال خلف الرجل إلاّ هلك وأهلك»[٣].

أقول: (خفقت) أي بمحبته وأمره.

وعن جويرية بن مسهر، قال: اشتددت خلف أمير المؤمنين (عليه السلام) فقال: «يا جويرية إنه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلاّ بخفق النعال خلفهم»[٤].

أقول: (اشتددت) لعل الإمام كان راكباً وهو يركض خلفه، أو كان الإمام يسرع وهو يركض للحوق به.

وعن محمد بن إسماعيل بن بزيع وغيره رفعوه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ملعون من ترأس، ملعون من هم بها، ملعون من حدث نفسه بها»[٥].

وعن أبي مياح، عن أبيه، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من أراد الرياسة هلك»[٦].

---

(١) الأصول: ص٤٥٠.

(٢) الأصول: ص٤٥٠.

(٣) الأصول: ص٤٥٠.

(٤) الروضة: ص١٤١.

(٥) الأصول: ص٤٥٠.

(٦) الأصول: ص٤٥٠.

وعن أبي الربيع الشامي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال لي: «يا أبا الربيع لا تطلبن الرياسة، ولا تكن (تك خ) ذنباً، ولا تأكل الناس بنا فيفقرك الله» الحديث[1].

أقول: (ذنباً) أي ذنب الرؤساء بالباطل، فإنه يكون حينئذ من معاوني الظلمة.

وعن محمد بن مسلم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «أترى لا أعرف خياركم من شراركم، بلى والله إن شراركم من أحب أن يوطأ عقبه، إنه لابد من كذاب أو عاجز الرأي»[2].

أقول: إن الذي يرأس بالباطل إما يكون هو الذي يدير دفة الرئاسة فهو كذاب، إذ إدارة دفة الباطل لابد وأن تقارن بالكذب حيث إن الناس لا يلتفون حول الباطل إلاّ بأن يخدعهم، أو يكون أتباعه يديرون الدفة فهو عاجز الرأي حيث يسيطر أتباعه عليه، والباطل لا يخرج عن أحدهما بالنسبة إلى رئيسه.

وعن عقبة بن بشير، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث قال: «وأما قولك إن قومي كان لهم عريف فهلك، فأرادوا أن يعرفوني عليهم، فإن كنت تكره الجنة وتبيعها فتعرف عليهم، يأخذ سلطان جائر بامرئ مسلم فيسفك دمه فتشرك في دمه، ولعلك لا تنال من دنياهم شيئاً»[3].

أقول: العريف هو الذي يجعله السلطان واسطة بينه وبين الناس، فيعرف الناس للسلطان لقاء منصب العرافة وأجر قليل.

وعن القاسم بن عون، عن علي بن الحسين (عليه السلام) في حديث إنه قال له: «إياك أن تترأس فيضعك الله، وإياك أن تستأكل فيزيدك الله فقراً، واعلم أنك إن تكن

(١) الأصول: ص٤٥٠.

(٢) الأصول: ص٤٥١.

(٣) رجال الكشي: ص١٣٣.

ذنباً في الخير خير لك من أن تكون رأساً في الشر»[1].

وعن علي بن عقبة، عن أبيه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «مالكم وللرياسات»، إنما المسلمون رأس واحد، إياكم والرجال فإن الرجال للرجال مهلكة»[2].

أقول: في زمان النبي والإمام (عليهما السلام) للمسلمين رأس واحد فقط، فكل رأس آخر ومن في طريق ذلك الرأس فهو باطل، أما في زمان غيبة الإمام (عليه السلام) فالفقهاء العدول هم رأس المسلمين ولابد لهم من إدارة دفة البلاد بالشورى على ما ذكرنا تفصيله في الكتب السياسية.

(والرجال) أي أن تجمعوا الرجال حولكم باعتبار أنكم رأس وهم أتباع.

وعن أبي بريدة، عن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «لا يؤمر أحد على عشرة فما فوقهم إلاّ جيء به يوم القيامه مغلولة يداه وإن كان محسناً، وان كان مسيئاً يزيد غلاً على غلة»[3].

أقول: (وإن كان محسنا) في أعمال، لكن رئاسته لما لم تكن من طريق الله سبحانه جيء مغلولة يداه.

وعن الحسين بن زيد، عن الصادق (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله) في حديث المناهي، قال: «ألا ومن تولى عرافة قوم أتي يوم القيامة ويداه مغلولتان إلى عنقه، فإن قام فيهم بأمر الله أطلقه الله، وإن كان ظالماً هوى به في نار جهنم وبئس المصير»[4].

أقول: غل يده في القائم بأمر الله علامة مجردة لا أنه نوع عذاب.

---

(١) رجال الكشي: ص٨٢.

(٢) رجال الكشي: ص١٨٩.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص١٦٦.

(٤) الفقيه: ج٢ ص١٩٩.

فصل في استحباب لزوم المنزل لمن كان دينه في خطر

مع الإتيان بحقوق الإخوان

عن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال: «إن قدرتم أن لا تعرفوا فافعلوا، وما عليك إن لم يثن الناس عليك، وما عليك أن تكون مذموماً عند الناس إذا كنت عند الله محموداً» إلى أن قال: «إن قدرت على أن لا تخرج من بيتك فافعل، فإن عليك في خروجك أن لا تكذب ولا تحسد ولا ترائي ولا تتصنع ولا تداهن»، ثم قال: «نعم صومعة المسلم بيته، يكف فيه بسره ولسانه ونفسه وفرجه»، الحديث[1].

أقول: هذا إذا كان دينه في خطر، وإلا كان اللازم الخروج كما في الحديث الآتي، فلكل موضعه.

وعن محمد بن عيسى، عمن رواه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال له رجل: جعلت فداك رجل عرف هذا الأمر لزم بيته ولم يتعرف إلى أحد من إخوانه، قال: «كيف يتفقه هذا في دينه»[2].

وعن هشام بن الحكم، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام) في حديث طويل إنه قال: «يا هشام الصبر على الوحدة علامة قوة العقل، فمن عقل عن الله اعتزل أهل الدنيا والراغبين فيها، ورغب فيما عندالله، وكان الله أنسه في الوحشة، وصاحبه في الوحدة، وغناه في العيلة، ومعزه من غير عشيرة»[3].

أقول: (على الوحدة) فيما إذا كان حفظ دينه في الوحدة، وعكسه في

---

(١) الروضة: ص٢٢٨.

(٢) الأصول: ص١٥.

(٣) الأصول: ص٩.

عكسه، على ما تقدم من أن لكل موضعاً.

وعن الفضيل، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «طوبي لكل عبد لومة (نومة خ ل) عرف الناس قبل أن يعرفوه»[1].

أقول: (لومة) يلوم الناس في باطنه فلا يقترب منهم خوف شرهم، فيما إذا كان التكليف الابتعاد عنهم كما هو الجمع بين هذا الحديث والحديث الآتي وغيره.

وفي نسخة (نومة) أي ينام عن النهوض والاختلاط، وحيث إنه يعرف الناس بالسوء لا يختلط بهم حتى يعرفوه.

وعن علي بن إبراهيم في تفسيره، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في حديث قال: «طوبى لمن لزم بيته، وأكل كسرته، وبكى على خطيئته، وكان من نفسه في تعب، والناس منه راحة»[2].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن علي (عليه السلام)، قال: «ثلاث منجيات، تكف لسانك، وتبكي على خطيئتك، ويسعك بيتك»[3].

وعن الفضل بن الحسن الطبرسي في (مجمع البيان)، قال: قد جاء في الحديث: «النهي عن التبتل والانقطاع عن الناس والجماعات والنهي عن الرهبانية والسياحة»[4].

فصل في تحريم اختتال الدنيا بالدين

عن يونس بن ظبيان، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إن الله عز وجل يقول: «ويل للذين يختلون الدنيا بالدين، وويل للذين يقتلون

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٨٤.

(٢) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٨٤.

(٣) المحاسن: ص٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج٦ ص٢٨٥.

الذين يأمرون بالقسط من الناس، وويل للذين يسير المؤمن فيهم بالتقية، أبي يغترون، أم عليّ يجترون، فبي حلفت لأتيحن لهم فتنة تترك الحليم منهم حيراناً»[1].

أقول: (يختلون) أي باسم الدين يصيدون الدنيا، فيجعلون الدين شبكة للوصول إلى شهواتهم وأغراضهم الدنيوية.

(حيراناً) لا يعرف كيف النجاة من الفتنة، مع أن الحليم غالباً لحلمه وتفكره في علاج الأمور لا يبقى حيراناً.

وعن محمد بن علي بن الحسين في كتاب (عقاب الأعمال) بإسناد تقدم في عيادة المريض، عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) إنه قال في آخر خطبة خطبها: «ومن عرضت له دنيا وآخرة فاختار الدنيا وترك الآخرة لقي الله وليست له حسنة يتقي بها النار، ومن أخذ الآخرة وترك الدنيا لقي الله يوم القيامة وهو عنه راض»[2].

وعن مسعدة بن زياد، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام): «إن الله تبارك وتعالى أنزل كتاباً من كتبه على نبي من أنبيائه، وفيه: أن سيكون خلق من خلقي يلحسون الدنيا بالدين، يلبسون مسوك الضأن على قلوب كقلوب الذئاب أشد مرارة من الصبر، وألسنتهم أحلى من العسل، وأعمالهم الباطنة أنتن من الجيف، أبي يغترون، أم إياي يخادعون، أم عليّ يجترون، فبعزتي حلفت لأتيحن لهم فتنة تطأ في خطامها حتى تبلغ أطراف الأرض تترك الحليم منهم حيراناً»[3].

أقول: (تطأ في خطامها) أي إنها كالناقة المهملة التي تمشي وخطامها على الأرض بحيث تطأها، (أطراف الأرض) أي الأرض المرتبطة بأولئك لا كل الأرض، فهو مثل قوله سبحانه: ﴿وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض

---

(١) الأصول: ص٤٥١.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤٦.

(٣) قرب الإسناد: ص١٥.

ومغاربها﴾[1].

فصل في وجوب تسكين الغضب عن فعل الحرام

عن صفوان الجمال، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إنما المؤمن الذي إذا غضب لم يخرجه غضبه من حق، واذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا قدر لم يأخذ أكثر مما له»[2].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»[3].

وعن داود بن فرقد، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «الغضب مفتاح كل شر»[4].

أقول: فإن الغاضب يقتل وينهب ويأسر ويسب ويهين ويضرب، وما أشبه من الشرور.

وعن ميسر، قال: ذكر الغضب عند أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الرجل ليغضب فما يرضى أبداً حتى يدخل النار، فأيما رجل غضب على قوم وهو قائم فليجلس من فوره ذلك، فإنه يذهب عنه رجز الشيطان، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليدن منه فليمسه فإن الرحم إذا مست سكنت»[5].

أقول: أي يسدر في غضبه حتى يكون مصيره بسبب الأعمال التي ارتكبها ارضاءً لغضبه النار.

وعن معلى بن خنيس، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «قال رجل للنبي (صلى الله عليه وآله):

(١) سورة الأعراف: ١٣٧.

(٢) الأصول: ص٤٢٥.

(٣) الأصول: ص٤٢٥.

(٤) الأصول: ص٤٥٢.

(٥) الأصول: ص٤٥٢.

يا رسول الله علمني، فقال: اذهب فلا تغضب» الحديث[1].

أقول: النبي والأئمة (عليهم السلام) مثلهم مثل الطبيب الحاذق، يعالجون الأمراض والمرضى بالدواء المناسب له ولهم، فإذا جاءهم الكاذب قالوا له لا تكذب، أو الذي يكثر الغضب قالوا له لا تغضب، أو البخيل قالوا له لا تبخل وهكذا، ولعل الرجل كان كذلك، أو إنه كان ينقل هذا الكلام إلى من صفته هذه فينقلع، كما قالوا قد يقول الإمام الحكم التقييي لأجل من يصل إليه الحكم لا لأجل السامع والسائل.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كف نفسه عن أعراض الناس أقال الله نفسه يوم القيامه، ومن كف غضبه عن الناس كف الله تبارك وتعالى عنه عذاب يوم القيامة»[2].

وعن القاسم بن سليمان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: سمعت أبي (عليه السلام) يقول: «أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل بدوي فقال: إني أسكن البادية فعلمني جوامع الكلم، فقال: آمرك أن لا تغضب، فأعاد عليه الأعرابي المسألة ثلاث مرات، حتى رجع الرجل إلى نفسه، فقال: لا أسأل عن شيء بعد هذا، ما أمرني رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلاّ بالخير، قال: وكان أبي (عليه السلام) يقول: أي شيء أشد من الغضب، إن الرجل ليغضب فيقتل النفس التي حرم الله ويقذف المحصنة»[3].

وعن عبد الأعلى، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): علمني عظة أتعظ بها، فقال: «إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أتاه رجل فقال: يا رسول الله علمني عظة أتعظ بها، فقال: انطلق فلا تغضب، ثم عاد إليه، فقال: انطلق فلا تغضب، ثلاث مرات»[4].

---

(١) الأصول: ص٤٥٣.

(٢) الأصول: ص٤٥٣.

(٣) الأصول: ص٤٥٢.

(٤) الأصول: ص٤٥٢.

وعن سيف بن عميرة، عمن سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «من كف غضبه ستر الله عورته»[١].

أقول: حيث إن الغضب يظهر العورة المستورة في الإنسان، من سوء الخلق والكذب ومعاداة الناس وغير ذلك، ولذا قال الشاعر: (للسر نافذتان السكر والغضب).

وعن حبيب السجستاني، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «مكتوب في التوراة فيما ناجى الله به موسى: يا موسى أمسك غضبك عمن ملكتك عليه أكف عنك غضبي»[٢].

وعنهم، عن أحمد، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «الغضب ممحقة لقلب الحكيم»، وقال: «من لم يملك غضبه لم يملك عقله»[٣].

أقول: (ممحقة) قلب الحكيم موضع الحكمة التي تظهر من أعماله وجوارحه، فإذا غضب محقه قلبه، فظهر منه ما ينافي الحكمة، من باب نسبة ما للمظروف إلى الظرف مثل (جرى النهر).

وعن أبي جمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «إن هذا الغضب جمرة من الشيطان، توقد في قلب ابن آدم، وإن أحدكم إذا غضب احمرت عيناه، وانتفخت أوداجه، ودخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإن رجز الشيطان ليذهب عنه عند ذلك»[٤].

أقول: فإن الإنسان إذا قام ذهب إلى طرفه ليناوشه بالضرب أو الكلام أو ما أشبه، فإذا لزم الأرض ذهب ذلك عنه، وهذا في قسم من الغضب كما لا

---

(١) الأصول: ص٤٥٢.

(٢) الأصول: ص٤٥٢.

(٣) الأصول: ص٤٥٣.

(٤) الأصول: ص٤٥٣.

يخفى.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «من كف غضبه عن الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة»[1].

وعن محمد بن علي بن الحسين، قال: «مر رسول الله (صلى الله عليه وآله) بقوم يتشائلون حجراً، فقال: ما هذا، فقالوا: نختبر أشدنا وأقوانا، فقال: ألا أخبركم بأشدكم وأقواكم، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: أشدكم وأقواكم الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في إثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، وإذا ملك لم يتعاط ما ليس له بحق»[2].

أقول: هذا الحديث يدل على جواز المسابقة في أمثال ذلك، وإلا لنهاهم رسول الله (صلى الله عليه وآله) عنه، فينبغي أن يدرج في كتاب (السبق والرماية).

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «قال الحواريون لعيسى (عليه السلام) أي الأشياء أشد، قال: أشد الأشياء غضب الله عز وجل، قالوا: بما نتقي غضب الله، قال: بأن لا تغضبوا، قالوا: وما بدء الغضب، قال: الكبر والتجبر ومحقرة الناس»[3].

أقول: الكبر يمكن أن لا يتعدى إلى جبر الناس، فإذا تعدى كان تجبراً، و(محقرة) أو تحقير الناس، فإن الإنسان قد يري نفسه رفيعاً فوق مستواه، وقد يري طرف حقيراً دون مستواه.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «من كف نفسه عن أعراض الناس كف الله عنه عذاب يوم القيامة، ومن كف غضبه عن الناس

---

(١) الأصول: ص٤٥٣.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٥٥.

(٣) الخصال: ج١ ص٧.

أقاله الله نفسه يوم القيامة»[1].

أقول: أي لم يقع في أعراضهم بالغيبة والبهت وما أشبه.

وعن أبي بصير، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، إنه ذكر عنده الغضب، فقال: «إن الرجل ليغضب حتى ما يرضى أبداً ويدخل بذلك النار، فأيما رجل غضب وهو قائم فليجلس فإنه سيذهب عنه رجز الشيطان، وإن كان جالساً فليقم، وأيما رجل غضب على ذي رحم فليقم إليه وليدن منه وليمسه، فإن الرحم إذا مست الرحم سكنت»[2].

أقول: أي يتحول من حال إلى حال، وعليه فإذا كان متمدداً فليجلس، فإن النفس حيث تتوجه إلى عمل تنصرف عن توجهها إلى المنصرف عنه.

وعن عبد الله بن الحسن، عن أمه فاطمة بنت الحسين، قالت: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاث من كن فيه يستكمل خصال الإيمان: الذي إذا رضي لم يدخله رضاه في باطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، وإذا قدر لم يتعاط ما ليس له»[3].

فصل في وجوب ذكر الله عند الغضب

عن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: يا بن آدم اذكرني في غضبك أذكرك في غضبي، لا أمحقك فيمن أمحق، وارض بي منتصراً، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[4].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام) مثله. وزاد فيه: «وإذا ظُلمت بمظلمة

---

(١) ثواب الأعمال: ص٧٣.

(٢) المجالس: ص٢٠٥.

(٣) المحاسن: ص٦.

(٤) الأصول: ص٤٥٢.

فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[1].

وعن إسحاق بن عمار، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن في التوراة مكتوباً: يا بن آدم اذكرني حين تغضب أذكرك عند غضبي، فلا أمحقك في من أمحق، وإذا ظُلمت بمظلمة فارض بانتصاري لك، فإن انتصاري لك خير من انتصارك لنفسك»[2].

فصل في تحريم الحسد دون الغبطة

عن محمد بن مسلم، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «إن الرجل ليأتي بأدنى بادرة فيكفر، وإن الحسد ليأكل الإيمان كما تأكل النار الحطب»[3].

أقول: (بأدنى بادرة) مثلاً يغضب أو يحزن فيقول كلمة الكفر، كما يشاهد عند بعض من لا حريجة له.

وعن داود الرقي، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «اتقوا الله ولا يحسد بعضكم بعضاً» الحديث[4].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «كاد الفقر أن يكون كفراً، وكاد الحسد أن يغلب القدر»[5].

أقول: (كفراً) إذ الفقير إذا لم يكن صابراً يكفر من شدة فقره، كما أنه يعمل كل محرم خصوصاً في سبيل رزقه مما يكون كفراً عملياً.

(القدر) إذ الحسود يعمل لأجل ذهاب نعمة المحسود، وقد قدرت له النعمة، لكن لا يخفى أن ذلك من

(١) الأصول: ص٤٥٢.

(٢) الأصول: ص٤٥٣.

(٣) الأصول: ص٤٥٢.

(٤) الأصول: ص٤٥٣.

(٥) الأصول: ص٤٥٤.

باب التحذير، وإلاّ فذهاب نعمة الحاسد بسبب حسده أو نعمة المحسود بسبب حسد الحاسد هو من القدر أيضاً، فالمراد القدر الأولي لولا الحسد.

وعن معاوية بن وهب، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «آفة الدين الحسد والعجب والفخر»[1].

وعن داود الرقي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قال الله عز وجل لموسى بن عمران (عليه السلام): يا ابن عمران، لا تحسدن الناس على ما آتيتهم من فضلي، ولا تمدن عينيك إلى ذلك، ولا تتبعه نفسك، فإن الحاسد ساخط لنعمتي، صاد لقسمي الذي قسمت بين عبادي، ومن يك كذلك فلست منه وليس مني»[2].

أقول: (لاتمدن عينيك) إن مد العين رذيلة بنفسها، ولو مد الإنسان عينه ربما تطور الأمر حتى يفعل العصيان في سبيل إزالة نعمة المحسود، أو تحصيلها لنفسه.

(نفسك) بالنظر في الأول، والتمني في الثاني.

(صاد) كما ذكر في الحاشية السابقة، فإن الحسود ربما يصد قسمة الله سبحانه الأولية.

وعن الفضيل بن عياض، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن المؤمن يغبط ولا يحسد، والمنافق يحسد ولا يغبط»[3].

أقول: (الغبطة) أن يحب الإنسان أن يكون له مثل ما للطرف، بدون أن يريد نفسه ذلك الشيء أو يكيد لإذهاب ذلك الشيء من يد طرفه، وهذا محمود حيث يوجب السعي لاحراز الفضيلة، والاعتراف للطرف بالعظمة، قال (عليه السلام): «إن لعمي العباس لدرجة يغبطة بها جميع الشهداء».

وعن حمزة بن حمران، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ثلاثة لم ينج منها نبي فمن

(١) الأصول: ص٤٥٤.

(٢) الأصول: ص٤٥٤.

(٣) الأصول: ص٤٥٤.

دونه: التفكر في الوسوسة في الخلق، والطيرة، والحسد، إلاّ أن المؤمن لا يستعمل حسده»[1].

أقول: جولان الفكر هنا وهناك، واحتمال الشر في كل محتمل ليتجنب الإنسان الشر، وحب الارتفاع إلى أقصى قدر ممكن بحيث لا يكون هناك أرفع منه، من الصفات الفاضلة للإنسان، لأن بهذه الأمور تقوى فكرته، كالرياضة التي تقوي الجسد، ويتجنب الشرور، ويعمل بما في وسعة من العمل ليرتفع، نعم الفكر المضل، والتطير المتبع ـ بالفتح ـ والحدس الموجب للغلبة على ما للغير، أو الموجب للكيد به لسلب نعمته، غير صحيح، والأنبياء (عليهم السلام) كانوا يتصفون بالأول حيث إنها كمالات، ولفظة (لم ينج) من باب الغلبة، لأنها في غالب من يستعملها شرور، ولما جيء باللفظ الجامع بين الخير والشر غلب ـ من جهة اللفظ ـ الثاني لأنه أكثر وأكثر، وقد ذكروا في باب الغلبة أن البلاغة قد توجب تغليب الأفضل مثل شمسين، وقد توجب تغليب الأدون كالقمرين.

وعن حماد بن عمرو وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في وصيه النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي، أنهاك عن ثلاث خصال: الحسد والحرص والكبر»[2].

أقول: النبي (صلى الله عليه وآله) كان كثيراً ما يوجه الوصايا إلى علي (عليه السلام) من باب (إياك أعني واسمعي يا جارة)، كما أن في خطابات الله لأنبيائه (عليهم السلام) يرى مثل ذلك.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أصول الكفر ثلاثة، الحرص والاستكبار والحسد» الحديث[3].

أقول: تقدم بيان هذا الحديث.

---

(١) الروضة: ص١٠٨.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٦.

(٣) الخصال: ج١ ص٤٥.

عن الحسن بن علي بن فضال، عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «دبّ إليكم داء الأمم قبلكم، البغضاء والحسد»[1].

أقول: الجماعة التي تشتغل لتغيير أو نحوه، يكونون في أول التكون إخوة متحابين، ثم إذا أمعنوا في التقدم يأخذ البغضاء والحسد يدب إليهم، ولذا حذرهم النبي (صلى الله عليه وآله) عن ذلك.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «حسد الصديق من سقم المودة»[2].

أقول: (المودة) إذا لم تكن صحيحة بل كانت مريضة حسد أحدهما الآخر.

قال: وقال (عليه السلام): «صحة الجسد من قلة الحسد»[3].

أقول: كل من الروح والجسد يؤثر في الآخر، فالجسد المريض يوجب الهمّ للنفس، والنفس المضطربة توجب السقم للبدن، ولذا قالوا (العقل السليم في الجسم السليم)، فإذا ابتليت النفس بالحسد لم ينم ليله ولم يهنأ بعيشه فلا يمر زمان إلاّ ويمرض.

وقال (عليه السلام): (من قلة) لأن أصل الحسد يوجد في كل إنسان كما تقدم، وإنما تزييده وإعماله غير جائز، ولذا قال سبحانه: ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾[4].

وعن عمر بن عبد الجبار، عن أبيه، عن علي بن جعفر، عن أخيه موسى بن جعفر، عن أبيه، عن جده (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم لأصحابه: «ألا إنه قد دب إليكم داء الأمم من قبلكم وهو الحسد، ليس بحالق الشعر، لكنه حالق

---

(١) عيون أخبار الرضا: ص١٧٣.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩٣.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٠١.

(٤) سورة الفلق: ٥.

الدين، وينجي فيه أن يكف الإنسان يده ويخزن لسانه، ولا يكون ذا غمز على أخيه المؤمن»[1].

أقول: أي إذا لم يظهره كم يكون عليه من إثم، ولايخفى أن الإنسان يلزم أن لا يزيده في نفسه بالتفكر والتقوية، فإن أمثال هذه الصفات تنمو وتزيد بالتفكر والأخذ والعطاء النفسيين.

فصل في جملة مما عفي عنه

عن حريز ابن عبد الله، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رفع عن أمتي تسعة أشياء، الخطأ، والنسيان، وما أكرهوا عليه، وما لا يعلمون، وما لايطيقون، وما اضطروا إليه، والحسد، والطيرة، والتفكر في الوسوسة في الخلق (الخلوة خ ل) مالم ينطقوا بشفة»[2].

أقول: الرفع إنما يكون إذا كان قابلاً للوضع، فالمراد بهذه التسعة ما أمكن وضعها أو وضع آثارها، مثلاً النسيان الحاصل بالإهمال مرفوعة، وغير الحاصل بالإهمال آثاره مرفوعة إذ لا يمكن رفع نفسه، وهكذا فيما لا يطيقون، المراد به آخر طاقتهم لا المستحيل، أو أن آثار المستحيل مرفوعة، إلى غير ذلك، وحيث كان بعض ذلك في بعض الأمم رفع عن المسلمين تفضلاً، وإنما وضع على أولئك الأمم كما قال سبحانه: ﴿ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا، ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به﴾[3]، لأن الإنسان البدائي يحتاج إلى الشدة حتى ينصلح، بخلاف الإنسان المهذب (فالعبد يقرع بالعصى، والحر تكفيه الإشارة).

(١) مجالس ابن الشيخ: ص٧٣.

(٢) التوحيد: ص٣٦٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٨٦.

وعن عمرو بن مروان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «رفع عن أمتي أربع خصال، خطأها ونسيانها وما أكرهوا عليه وما لم يطيقوا، وذلك قول الله عز وجل: ﴿ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولا تحمل علينا إصراً حملته على الذين من قبلنا ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به ﴾ وقوله: ﴿إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان﴾[1].

وعنه، عن محمد بن أحمد النهدي رفعه، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «وضع عن أمتي تسع خصال، الخطأ، والنسيان، وما لا يعلمون، وما لا يطيقون، وما اضطروا إليه، وما استكرهوا عليه، والطيرة، والوسوسة في التفكر في الخلق، والحسد ما لم يظهر بلسان أو يد»[2].

فصل في حرمة التعصب على غير الحق

عن منصور بن حازم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من تعصب أو تعصب له فقد خلع ربقة الإيمان من عنقه»[3].

أقول: أي رضي بالتعصب بأن هيأ مقدمات ذلك.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من كان في قلبه حبة من خردل من عصبية بعثه الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[4].

أقول: الظاهر أن المراد به ما كان اختيارياً، وكان منفذاً له، إذ بدون الاختيار لا تكليف، وبدون التنفيذ يكون من الصفات الذميمة لا من المحرمات المعاقب

(١) الأصول: ص٥١٥.

(٢) الأصول: ص٥١٥.

(٣) الأصول: ص٤٥٤، عقاب الأعمال: ص١٢.

(٤) الأصول: ص٤٥٤، المجالس: ص٣٦١.

عليها، كما دل على ذلك بعض النصوص المذكورة في مبحث (التجري) وغيره.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من تعصب عصبه الله بعصابة من نار»[1].

وعن حبيب بن ثابت، عن علي بن الحسين (عليه السلام)، قال: «لم يدخل الجنة حمية غير حمية حمزة بن عبد المطلب، وذلك حين أسلم غضباً للنبي (صلى الله عليه وآله) في حديث السلا الذي ألقي على النبي صلى الله عليه وآله»[2].

أقول: كانت حمية حمزة (عليه السلام) بالحق، وكل حمية كذلك داخلة في الحق، فما في هذا الحديث من باب مثال المستثنى لا الخصوصية.

وعن داود بن فرقد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الملائكة كانوا يحسبون أن إبليس منهم، وكان في علم الله أنه ليس منهم، فاستخرج ما في نفسه بالحمية والغضب، وقال: خلقتني من نار وخلقته من طين»[3].

وعن سيابة بن أيوب، ومحمد بن الوليد، وعلي بن أسباط يرفعونه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «إن الله يعذب الستة بالستة، العرب بالعصبية، والدهاقين بالكبر، والأمراء بالجور، والفقهاء بالحسد، والتجار بالخيانة، وأهل الرساتيق بالجهل»[4].

أقول: هل المراد بالعرب المتكلمون بهذه اللغة أم المراد أهل البادية، من قبيل ﴿الأعراب أشد كفراً ونفاقاً﴾[5]، ظاهر اللفظ ربما يشعر بالأول، لكن

---

(١) الأصول: ص٤٥٤، عقاب الأعمال: ص١٣.

(٢) الأصول: ص٤٥٤.

(٣) الأصول: ص٤٥٤.

(٤) الروضة: ص١٦٢.

(٥) سورة التوبة: ٩٧.

قرينة السياق حيث إن كل المذكورات الخمسة أعم من كل عرق من ناحية، ووضوح أن هذه الصفة موجودة في العرب والعجم، أي غير العرب من سائر الناس، من ناحية ثانية تؤيد الثاني.

وعن الزهري، قال: سئل علي بن الحسين (عليه السلام) عن العصبية، فقال: «العصيبة التي يأثم عليها صاحبها أن يرى الرجل شرار قومه خيراً من خيار قوم آخرين، وليس من العصبية أن يحب الرجل قومه، ولكن من العصبية أن يعين الرجل قومه على الظلم»[1].

وعن عبد الله بن أبي يعفور (يعقوب خ ل)، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من تعصب أو تعصب له خلع ربقة الإيمان من عنقه»[2].

أقول: لأن الإيمان يقتضي أن يكون الإنسان مع المتقي، لا مع قومه متقياً كان أو غير متق، وهذه هي القاعدة العقلائية، لأن المحور الكفاية لا العرق، فهل الطبيب والمهندس والفقيه والخطيب والبناء وغيرهم بالكفاية أو بالعرق، وكذلك بالنسبة إلى الحاكم، فهل يصح التوارث مهما كان ذا كفاءة أو بدونها، أو من يكون كفوءاً، ثم يلزم الانتخاب أيضاً حيث إنه يريد التصرف في الناس، فكيف يتصرف بدون إذنهم، وفي الإسلام بعد غيبة الإمام (عليه السلام) الذي ليست إمامته بالانتخاب بل بنصب الله سبحانه، والبيعة ليست انتخاباً بل تسليماً، تشترط شروط آخر مذكورة في الكتب المعنية بهذا الشأن.

عن العمي رفعه، قال (عليه السلام): «من تعصب حشره الله يوم القيامة مع أعراب الجاهلية»[3].

---

(١) الأصول: ص٤٥٤.

(٢) عقاب الأعمال: ص١٣.

(٣) عقاب الأعمال: ص١٣.

فصل في حرمة التكبر

عن حكيم، قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن أدنى الإلحاد، قال: «إن الكبر أدناه»[1].

أقول: الإلحاد هو الانحراف، ولا شك في أن الكبر أدناه، حتى يصل إلى أعلاه وهو التكبر على الله وأحكامه، قال سبحانه: ﴿وأن لا تعلو على الله﴾[2].

وعن ليث المرادي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الكبر رداء الله، فمن نازع الله شيئاً من ذلك أكبه الله في النار»[3].

أقول: كما أن الرداء فوق المنكب كذلك الكبر، لأنه صفة رفيعة كأنه فوق المنكب، من باب تشبيه المعقول بالمحسوس، وقد ذكرنا في الشرك أنه لماذا يكون مصيره النار.

وعن زرارة، عن أبي جعفر وأبي عبد الله (عليهما السلام)، قالا: «لا يدخل الجنة من في قلبه مثقال ذرة من كبر»[4].

أقول: تقدم بيان ذلك في الحسد.

وعن معمر بن عمر بن عطاء، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «الكبر رداء الله، والمتكبر ينازع الله رداءه»[5].

وعن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن في جهنم لوادياً للمتكبرين يقال

---

(١) الأصول: ص٤٥٤.

(٢) سورة الدخان: ١٩.

(٣) الأصول: ص٤٥٥، عقاب الأعمال: ص١٣.

(٤) الأصول: ص٤٥٥، عقاب الأعمال: ص١٣.

(٥) الأصول: ص٤٥٥.

له: سقر، شكى إلى الله عز وجل شدة حره وسأله عز وجل أن يأذن له أن يتنفس، فتنفس فأحرق جهنم»[١].

وعن داود بن فرقد، عن أخيه، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن المتكبرين يجعلون في صور الذر تتوطأهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب»[٢].

أقول: يجعلون في صورة الذر أي النمل، مقابلة لكبريائهم للتحقير.

وعن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من عبد إلاّ وفي رأسه حكمة وملك يمسكها، فإذا تكبر قال له: اتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس في نفسه وأصغر الناس في أعين الناس، وأذا تواضع رفعه (رفعها خ ل) الله عز وجل، ثم قال له: انتعش نعشك الله، فلا يزال أصغر الناس في نفسه وأرفع الناس في أعين الناس»[٣].

أقول: المتواضع يحبه الناس ولذا يرفعونه، والمتكبر يمقته الناس ولذا يضعونه، هذا هو السبب الظاهر، ووراء الأسباب الظاهرية أسباب خفية كما تقدم الكلام حول ذلك، وكذلك حال كل صفة حسنة وصفة سيئة، كل في بعد نفسها.

وبالإسناد الآتي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصيته لأصحابه، قال: «وإياكم والعظمة والكبر، فإن الكبر رداء الله عز وجل، فمن نازع الله رداءه قصمه الله وأذله يوم القيامة»[٤].

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه (عليهما السلام)، إن علياً (عليه السلام) قال: «ما أحد من ولد آدم إلاّ وناصيته بيد ملك، فإن تكبر جذبه بناصيته إلى الأرض، ثم

---

(١) الأصول: ص٤٥٥.

(٢) الأصول: ص٤٥٥.

(٣) الأصول: ص٤٥٦.

(٤) الروضة: ص٨.

قال له: تواضع وضعك الله، وإن تواضع جذبه بناصيته ثم قال له: ارفع رأسك رفعك الله، ولا وضعك بتواضعك لله»[1].

وعن ابن فضال رفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن لإبليس كحلاً ولعوقاً وسعوطاً، فكحله النعاس، ولعوقه الكذب، وسعوطه الكبر»[2].

أقول: تقدم هذا الحديث ببيانه.

وعن حسين بن المختار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم، ثاني عطفه ومسبل إزاره خيلاء، والمنفق سعلته بالأيمان، والكبر إن الكبرياء لله رب العالمين»[3].

أقول: ثاني عطفه والمسبل واحد، وهو المتكبر في نفسه، والثالث هو المتكبر على غيره.

وعن سعد بن ظريف، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الكبر مطايا النار»[4].

أقول: لعله يتجسم يوم القيامة بشكل مطايا، كل كبر بشكل، مثلاً الكبر على الله، والكبر على الرسول (صلى الله عليه وآله)، والكبر على الإمام (عليه السلام)، والكبر على الناس، والكبر على الأحكام، وهل يركبها صاحبها إلى النار، أو يركبها في النار، أو هما، لا يبعد الثالث، حيث (لو أن إنساناً أحب حجراً حشره الله معه).

وعن عبد الله بن القاسم رفعه، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يحشر المتكبرون يوم القيامه في خلق الذر في صور الناس يوطئون حتى يفرغ الله من حساب خلقه، ثم يسلك بهم إلى النار، يسقون من طينة خبال من عصارة أهل النار»[5].

أقول: تقدم معنى (طينة خبال)، ولذا يكون الذي يخرج من فروج الموسات

---

(١) ثواب الأعمال: ص٩٦.

(٢) معاني الأخبار: ص٤٦.

(٣) عقاب الأعمال: ص١٣.

(٤) عقاب الأعمال: ص١٣.

(٥) عقاب الأعمال: ص١٣.

في شكل الطين المنتن.

وبإسناده قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أكثر أهل جهنم المتكبرون»[1].

أقول: يظهر وجه ذلك من الحاشية السابقه، إذ كل من يعلو على الحق متكبر.

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أحبكم إليّ وأقربكم مني يوم القيامة مجلساً أحسنكم خلقاً، وأشدكم تواضعاً، وإن أبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون، وهم المستكبرون»[2].

أقول: الثرثار، عبارة عن المكثار سواء في الكلام أو في رفع نفسه أو غير ذلك، ولذا فسر بالمستكبر، في قبال حسن الخلق والتواضع.

وعن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «كانت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) ناقة لا تسبق، فسابق أعرابياً بناقته فسبقها فاكتأب لذلك المسلمون، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): إنها ترفعت، وحق على الله أن لا يرتفع شيء إلاّ وضعه الله»[3].

أقول: الحيوان له إدراك، لما ثبت في الآيات والروايات وأيده العلم الحديث.

فصل في حرمة التجبر والتيه والاختيال

عن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ثلاثة لا يكلمهم الله ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم، شيخ زان، وملك جبار،

(١) عقاب الأعمال: ص١٣.

(٢) قرب الإسناد: ص٢٢.

(٣) المحاسن: ص١٢٢.

ومقل مختال»[1].

أقول: تقدم أن خصوصيه الشيخ لأنه بزناه أكثر استهتاراً من الشاب الذي له شهوة عارمة بخلاف الشيخ، والملك الجبار لأنه أقل احتياجاً إلى الجبر لمكان كونه ملكاً، فهو أحق بالعقاب من الجبار غير الملك، والثري المختال إن أعطي له بعض الرفق لمكان ثرائه الموجب لطغيانه تلقائياً، لا يعطى مثله للمقل الذي لا وجه لاختياله إطلاقاً.

وعن عبد الله بن كبير، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما من أحد يتيه إلاّ من ذلة يجدها في نفسه»[2].

أقول: (التيه) الكبر، فإنه إذا لم يجد ذلة لم يرد تكميلها بسبب الكبرياء المكذوبة.

قال: وفي حديث آخر، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «ما من رجل تكبر أو تجبر إلاّ لذلة يجدها في نفسه»[3].

وعن الحسين ابن أبي العلا، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «الكبر قد يكون في شرار الناس من كل جنس، والكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه لم يزده إلاّ سفالاً، إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) مر في بعض طرق المدينة وسوداء تلقط السرقين، فقيل لها: تنحي عن طريق رسول الله، فقالت: إن الطريق لمعرض، فهمّ بها بعض القوم أن يتناولها، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): دعوها فإنها جبارة»[4].

أقول: إن من لا يسمع كلام الحق ولو كان فقيراً بحيث يتعيش من

---

(١) الأصول: ص٤٥٥.

(٢) الأصول: ص٤٥٦.

(٣) الأصول: ص٤٥٦.

(٤) الأصول: ص٤٥٤.

السرقين، يعد في قائمة الجبارين، لأنه يجبر الناس على خلاف إرادتهم بما ليس له بحق، فإن توسط الطريق خلاف ميزان فسح الطريق للعابرين الذين وضع الطريق لأجلهم، وهل الطريق وضع لالتقاط الأقذار.

وبالإسناد الآتي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصيته لأصحابه إنه قال: «وإياكم والتجبر على الله، واعلموا أن عبداً لم يبتل بالتجبر على الله إلا تجبر على دين الله، فاستقيموا لله ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين، أجارنا الله وإياكم من التجبر على الله»[1].

وعن الحسين بن خالد، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليهم السلام)، قال: «إن الله تبارك وتعالى ليبغض البيت اللحم، واللحم السمين، فقال له بعض أصحابنا: يا ابن رسول الله إنا لنحب اللحم وما تخلو بيوتنا عنه فكيف ذلك، فقال: ليس حيث تذهب، إنما البيت اللحم الذي تؤكل لحوم الناس فيه بالغيبة، وأما اللحم السمين فهو المتجبر المتكبر المختال في مشيته»[2].

أقول: تقدم الكلام في هذا الحديث.

وعن عمرو بن جميع، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الجبارون أبعد الناس من الله عز وجل يوم القيامة»[3].

أقول: أبعد الناس عن رحمة الله تعالى.

وعن ميسر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن في جهنم لجبلاً يقال له الصعداء (صعود) إن في الصعداء لوادياً يقال له: سقر، وإن في سقراً لجباً يقال له: هبهب، كلما كشف غطاء ذلك الجب ضج أهل النار من حره، ذلك منازل الجبارين»[4].

وعن محمد بن موسى بن المتوكل، عن محمد بن يحيى، عن محمد بن

---

(١) الروضة: ص١٢.

(٢) عيون أخبار الرضا: ص١٧٤.

(٣) عقاب الأعمال: ص١٤.

(٤) عقاب الأعمال: ص٤١.

أحمد، عن موسى بن عمر، عن ابن فضال، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من مشى في الأرض اختيالاً لعنته الأرض ومن تحتها ومن فوقها»[1].

وعن أحمد بن محمد، عن أبيه رفعه، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ويل لمن يختال في الأرض يعاند جبار السموات والأرض»[2].

وعن معاوية بن عمار، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن في السماء ملكين موكلين بالعباد، فمن تجبر وضعاه»[3].

وعن بشير النبال، قال: كنا مع أبي جعفر (عليه السلام) في المسجد، إذ مر علينا أسود وهو ينزع في مشيه، فقال أبو جعفر (عليه السلام): «إنه الجبار»، قلت: إنه سائل، قال: «إنه جبار»، وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «كان علي بن الحسين (عليه السلام) يمشي مشية كأن على رأسه الطير لا تسبق يمينه شماله»[4].

أقول: (ينزع) أي يمشي مشية المتكبر بحيث كأنه يقلع نفسه عن الأرض قلعاً.

وعن أبي بصير، عن أبي جعفر (عليه السلام): «إن النبي (صلى الله عليه وآله) أوصى رجلاً من بني تميم فقال له: إياك وإسبال الإزار والقميص، فإن ذلك من المخيلة، والله لا يحب المخيلة»[5].

(١) عقاب الأعمال: ص٤٢.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤٢.

(٣) المحاسن: ص١٢٣.

(٤) المحاسن: ص١٢٤.

(٥) المحاسن: ص١٢٤.

قال: وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «ما حاذى الكعبين من الثوب ففي النار»[1].

أقول: الظاهر أنه إذا كان اختيالاً، وإلا فيستحب للمرأة ذلك لستر أقدامها، وكذلك إذا كانت عادة البلد ذلك ولم يختل لم يبعد استحبابه، وقد تقم استحباب التزيي بزي أهل البلد.

قال: وقال (عليه السلام): «ثلاث إذا كن في الرجل فلا تتحرج أن تقول إنها في جهنم، البذاء والخيلاء والفخر»[2].

أقول: (البذاء) الفحش، و(الخيلاء) الكبر، و(الفخر) الافتخار، اللهم إلاّ إذا كان ضرورة في ذلك، كما ورد في أشعار علي إلى معاوية: (محمد النبي أخي وصهري) الأبيات.

فصل في حد التكبر والتجبر

عن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الكبر أن تغمص الناس وتسفه الحق»[3].

وعن عبد الأعلى ابن أعين، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أعظم الكبر غمص الخلق وسفه الحق»، قلت: وما غمص الخلق وسفه الحق، قال: «يجهل الحق ويطعن على أهله، فمن فعل ذلك فقد نازع الله عز وجل رداءه»[4].

وعن عبد الأعلى، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت له: ما الكبر، قال: «أعظم الكبر أن تسفه الحق وتغمص الناس»، قلت: وما تسفه الحق، قال: «يجهل الحق

---

(١) المحاسن: ص١٢٤.

(٢) المحاسن: ص١٢٤.

(٣) الأصول: ص٤٥٥، معاني الأخبار: ص٧١.

(٤) الأصول: ص٤٥٥.

ويطعن على أهله»[1].

وعن محمد بن عمر بن يزيد، عن أبيه، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إنني آكل الطعام الطيب وأشم الرائحة الطيبة وأركب الدابة الفارهة، ويتبعني الغلام، فترى في هذا شيئاً من التجبر فلا أفعله، فأطرق أبو عبد الله (عليه السلام) ثم قال: «إنما الجبار الملعون من غمص الناس وجهل الحق»، قال عمر: فقلت: أما الحق فلا أجهله، والغمص لا أدري ما هو، قال: «من حقر الناس وتجبر عليهم فذلك الجبار»[2].

وعن عبد الله بن طلحة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لن يدخل الجنة من في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر، ولا يدخل النار من في قلبه مثقال حبة من خردل إيمان»، قلت: جعلت فداك إن الرجل ليلبس الثوب أو يركب الدابة فيكاد يعرف منه الكبر، فقال: «ليس بذلك، إنما الكبر إنكار الحق، والإيمان الإقرار بالحق»[3].

أقول: (يعرف) أي إن الناس يرون هكذا، لا أنه يتكبر.

وعن محمد بن مسلم، عن أحدهما يعني أبا جعفر وأبا عبد الله (عليهما السلام)، قال: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من كبر»، قال: قلت: إنا نلبس الثوب الحسن فيدخلنا العجب، فقال: «إنما ذلك فيما بينه وبين الله عز وجل»[4].

أقول: (وبين الله) أي ليس تكبراً على الناس، وقد تقدم أن ما في القلب إنما يكون معاقباً عليه إذا أثر في العمل.

---

(١) الأصول: ص٤٥٥.

(٢) الأصول: ص٤٥٥.

(٣) معاني الأخبار: ص٧١.

(٤) معاني الأخبار: ص٧٢.

فصل في حرمة حب الدنيا المحرمة

عن درست ابن أبي منصور، عن رجل، وعن هشام بن سالم جميعاً، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «رأس كل خطيئة حب الدنيا»[1].

أقول: إذا أحب الإنسان الدنيا سرق لمالها، وزنى لشهواتها، وقتل للرئاسة فيها، إلى غير ذلك من المعاصي والآثام.

وعن محمد بن مسلم، قال: سئل علي بن الحسين (عليه السلام) أي الأعمال أفضل، قال: «ما من عمل بعد معرفة الله ومعرفة رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل من بغض الدنيا، فإن لذلك شعباً كثيرة وللمعاصي شعب، فأول ما عصي الله به الكبر».

إلى أن قال: «ثم الحرص، ثم الحسد وهي معصية ابن آدم، حيث حسد أخاه فقتله، فتشعب من ذلك حب النساء وحب الدنيا وحب الرياسة وحب الراحة وحب الكلام وحب العلو والثروة، فصرن سبع خصال فاجتمعن كلهن في حب الدنيا، فقال الأنبياء والعلماء بعد معرفة ذلك: حب الدنيا رأس كل خطيئة، والدنيا دنياءان: دنيا بلاغ، ودنيا ملعونة»[2].

أقول: ما ذكر في هذه الرواية من باب المثال الغالب، وإلا فحب الأولاد والأقرباء والعشيرة وما أشبه، إذا لم يكن بالموازين الشرعية، كان من حب الدنيا الموجب للهلاك، إذا عمل بسببه خارجاً عن محيط الشرع والعقل، أما ذكر حب الدنيا في الاثناء فالظاهر أن المراد به حب البقاء في الدنيا مقابل الاستعداد للموت، قال سبحانه: ﴿يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر﴾[3].

---

(١) الأصول: ص٤٥٧.

(٢) الأصول: ص٤٥٧.

(٣) سورة البقرة: ٩٦.

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «في مناجاة موسى (عليه السلام): إن الدنيا دار عقوبة، عاقبت فيها آدم عند خطيئته، وجعلتها ملعونة، ملعون ما فيها إلاّ ما كان فيها لي، يا موسى إن عبادي الصالحين زهدوا في الدنيا بقدر علمهم (بي)، وسائر الخلق رغبوا فيها بقدر جهلهم، وما من أحد عظمها فقرت عينه بها، ولم يحقرها أحد إلاّ انتفع بها»[1].

أقول: من يعظم الدنيا يكون طالباً للمزيد فيها، وإذا فاته بعضها يحزن، ولذا يكون فقيراً محتاجاً إليها، بينما العكس من ذلك الزاهد، قال سبحانه: ﴿لكي لا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[2].

وعن درست، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»[3].

وعن محمد بن علي بن عثمان الكراجكي في (كنز الفوائد)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أحب دنياه أضر بآخرته»[4].

وعن إسماعيل بن أبي زياد رفعه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه سئل عن الزهد في الدنيا، فقال: «ويحك حرامها فتنكبه»[5].

أقول: (ويحك) تستعمل هذه الكلمة في كل من التأنيب والتحسين، ولعله مأخوذ من المتسع أمام الإنسان من (الواحة)، والمتسع قد يكون خيراً من بستان ونحوه، وقد يكون شراً من مزالق ومهاوي.

---

(١) الأصول: ص٤٥٨، عقاب الأعمال ص١٢.

(٢) سورة الحديد: ٢٣.

(٣) الخصال: ج١ ص١٥.

(٤) كنز الفوائد: ص١٦.

(٥) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٠٩.

فصل في الزهد في الدنيا وحدّه

عن الهيثم بن واقد الجريري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من زهد في الدنيا أثبت لله الحكمة في قلبه، وأنطق بها لسانه، وبصره عيوب الدنيا، داءها ودواءها، وأخرجه منها سالماً إلى دار السلام»[1].

أقول: لأن الزاهد لا يميل به الهوى إلى حب الدنيا، وحب الشيء يعمي ويصم، بل يكون كالحياد أو حذراً، ومثله يتمكن أن يرى الأشياء كما هي، وهذا هو مبدأ الحكمة، حيث إنها وضع الأشياء في موضعها، على ما تقدم.

وعن سيف، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من لم يستحي من طلب المعاش خفت مؤنته، ورخا باله، ونعم عياله، ومن زهد في الدنيا» وذكر مثله[2].

أقول: (من لم يستحي) لوضوح أنه يطلبه في هذا الحال، بخلاف من يستحيي فلا يطلب ويكون في ضيق وعسر.

وعن أبي حمزة، قال: ما سمعت بأحد من الناس كان أزهد من علي بن الحسين (عليه السلام) إلاّ ما بلغني عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، قال: وكان علي بن الحسين (عليه السلام) إذا تكلم في الزهد ووعظ أبكى من بحضرته.

قال أبو حمزة: وقرأت صحيفة فيها كلام زهد من كلام علي بن الحسين (عليه السلام) فكتبت ما فيها، ثم أتيت علي بن الحسين (عليه السلام) فعرضت ما فيها عليه فعرفه وصححه وكان ما فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، كفانا الله وإياكم كيد الظالمين وبغي الحاسدين وبطش الجبارين، أيها المؤمنون لا يفتننكم الطواغيت أتباعهم من أهل الرغبة في

---

(١) الأصول: ص٣٧١.

(٢) ثواب الأعمال: ص٩١.

هذه الدنيا، واحذروا ما حذركم الله منها، وازهدوا فيما زهدكم فيه منها، ولا تركنوا إلى ما في هذه الدنيا ركون من اتخذها دار قرار ومنزل استيطان».

إلى أن قال: «وليس يعرف تصرف أيامها، وتقلب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنها، إلاّ من عصمه الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد، ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرر الفكر، واتعظ بالصبر، وزهد في عاجل بهجة الدنيا، وتجافى عن لذتها، ورغب في دائم نعيم الآخرة، وسعى لها سعيها» الحديث[1].

أقول: (الفكر) على وزن (عنب) جمع فكر على وزن (حبر).

(بالصبر) جمع صابر أي اتعظ بهم كيف إنهم وصلوا إلى ما أرادوا بسبب الصبر.

(سعيها) أي السعي المناسب لها، لأن سعي كل شيء يلزم أن يكون مناسباً له.

وعن محمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن علامة الراغب في ثواب الآخرة زهده في عاجل زهرة الدنيا، أما إن زهد الزاهد في هذه الدنيا لا ينقصه مما قسم الله له فيها وإن زهد، وإن حرص الحريص على عاجل زهرة الحياة الدنيا لا يزيده فيها وإن حرص، فالمغبون من غبن حظه من الآخرة»[2].

أقول: الكد والتعب وتطلب الغنى من الحلال ـ كما تقدم من أنه عون على التقوى ـ شيء، والحرص شيء آخر، إذ الثاني عبارة عن تركه الواجبات والآداب في سبيل تحصيل المال، وكذلك أخذه المال من حله وحرامه بدون مبالاة، والثاني يهدم الاجتماع الصحيح إلى اجتماع الفوضى والتباغض، فإن الاجتماع يبنى على أسس الأخلاق الرفيعة، وبالآخرة يعود ضرر الحرص وما أشبه مما يهدم الأسس الصحيحة إلى نفس أولئك الذين هدموا الأساس، فالدنيا الصحيحة

---

(١) الروضة: ص١٤.

(٢) الأصول: ص٣٧٢.

لا تنقص بالزهد، إذ قد عرفت أن الزهد عبارة عن إعطاء كل حق والسعي في الإطار المشروع الإنساني، كما لا تزيد بالحرص، إذ ما يزيد بالحرص هي الدنيا الفاسدة التي ضرها أقرب من نفعها.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «إن من أعون الأخلاق على الدين الزهد في الدنيا»[1].

أقول: إذ لولا الزهد في الدنيا أي تجنب حرامها، لتناول الإنسان أموال الناس، ولا يعطي الحقوق مما يوجب هدم دينه.

وعن حفص بن غياث، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: «جعل الخير كله في بيت، وجعل مفتاحه الزهد في الدنيا»، ثم قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لا يجد الرجل حلاوة الإيمان حتى لا يبالي من أكل الدنيا»، ثم قال أبو عبد الله (عليه السلام): «حرام على قلوبكم أن تعرف حلاوة الإيمان حتى تزهد في الدنيا»[2].

أقول: الزهد في الدنيا يؤدي إلى إعطاء الحقوق، في البيع والشراء والرهن والإجارة وسائر المعاملات، حيث لا يأكل الزاهد حقوق الناس، كما يؤدي إلى معاشرة الناس بالحسن، من دون خشونة أو فظاظة أو خرق أو ما أشبه، فإن من لا يريد الدنيا لماذا لا يحترم الناس هل للكبر والمفروض أنه ليس بمتكبر، إلى غير ذلك، فالزهد مفتاح كل خير، والإيمان يسبب الاستقامة، والإنسان الذي يعرف أنه مستقيم يعيش في حالة فرح وحبور دائم، وذلك حلاوة الإيمان المعنوية، والزاهد يجد ذلك دون الراغب.

وبالإسناد عن المنقري، عن علي بن هاشم بن البريد، عن أبيه: إن رجلاً سأل علي بن الحسين (عليه السلام) عن الزهد، فقال: «عشرة أشياء، فأعلى درجة الزهد أدنى درجة

---

(١) الأصول: ص٣٧١.

(٢) الأصول: ص٣٧١.

الورع، وأعلى درجة الورع أدنى درجة اليقين، وأعلى درجات اليقين أدنى درجات الرضا، ألا وإن الزهد في آية من كتاب الله: ﴿لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾[1]».

أقول: (لكي لا تأسوا) من أظهر شعب الزهد، وإلاّ فقلة الكلام والمنام والطعام حسب ما يأمر به زهد الإسلام ليس من ذلك، أو الربط بينها وبين (لا تأسوا) خفي.

ثم إنا نرى الرسول (صلى الله عليه وآله) يبكي لفقد إبراهيم (عليه السلام) ولده، ويفرح بمجيء جعفر (عليه السلام) وأصحابه من الحبشة، لكن ذلك غير مشمول للآية، فإن هناك أسى وفرحاً في طريق الله، وذلك مطلوب، ويعد من الآخرة بالمعني الذي ذكرناه سابقاً من أن الدنيا والآخرة شيء واحد لإله واحد وإنما تختلف الصور، وأسى وفرحاً في طريق الدنيا، وذلك هو المنهي عنه، والحاصل إن الهدف يحدد حالة المقدمة، فمن قام لاحترام العالم يحسن قيامه، ومن قام ليهينه يسوء قيامه، مع أن الشكل في كليهما واحد، وربما يضم إلى ذلك ثالث، كمن قام أمام العالم لأخذ شيء من الرف.

وبالإسناد عن المنقري، عن سفيان بن عيينة، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «كل قلب فيه شك أو شرك فهو ساقط، وإنما أرادوا بالزهد في الدنيا لتفرغ قلوبهم للآخرة»[2].

أقول: (شك) في العمل للدنيا أم لا، أو (شرك) بين الدنيا والآخرة، وكلاهما ينافي الزهد بتوجيه كل الأمور إلى الآخرة.

وعن عبد الله بن القاسم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إذا أراد الله بعبد خيراً زهده في الدنيا، وفقهه في الدين، وبصره عيوبها، ومن أوتيهن فقد أوتي خير الدنيا والآخرة»،

---

(١) الأصول: ص٣٧١.

(٢) الأصول: ص٣٧٢.

وقال: «لم يطلب أحد الحق بباب أفضل من الزهد في الدنيا، وهو ضد لما طلب أعداء الحق»، قلت: جعلت فداك مماذا، قال: «من الرغبة فيها».

وقال: «ألا من صبار كريم، فإنما هي أيام قلائل، ألا إنه حرام عليكم أن تجدوا طعم الإيمان حتى تزهدوا في الدنيا»[١].

أقول: (زهده) أي يعمل له ألطافاً خاصة، وذلك لا يكون إلاّ إذا كان الإنسان في صدر تلك الألطاف، إلاّ أن لربكم في دهركم نفحات ألا فتعرضوا لها.

قال: وسمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إذا تخلى المؤمن من الدنيا سما ووجد حلاوة حب الله فلم يشتغل بغيره».

قال: وسمعته يقول: «إن القلب إذا صفا ضاقت به الأرض حتى يسمو»[٢].

أقول: (ضاقت) لأنه يرى نفسه أكبر من الأرض وما فيها.

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام) في حديث: إن علي بن الحسين (عليه السلام) قال: «ألا وكونوا من الزاهدين في الدنيا، الراغبين في الآخرة، ألا إن الزاهدين في الدنيا قد اتخذوا الأرض بساطاً، والتراب فراشاً، والماء طيباً، وقرضوا من الدنيا تقريضاً» الحديث[٣].

أقول: أي لم يهتموا أن يكونوا كذلك، فلا يهمهم النوم على التراب، وعدم التطييب بالعطور.

(تقريضاً) أي قطعوا أنفسهم عن الدنيا كالشيء الذي يقطع بالمقراض، والحاصل إنه إذا انقطع قلب الإنسان عن الدنيا يكون كالمسافر الذي ورد في فندق يريد أن يبيت ليلة، حيث إن همه هدفه وأن يحسن مكانه في البلد الذي يقصده، فلا يهم حسن الفندق أو طعامه أو ما أشبه لأنه لا يرتبط به، لا أنه لا يحب الفراش والطعام الطيب، إلى غير ذلك، ففرق بين نظر الإنسان إلى شيء هدفاً أو طريقاً، وهذا

---

(١) الأصول: ص٣٧١.

(٢) الأصول: ص٣٧٢.

(٣) الأصول: ص٣٧٤.

هو التقريض عن الدنيا.

وعن عمرو بن سعيد بن هلال، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): إني لا ألقاك إلاّ في السنين، فأوصني بشيء حتى آخذ به، قال: «أوصيك بتقوى الله والورع والاجتهاد، وإياك أن تطمح إلى من فوقك، وكفى بما قال الله عز وجل لرسول الله (صلى الله عليه وآله): ﴿ولاتمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجاً منهم زهرة الحيوة الدنيا﴾، وقال: ﴿ولا تعجبك أموالهم ولا أولادهم﴾، فإن خفت ذلك فاذكر عيش رسول الله (صلى الله عليه وآله) فإنما كان قوته من الشعير، وحلواه من التمر، ووقوده من السعف إذا وجده، وإذا أصبت بمصيبة في نفسك أو مالك أو ولدك فاذكر مصابك برسول الله (صلى الله عليه وآله) فإن الخلائق لم يصابوا بمثله قط»[1].

أقول: (تطمح) أي تتحسر على ما عندك، وترغب في ما عند فوقك، فإن هناك أمرين:

الأول: الطموح بما لا يصل إليه، وهذا مذموم وهو يوجب حزن الإنسان الدائم.

الثاني: العمل للوصول إلى درجة أرفع مما هو فيه، وهذا محمود، وإطلاق (من ساوى يوماه فهو مغبون) يشمله، بالاضافة إلى مثل قوله: (اغد إلى عزك)، وغير ذلك مما تقدم في آداب التجارة.

(بمثله قط) فتهون عليك مصيبتك، فإن الإنسان إذا تذكر المصيبة الكبيرة ينسى المصيبة الصغيرة.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قيل لأمير المؤمنين (عليه السلام): ما الزهد في الدنيا، قال: «تنكيب حرامها»[2].

وعن أبي الطفيل، قال: سمعت أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: «الزهد في الدنيا قصر

---

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣١٤.

(٢) معاني الأخبار: ص٧٤.

الأمل، وشكر كل نعمة، والورع عما حرم الله عليك»[1].

وعن إسماعيل بن مسلم، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «ليس الزهد في الدنيا بإضاعة المال، ولا بتحريم الحلال، بل الزهد في الدنيا أن لا تكون بما في يدك أوثق منك بما في يد الله عز وجل»[2].

أقول: هذا شعبة من الزهد.

وعن حفص بن غياث، قال: سمعت موسى بن جعفر (عليه السلام) عند قبر وهو يقول: «إن شيئاً هذا آخره لحقيق أن يزهد في أوله، وإن شيئاً هذا أوله لحقيق أن يخاف من آخره»[3].

أقول: لا ينبغي للعاقل أن يهتم بما آخره الفناء، كما لا ينبغي للعاقل أن لا يهتم لتحصيل الأمن بما آخره مجهول، فإن الدنيا آخرها فناء، والموت آخره مجهول هل هو سعادة أبدية أو شقاء أبدي.

وعن عبد الله بن الحسن بن علي، عن أمه فاطمة بنت الحسين، عن أبيها (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن صلاح أول هذه الأمة بالزهد واليقين، وهلاك آخرها بالشح والأمل»[4].

أقول: (بالزهد) في الدنيا، و(اليقين) بالآخرة السريعة، ولذا كانوا يقدمون على الأخطار بدون ترف وسرف، فينجحون في شق الأمم لإسقاط الطواغيت، (بالشح) أي التكالب على الدنيا، ومن الواضح أن من ينظر إلى الدنيا ويجعلها هدفاً لا يتمكن من النظر إلى ثواب الله، (والأمل) في البقاء الطويل، ولذا صاروا مغزيين بعد أن كانوا غازين.

---

(١) معاني الأخبار: ص٧٤.

(٢) معاني الأخبار: ص٧٤.

(٣) معاني الأخبار: ص٩٨.

(٤) المجالس: ص١٣٧.

وعن أحمد بن الحسن الحسيني، عن الحسن بن علي العسكري، عن آبائه، عن الصادق (عليهم السلام)، إنه سئل عن الزاهد في الدنيا، قال: «الذي يترك حلالها مخافة حسابه، ويترك حرامها مخافة عقابه»[1].

أقول: (حلالها) أي الحلال الزائد على ما أمر الله، وإلا فالإنسان مأمور بتحصيل الحلال والتصرف فيه، و(في حلالها حساب) ليس معناه الترك، فالإنسان في الدنيا كالمهندس الأمين الذي شغله مزاولة الهندسة، وهو يعلم أنه يحاسب من قبل رب العمل في آخره عمله.

فصل في ترك ما زاد عن قدر الضرورة من الدنيا

عن جده الحسن بن راشد، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وله): «مالي وللدنيا، إنما مثلي كراكب رفعت له شجرة في يوم صائف، فقال تحتها ثم راح وتركها»[2].

أقول: (قال) من القيلولة، أي استراح قبل الظهر ليتزود بالاستراحة ويسير بقية الطريق حتى يصل إلى الهدف.

وعن ابن بكير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «في طلب الدنيا إضرار بالآخرة، وفي طلب الآخرة إضرار بالدنيا، فأضروا بالدنيا فإنها أحق بالإضرار»[3].

أقول: (إضرار) أي إذا كان زائداً في هذا أو هذا، وإلا فالإنسان مأمور بالجمع بينهما كلاً بقدر، وقد تقدم قوله: «ليس منا من ترك آخرته لدنياه،

(١) عيون الأخبار: ص١٧٣.

(٢) الأصول: ص٣٧٥.

(٣) الأصول: ص٣٧٤.

وليس منا من ترك دنياه لآخرته».

وعن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن في كتاب علي (عليه السلام): إنما مثل الدنيا كمثل الحية ما ألين مسها، وفي جوفها السم الناقع، يحذرها الرجل العاقل، ويهوي إليها الصبي الجاهل»[١].

أقول: (مثل الدنيا) أي الدنيا المحرمة، وإلاّ فهي (نعم متجر أولياء الله) كما قاله (عليه السلام).

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام) في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي إن الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، يا علي أوحى الله إلى الدنيا: أخدمي من خدمني، وأتعبي من خدمك، يا علي إن الدنيا لو عدلت عند الله جناح بعوضة لما سقى الكافر منها شربة ماء، يا علي ما أحد من الأولين والآخرين إلاّ وهو يتمنى يوم القيامة أنه لم يعط من الدنيا إلاّ قوتاً»[٢].

أفول: (سجن) لأن الدنيا أولاً: صغيرة جداً بالنسبة إلى الآخرة كنسبة السجن إلى خارجه الوسيع، وثانياً: لأن المؤمن في الدنيا في شدة وعسر من جهة الفقر والمرض والعدو وغير ذلك، والآخرة خالية عن كل ذلك، والكافر في الدنيا في سعة، بينما في الآخرة ﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾[٣]، ﴿وإذا لقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبوراً﴾[٤]، وفي الدنيا هو في راحة نسبية، حيث في الآخرة هو في عذاب.

(أخدمي) الدنيا تسير في اتجاه الله سبحانه فمن كان في اتجاهه

---

(١) الأصول: ص٣٧٦.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٨.

(٣) سورة ص: ٥٩.

(٤) سورة الفرقان: ١٣.

تعالى تخدمه الدنيا، ومن لم يكن في اتجاهه تتعبه، كمن يركب القطار ويسير باتجاه سيره فهو في راحة، بخلاف من يسير داخل القطار باتجاه معاكس، وهذه قضية طبيعية ولها استثناءات كسائر القضايا.

وقد ذكرنا أن المسلمين في الحال الحاضر ليسوا في اتجاه الله من حيث الألفة والأخوة والحرية والوحدة وما أشبه، ولذا تتعبهم الدنيا، بينما الكفار أخذوا بهذه الأمور ولذا لا تتعبهم الدنيا من هذه الحيثيات.

والدنيا لا قيمة لها إطلاقا بذاتها، وإنما القيمة لها في أنها مزرعة الآخرة، فلا تسوى بذاتها جناح بعوضة، وعدم سقي الكافر شربة، لأن الكافر ـ والمراد المعاند منه ـ لايستحق بقاءً، حيث إنه خلاف سنن الكون، كمن لا يتنفس أو ما أشبه، فهل يستحق بقاء دقيقة، وحيث إن الدنيا ليس لها قيمة فليأخذ الكافر منها ما شاء، كما أن العاقل لا يمنع أن يأخذ عدوه من النجاسات ما شاء، وإنما يمنع إذا أراد أن يأخذ من الأشياء ذات الثمن، والحاصل إن الدنيا أولاً: لا قيمة لها، وثانياً: إنها لو كانت لها قيمة ما تمتع الكافر المعاند فيها ولو بشربة، وكلاهما بموازين العقل والمنطق.

(إلاّ قوتاً) أي الزائد على الحاجات الجسدية والأخروية، وفي الحديث (يا طالب الخير أكثر)، فهل يتمنى بناة المساجد ومشبعو الجائعين وما أشبه ذلك، كلا، بل (نعم العون على التقوى الغنى).

قال: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «ما قل وكفى خير مما كثر وألهى»[1].

أقول: أي لا تحصل مالاً كثيراً إذا كان يلهيك عن أمر الدنيا والآخرة، فهو من قبيل الإنشاء في مقام الإخبار.

وبإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد ابن الحنيفة، قال: «ولا مال أذهب للفاقة من الرضا بالقوت، ومن اقتصر على بلغة الكفاف فقد انتظم الراحة،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٢.

وتبوأ خفض الدعة، الحرص داع إلى التقحم في الذنوب»[1].

أقول: إذا رضيت بالقوت فلا فاقة لك، وإذا اقتصرت على ما يكفيك فأنت في راحة، وفي فراغ من الاشتغال لتحصيل الزائد.

وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «من أصبح معافى جسده، آمناً في سربه، عنده قوت يومه، فكأنما خيرت له الدنيا، يا ابن جعشم يكفيك منها ما سدّ جوعتك، ووارى عورتك، فإن يكن بيت يكنك فذاك، وإن يكن دابة تركبها فبخ بخ، وإلا فالخبز وماء الجرة، وما بعد ذلك حساب عليك أو عذاب»[2].

أقول: تقدم أن من في حال التغيير لابد وأن يتقشف، وهذا الكلام منه بهذا الصدد، فالمراد القناعة بالضروريات الأولية.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام) إنه قال: «يا ابن آدم ما كسبت فوق قوتك فأنت فيه خازن لغيرك»[3].

أقول: المراد بالقوت كل ما يحتاجه الإنسان، قال سبحانه: ﴿وقدر فيها أقواتها﴾[4]، وهذا تحريض على عدم الحرص لا على عدم الغنى.

قال: وقال: «كل مقتصر عليه كاف»[5].

أقول: أي إذا اقتصرت على شيء من زوجة أو قوت أو تجارة أو ما أشبه كفاك، لأن لك قناعة نفسية به، أما إذا تطلب الأكثر فلا كفاية لك كفاية نفسية فيما عندك.

قال: وقال (عليه السلام): «الزهد بين كلمتين من القرآن، قال الله تعالى: ﴿لكيلا تأسوا على مافاتكم ولا تفرحوا بما آتاكم﴾، ومن لم يأس على الماضي ولم يفرح

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٤٥.

(٢) المجالس: ص٢٣٢.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٨٨.

(٤) سورة فصلت: ١٠.

(٥) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٣٩.

بالآتي فقد استكمل الزهد بطرفيه»[1].

أقول: تقدم الكلام حوله.

فصل في اجتناب الحرص على الدنيا

عن يحيى بن عقبة الأزدي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «مثل الحريص على الدنيا مثل دودة القز، كلما ازدادت على نفسها لفاً كان أبعد لها من الخروج حتى تموت غماً»[2].

أقول: كناية عن أن الحريص دائم الحرص والجمع والتطلب إلى حين موته، كدودة القز فإنها دائمة الكد إلى أن تموت.

قال: وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «أغنى الغنى من لم يكن للحرص أسيراً».

وقال (عليه السلام): «لا تشعروا قلوبكم الاشتغال بما قد فات، فتشغلوا أذهانكم عن الاستعداد لما لم يأت»[3].

أقول: إذا اشتغل القلب بالفائت، لا يبقى له مجال حتى يفكر في أن يعمل ما ينبغي للآتي، فإنه لا مجال للقلب للتفكر في أمرين، وهذا تحريص على التفكر في الآتي، أما الماضي فقد مضى بخيره وشره.

وعن زرارة، ومحمد بن مسلم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أبعد ما يكون العبد من الله عز وجل إذا لم يهمه إلاّ بطنه وفرجه»[4].

وعن حفص بن فرط، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من كثر اشتباكه في الدنيا كان

---

(١) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٤٨.

(٢) الأصول: ص٤٥٧.

(٣) الأصول: ص٤٥٧.

(٤) الأصول: ص٤٥٩.

أشد لحسرته عند فراقها»[1].

أقول: فإن كل جزء من أجزاء الدنيا يرتبط بقلب الإنسان، فإذا حصل على مائة جزء كانت حسرته عند الموت أشد من حسرة من حصل على خمسين جزءاً، وهكذا.

وعن أحمد بن أبي عبد الله البرقي، عن أبيه، رفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «حرم الحريص خصلتين ولزمته خصلتان، حرم القناعة فافتقد الراحة، وحرم الرضا فافتقد اليقين»[2].

أقول: حيث إنه لا يقنع يكون في كد دائم وعدم راحة مستمر، وحيث إنه لا يرضى بما عنده فلا يقين له بأن الله سبحانه هو المقدر والمدبر، إذ لو تيقن بأنه تقدير الله رضي عن الله بما قدر له.

فصل في اجتناب حب المال والشرف

عن حماد بن بشير، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «ما ذئبان ضاريان في غنم قد غاب عنها رعاؤها، أحدهما في أولها والآخر في آخرها، بأفسد فيها من حب المال والشرف في دين المسلم»[3].

أقول: لأنه دائماً يسعى لتحصيل المال والشرف من غير التفات إلى أنهما حرام أو حلال، فيفسد دينه كالذئبين المفسدين لأكثر قدر من الغنم.

وعن غياث بن إبراهيم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الشيطان يدين (يدير)

---

(١) الأصول: ص٤٥٩.

(٢) الخصال: ج١ ص٣٦.

(٣) الأصول: ص٤٥٧.

ابن آدم في كل شيء، فإذا أعياه جثم له عند المال فأخذ برقبته»[1].

أقول: أي يريد منه أن يزني ويشرب الخمر ويكذب وهكذا، فإذا اعتصم ولم يفعل زين له المال وورطه في الحرام لأجله.

وعن الحارث الأعور، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الدينار والدرهم أهلكا من كان قبلكم وهما مهلكاكم»[2].

فصل في كراهة الضجر والكسل

عن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى بن جعفر (عليه السلام)، إنه قال في وصيته لبعض ولده: «وإياك والكسل والضجر، فإنهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة»[3].

أقول: لا يعمل لأنه كسلان، وإذا عمل تضجر بسرعة وترك العمل، لأنه لا يستعد للاستمرار ولا صبر له عليه.

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي، لا تمزح فيذهب بهاؤك، ولا تكذب فيذهب نورك، وإياك وخصلتين، الضجر والكسل، فإنك إن ضجرت لم تصبر على حق، وإن كسلت لم تؤد حقاً، يا علي من استولى عليه الضجر رحلت عنه الراحة»[4].

أقول: البهاء الجمال، والنور ما يبصر به الإنسان طريقه، ويمكن أن يكون مصباح جميل غير نير، أو بالعكس، والمزاح في غير مورده لا يدع للإنسان جمالاً،

---

(١) الأصول: ص٤٥٧.

(٢) الأصول: ص٤٥٧.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٣٤.

لأنه يظهر قبح الإنسان عند الناس، ومع الكذب لا يرى الناس طريقهم في كلام الكاذب، مثلاً إذا قال الكاذب في المكان الفلاني رخص أو بضاعة فلانية لا يعتمد الناس عليه، فلا نور له يرون طريقهم فيه بخلاف الإنسان الصادق حيث إن الناس يرون طريقهم وما يطلبون في نور كلماته، والضجر لا راحة له لأن بالصبر يصل الإنسان إلى أهدافه، فإذا لم يصبر لم يصل إلى هدفه، فهو في تعب من جهة عدم حصول هدفه له، إذ الوصول إلى الأهداف يوجب راحة الروح لمسرته بذلك، وراحة الجسد لحصوله على ما يريح جسده.

وعن عيسى بن جعفر العلوي، عن آبائه، عن عمر بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب (عليه السلام)، إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «علامة الصابر في ثلاث، أولها أن لا يكسل، والثانية أن لا يضجر، والثالثة أن لا يشكو من ربه عز وجل، لأنه إذا كسل فقد ضيع الحقوق، وإذا ضجر لم يؤد الشكر، وإذا شكا من ربه عز وجل فقد عصاه»[1].

أقول: بينما الصابر يصبر حتى يحصل على ما يريد، والغالب أن الصابرين يصلون إلى أهدافهم.

وعن سعد بن أبي خلف، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام) في حديث، إنه قال لبعض ولده: «إياك والمزاح، فإنه يذهب بنور إيمانك، ويستخف مروتك، وإياك والضجر والكسل، فإنهما يمنعانك حظك من الدنيا والآخرة»[2].

فصل في كراهة الطمع

عن علي بن حسان، عمن حدثه، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما أقبح بالمؤمن أن

(١) علل الشرائع: ص١٩٦.

(٢) السرائر: ص٤٣٧.

تكون له رغبة تذله»[1].

وعن ابن خالد، عن أبيه، عمن ذكره، بلغ به أبا جعفر (عليه السلام) قال: «بئس العبد عبد يكون له طمع يقوده، وبئس العبد عبد له رغبة تذله»[2].

أقول: (طمع) يقوده إلى المهلكة، أو يسبب له الذلة، لطلبه من السافل والرذل، فالمراد بالرغبة الطمع أيضاً.

وعن الزهري، قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): «رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عما في أيدي الناس»[3].

أقول: هذا من باب الغلبة، فإن في قطع الطمع خيراً كثيراً، حتى كأنه كل الخير، من باب علاقة الجزء والكل، وكذلك بالنسبة إلى الأحاديث الآتية، وربما كان السائل فيه نقص الطمع فأراد الإمام (عليه السلام) التنبيه إلى هذا النقص فيه، وربما كان المجتمع مبتلى بهذا النقص، فأكد الإمام عليه بالنتائج السيئة له.

وعن سعدان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قلت: الذي يثبت الإيمان في العبد، قال: «الورع»، والذي يخرجه منه، قال: «الطمع»[4].

وعن محمد بن علي بن الحسين، بإسناده عن أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصيته لمحمد ابن الحنفية، قال: «إذا أحببت أن تجمع خير الدنيا والآخرة فاقطع طمعك مما في أيدي الناس»[5].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «أتى رجل رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: علمني يا رسول الله شيئاً، فقال: عليك باليأس مما في أيدي الناس، فإنه

---

(١) الأصول: ص٤٥٩.

(٢) الأصول: ص٤٥٩.

(٣) الأصول: ص٤٥٩.

(٤) الأصول: ص٤٥٩.

(٥) الفقيه: ج٢ ص٣٤٨.

الغنى الحاضر، قال: زدني يا رسول الله، قال: إياك والطمع، فإنه الفقر الحاضر» الحديث[1].

أقول: قد يطمع الإنسان في مال غيره مثلاً ويسعى له، وقد لا يسعى وإنما يرجو أن يناله، فعينه إلى يد غيره، والأول في قبال قطع الطمع، والثاني في قبال اليأس.

وعن عبد الله بن سنان، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «سئل أمير المؤمنين (عليه السلام) ما ثبات الإيمان، قال: الورع، فقيل: ما زواله، قال: الطمع»[2].

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «أكثر مصارع العقول تحت بروق المطامع»[3].

أقول: إذا طمع الإنسان في زوجة أو مال أو منصب أو ما أشبه، عمل من الطرق العقلائية وغير العقلائية لتحصيل ذلك، ولذا يكون العقل مصروعاً غير معتنى به، بينما إذا لم يطمع عمل حسب العقل، سواء حصل على ذلك أم لا.

وعن معمر ابن خلاد، عن علي بن موسى الرضا، عن أبيه، عن آبائه، عن علي (عليهم السلام)، قال: «جاء خالد إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا رسول الله أوصني، وأقله لعلّي أحفظ، فقال: أوصيك بخمس، باليأس مما في أيدي الناس فإنه الغنى الحاضر، وإياك والطمع فإنه الفقر الحاضر، وصل صلاة مودع، وإياك وما تعتذر منه، وأحب لأخيك ما تحب لنفسك»[4].

أقول: كما أن المودع لإنسان يريد السفر يجعل كل حواسه عنده،

---

(١) الفقيه: ج٢ ص٣٥٦.

(٢) المجالس: ص١٧٤.

(٣) نهج البلاغة: القسم الثاني ص١٩٣.

(٤) مجالس ابن الشيخ: ص٣٢٤.

كذلك إذا علم الإنسان أنه لا يقدر على صلاة بعد هذه الصلاة، يجعل كل حواسه عند الصلاة، فتكون مقبولة عند الله تعالى، حيث حضور القلب الكامل.

فصل في اجتناب الخرق وإساءة الخلق

عن ابن أبي ليلي، عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: «من قسم له الخرق حجب عنه الإيمان»[١].

أقول: (الخرق) في قبال الرفق، وحيث إن الإيمان يأمر بالرفق، يكون الخرق ضداً للإيمان.

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو كان الخرق خلقاً يرى، ما كان في شيء من خلق الله أقبح منه»[٢].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن سوء الخلق ليفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[٣].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «أبى الله لصاحب الخلق السيء بالتوبة، قيل: وكيف ذاك يا رسول الله، قال: لأنه إذا تاب من ذنب وقع في ذنب أعظم منه»[٤].

أقول: لأنه ما دام سيء الخلق يذنب، وكثيراً ما يكون ذنبه الثاني أعظم، مثلاً لا يحترم المؤمن ثم لا يحترم العالم، ويسيء إلى زوجته باللسان ثم باليد وهكذا، ولأن سوء الخلق ملكة ليس مثل الزنا ونحوه الذي قد يقع دون أن يكون ملازماً للإنسان.

---

(١) الأصول: ص٤٥٩.

(٢) الأصول: ص٤٥٩.

(٣) الأصول: ص٤٥٩.

(٤) الأصول: ص٤٥٩.

وعن سيف بن عميرة، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن سوء الخلق ليفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل»[1].

وعن إسحاق بن غالب، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من ساء خلقه عذب نفسه»[2].

وعن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «أوحى الله عز وجل إلى بعض أنبيائه: الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل العسل»[3].

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «يا علي، لكل ذنب توبة إلاّ سوء الخلق، فإن صاحبه كلما خرج من ذنب دخل في ذنب»[4].

وفي (عيون الأخبار) بأسانيد تقدمت في إسباغ الوضوء، عن الرضا (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «عليكم بحسن الخلق، فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة، وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة»[5].

أقول: الأعمال تتجسم في الآخرة، فسوء الخلق يتجسم ويذهب مع صاحبه إلى النار، وحسن الخلق يتجسم ويذهب مع صاحبه إلى الجنة.

وعن مسعدة بن صدقة، عن جعفر، عن أبيه (عليهما السلام) قال: قال علي (عليه السلام): «ما من ذنب إلاّ وله توبة، وما من تائب إلاّ وقد تسلم له توبته، ما خلا السيء الخلق، لأنه لا يتوب من ذنب إلاّ وقع في غيره أشر منه»[6].

---

(١) الأصول: ص٤٥٩.

(٢) الأصول: ص٤٥٩.

(٣) الأصول: ص٤٥٩.

(٤) الفقيه: ج٢ ص٣٣٤.

(٥) عيون الأخبار: ص١٩٩.

(٦) قرب الإسناد: ص٢٢.

فصل في حرمة السفه وكون الإنسان ممن يتقى شره

عن عبد الرحمن بن الحجاج، عن أبي الحسن موسى (عليه السلام)، في رجلين يتسابان، فقال: «البادي منهما أظلم، ووزره ووزر صاحبه عليه ما لم يتعد المظلوم»[1].

وعن الحلبي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «لا تسفهوا، فإن أئمتكم ليسوا بسفهاء»، وقال أبو عبد الله (عليه السلام): «من كافأ السفيه بالسفه فقد رضي بمثل ما أتي إليه حيث احتذى مثاله»[2].

وعن أحمد بن عبد الله، عن أحمد بن محمد البرقي، عن بعض أصحابه رفعه، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لا يكون السفه والغرة في قلب العالم»[3].

أقول: لأن علمه يمنع أن يكون مغروراً، كما يمنعه أن يعمل الأعمال السفهائية، بينما يمكن أن يصدرا عن الجاهل، لأنه لا يعلم مواضع الغرور ومواضع السفه.

وعن الفضل بن أبي قرة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن السفه خلق لئيم يستطيل على من دونه ويخضع لمن فوقه»[4].

أقول: أي لا يتبع الحق، بل يخضع لمن فوقه حقاً قال أو باطلاً، ويتعدى على من دونه حفاً قال أو باطلاً.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، إن النبي (صلى الله عليه وآله) قال: «إن من شر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»[5].

---

(١) الأصول: ص٤٦٠.

(٢) الأصول: ص٤٦٠.

(٣) الأصول: ص١٨.

(٤) الأصول: ص٤٦٠.

(٥) الأصول: ص٤٦٠.

وعن عيص بن القاسم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن أبغض خلق الله عبد اتقى الناس لسانه»[1].

وعن جابر بن عبد الله، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «شر الناس يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم»[2].

أقول: هذا أعم من الأول، إذ اتقاء الشر قد يكن من جهة اللسان وقد يكون من جهة أخرى، كأن يخاف الإنسان أن يصادر ماله أو يؤذي أهله أو يتعدى باليد ونحوها عليه، إلى غير ذلك.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «شر الناس عند الله يوم القيامة الذين يكرمون اتقاء شرهم»[3].

وعن عبد الله بن سنان، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من خاف الناس لسانه فهو في النار»[4].

فصل في حرمة الفحش ووجوب حفظ اللسان

عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «من علامات شرك الشيطان الذي لا يشك فيه أن يكون فحاشاً لا يبالي ما قال ولا ما قيل فيه»[5].

أقول: قد تقدم معنى شرك الشيطان.

وعن أبي جميلة يرفعه، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن الله يبغض الفاحش

---

(١) الأصول: ص٤٦٠.

(٢) الأصول: ص٤٦١.

(٣) الأصول: ص٤٦١.

(٤) الأصول: ص٤٦١.

(٥) الأصول: ص٤٦٠.

المتفحش»[1].

وعن الحسن الصيقل، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «إن الفحش والبذاء والسلاطة من النفاق»[2].

أقول: (الفحش) هو السب، و(البذاء) سوء اللسان ولو بدون السب، كأن يقول: إني لا أحبك، أو أنت فعلت كذا، مما يكره الإنسان ظهوره، و(السلاطة) هو أن يكون الشخص مكثراً من الكلام الخشن، وحيث إن الإيمان عبارة عن موافقة عمل الإنسان لقوله، فلو قال إنسان إني مؤمن، لكنه عمل على خلاف الإيمان، كان ذلك من النفاق.

وعن جابر، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله يبغض الفاحش البذيء السائل الملحف»[3].

أقول: لعلها أربع صفات جمعها الرسول (صلى الله عليه وآله) بدون حرف العطف اللفظي، والمراد بالسائل المتكفف، أو المراد صفتان وكل ثان مرتبط بالأول من تتمته، وعلي أي فالملحف هو اللجوج في سؤاله، قال تعالى: ﴿لا يسألون الناس إلحافاً﴾[4]، أي سؤالاً بإصرار ولجاجة.

وعن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لعائشة: «يا عائشة، إن الفحش لو كان مثالاً لكان مثال سوء»[5].

وعن أحمد بن محمد، عن بعض رجاله، قال: قال (عليه السلام): «من فحش على أخيه المسلم

---

(١) الأصول: ص٤٦٠.

(٢) الأصول: ص٤٦١.

(٣) الأصول: ص٤٦١.

(٤) سورة البقرة: ٢٧٣.

(٥) الأصول: ص٤٦٠.

نزع الله منه بركة رزقه، ووكله إلى نفسه وأفسد عليه معيشته»[1].

أقول: هذه بعضها طبيعية وبعضها غيبية، وقد ألمعنا إلى مثل ذلك في السابق.

وعن سماعة، قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام)، فقال لي مبتدئاً: «يا سماعة ما هذا الذي كان بينك وبين جمالك، إياك أن تكون فحاشاً أو سخاباً أو لعاناً»، فقلت: والله لقد كان ذلك إنه ظلمني، فقال: «إن كان ظلمك لقد أوتيت عليه، إن هذا ليس من فعالي ولا آمر به شيعتي، استغفر ربك ولا تعد»، قلت: أستغفر الله ولا أعود[2].

أقول: (الفحاش) السباب، و(السخاب) الموجد للضوضاء، و(اللعان(أن يكون سبه بلفظ اللعن، فهو أخص من الأول، (أوتيت عليه) أي أحبطت ظلامتك لا أنك ظلمته أيضاً بفحشك عليه.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن من أشر عباد الله من تكره مجالسته لفحشه»[3].

وعن جابر، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله يحب الحيِيء الحليم الغني المتعفف، ألا وإن الله يبغض الفاحش البذيء السائل الملحف»[4].

أقول: المتعفف هو من يتحمل العفة وإن لم يكن بنفسه عفيفاً، كالمتحلم وقد سبق الكلام فيه.

وعن الحسن الصيقل، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث، قال: «إن الحياء والعفاف والعي أعني عي اللسان لا عي القلب، من الإيمان، والفحش والبذاء

(١) الأصول: ص٤٦١.

(٢) الأصول: ص٤٦١.

(٣) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٢٨.

(٤) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٢٨.

والسلاطة من النفاق»[1].

أقول: (العي) أي قلة النطق تشبيهاً بمن لا يقدر على الكلام المفهوم.

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي أفضل الجهاد من أصبح لا يهم بظلم أحد، يا علي من خاف الناس لسانه فهو من أهل النار، يا علي شر الناس من أكرمه الناس اتقاء فحشه وأذى شره، يا علي شر الناس من باع آخرته بدنياه، وشر منه من باع آخرته بدنيا غيره»[2].

أقول: (لا يهم بظلم) غالب المرابين والمطففين والحكام ومجري القوانين غير الإسلامية ومن إليهم كثير جداً، يصبحون مهتمين بظلم الناس لأنهم يريدون الشيء في ذلك الطريق الظالم، وهكذا كل أعوان السلاطين بالباطل.

فصل في حرمة البذاء وعدم المبالاة بالقول

عن عبد الله بن سنان، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إذا رأيتم الرجل لا يبالي ما قال ولا ما قيل له فهو شرك الشيطان»[3].

أقول: تقدم معنى شرك الشيطان، ثم إن من لا يبالي بالإضافة إلى أنه دنيء النفس، لا يمتنع من أن يأتي بالموبقات، إذ كثير من تروك المعاصي والإثم تبنى على خوف الإنسان من ذهاب ماء وجهه في المجتمع، فإذا كان لا يبالي بذلك لم يبال بارتكاب أية موبقة.

وعن سليم بن قيس، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن الله

(١) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٢٨.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٣.

(٣) الأصول: ص٤٦٠.

حرم الجنة على كل فحاش بذيء قليل الحياء، لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، فإنك إن فتشته لم تجده إلاّ لغية أو شرك شيطان، قيل: يا رسول الله وفي الناس شرك شيطان، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): أما تقرأ قول الله عز وجل: ﴿وشاركهم في الأموال والأولاد﴾،» الحديث[١].

أقول: (لغية) أي ولد سفاح.

وعن أبي عبيدة، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: «البذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[٢].

وعن حماد بن عمرو، عن أنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام) قال: «يا علي، حرم الله الجنة على كل فاحش بذيء لا يبالي ما قال ولا ما قيل له، يا علي طوبى لمن طال عمره وحسن عمله»[٣].

أقول: (عمره) فإنه كلما طال عمر الأخيار يأتون بحسنات أكثر، فيكون لهم أطيب الأثر في الدنيا وأحسن المقامات في الآخرة.

وعن أبي عبيده الحذاء، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار»[٤].

أقول: (الإيمان) الارتباط بالله، وله آثار منها الحياء، و(الجفاء) الابتعاد عن الله، وله آثار منها بذاءة اللسان.

---

(١) الأصول: ص٤٦٠.

(٢) الأصول: ص٤٦١.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٣٤.

(٤) وسائل الشيعة: ج٦ ص٣٣٠.

فصل في تحريم القذف

عن عمرو بن نعمان الجعفي، قال: كان لأبي عبد الله (عليه السلام) صديق لا يكاد يفارقه، إلى أن قال: فقال يوماً لغلامه: يا ابن الفاعلة أين كنت، قال: فرفع أبو عبد الله (عليه السلام) يده فصك بها جبهة نفسه، ثم قال: «سبحان الله تقذف أمه، قد كنتُ أري أن لك ورعاً، فإذا ليس لك ورع»، فقال: جعلت فداك إن أمه سندية مشركة، فقال: «أما علمت أن لكل أمة نكاحاً، تنحّ عني»، فما رأيته يمشي معه حتى فرق بينهما الموت(١).

أقول: في كثير من الأحيان يريد الشخص الابتعاد عن إنسان لسوء خلقه أو عمله، لكن يتحين لذلك فرصة عاذرة عند العرف، والظاهر أن الرجل كان من هذا القبيل، ولذا أبعده الإمام (عليه السلام) لا أنه أبعده لهذه الكلمة فقط، إذ المفروض أنه جاهل بالحكم، ولذا اعتذر بذلك العذر.

قال: وفي رواية أخرى: «إن لكل أمة نكاحاً يحتجزون به عن الزنا»(٢).

وعن أبي حمزة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم، فقال: «الكف عنهم أجمل» الحديث(٣).

وعن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سألته عن الرجل يفتري على الرجل من جاهلية العرب، فقال: «يضرب حداً»، قلت: حداً، قال: «نعم، إن ذلك يدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله)»(٤).

أقول: الظاهر أنه كان قذفه مما له مساس بقريش أو ما أو أشبه.

---

(١) الأصول: ص٤٦٠.

(٢) الأصول: ص٤٦٠.

(٣) الروضة: ص٢٨٥.

(٤) علل الشرائع: ص١٣٧.

فصل في تحريم البغي

عن مسمع أبي سيار، إن أبا عبد الله (عليه السلام) كتب إليه في كتاب: «انظر أن لا تكلمن بكلمة بغي أبداً وإن أعجبتك نفسك وعشيرتك»[1].

أقول: (البغي) هو الظلم، سواء كان بلسان أو غيره، ويسمى ظلماً لأنه ظلمة، وبغياً لأن الفاعل يطلب ما ليس له من كلام أو عمل.

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد والبغي، فإنهما يعدلان عند الله الشرك»[2].

وعن ابن القداح، عن أبي عبد الله (عليه السلام): «إن أعجل الشر عقوبة البغي»[3].

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «إن اسرع الخير ثواباً البر، وإن أسرع الشر عقوبة البغي، وكفي بالمرء عيباً أن يبصر من الناس ما يعمى عنه من نفسه، أو يعير الناس بما لا يستطيع تركه، أو يوذي جليسه بما لا يعنيه»[4].

أقول: تعيير الناس مطلقاً مذموم، خصوصاً إذا كان فيه مثلهم، ورؤية معائب الناس معائب بينما لا يرى مثل تلك المعائب التي في نفسه كذلك، وهكذا أذية الجليس مطلقاً مذمومة خصوصاً إذا كانت الأذية بلا فائدة تعود إلى المؤذي.

وبالإسناد الآتي عن أبي عبد الله (عليه السلام) في وصيته لأصحابه قال: «وإياكم أن يبغى بعضكم على بعض، فإنها ليست من خصال الصالحين، فإنه من بغى صير الله بغيه على نفسه، وصارت نصرة الله لمن بغى عليه، ومن نصره الله غلب وأصاب الظفر من

(١) الأصول: ص٤٦١.

(٢) الأصول: ص٤٦١.

(٣) الأصول: ص٤٦١.

(٤) الأصول: ص٥١٤.

الله»[1].

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه جميعاً، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي، أربعة أسرع شيء عقوبة، رجل أحسنت اليه فكافاك بالإحسان إساءة، ورجل لا تبغي عليه وهو يبغي عليك، ورجل عاهدته على أمر فوفيت له وغدر بك، ورجل وصل قرابته فقطعوه»[2].

قال: ومن ألفاظ رسول الله (صلى الله عليه وآله): «لو بغى جبل على جبل لجعله الله دكاً، أعجل الشر عقوبة البغي، وأسرع الخير ثواباً البر»[3].

وعن أبي حمزة الثمالي، قال: سمعت أبا جعفر (عليه السلام) يقول: «إن أسرع الشر عقوبة البغي»[4].

أقول: قد ذكرنا الوجه في هذه الروايات فيما سبق، وأنها من الأمور الطبيعية بالإضافة إلى كونها غيبة.

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال النبي (صلى الله عليه وآله): «لو بغى جبل على جبل لجعل الله الباغي منهما دكاً»[5].

وعن عبد الله بن ميمون، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إن أعجل الشر عقوبة البغي»[6].

وبهذا الإسناد، قال: «دعا رجل بعض بني هاشم إلى البراز، فأبى أن يبارزه، فقال له علي (عليه السلام): ما منعك أن تبارزه، فقال: كان فارس العرب وخشيت أن يغلبني،

---

(١) الروضة: ص٨.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٤.

(٣) الفقيه: ج٢ ص٣٤٣.

(٤) عقاب الأعمال: ص٤٢.

(٥) عقاب الأعمال: ص٤٢.

(٦) عقاب الأعمال: ص٤٢.

فقال: «إنه بغى عليك، ولو بارزته لقتلته، ولو بغى جبل على جبل لهلك الباغي»[1].

أقول: (بغى عليك)، لأن الدعوة من الباطل إلى مبارزة الحق بغي على الحق.

فصل في اجتناب الافتخار

عن أبي حمزة الثمالي، قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): «عجباً للمتكبر الفخور الذي كان بالأمس نطفة، ثم هو غداً جيفة»[2].

وعن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «آفة الحسب الافتخار والعجب»[3].

أقول: (الحسب) أي الفضائل كالعلم والشجاعة وما أشبه، فإن صاحبها يعجب بنفسه ويفتخر، وكلاهما من ذمائم الصفات.

وبهذا الإسناد قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «آفة الحسب الافتخار»[4].

وبهذا الإسناد قال: أتى رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجل فقال: يا رسول الله أنا فلان ابن فلان، حتى عد تسعة، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «أما إنك عاشرهم في النار»[5].

أقول: إما أراد الرسول (صلى الله عليه وآله) أن الافتخار في النار، أو علم ذلك من الخارج حيث كان رجلاً سيئاً، أو علمه بالغيب، وفي بعض الأحيان كانوا (عليهم الصلاة والسلام) يخاشنون الكلام حتى يبقى في الأذهان، كما ألمعنا إلى ذلك سابقاً.

وعن عيسى بن الضحاك، قال: قال أبو جعفر (عليه السلام): «عجباً للمختال الفخور،

---

(١) عقاب الأعمال: ص٤٢٦.

(٢) الأصول: ص٤٢٦.

(٣) الأصول: ص٤٦٢.

(٤) الأصول: ص٤٦٢.

(٥) الأصول: ص٤٦٢.

وإنما خلق من نطفة، ثم يعود جيفة، وهو فيما بين ذلك لا يدري ما يصنع به»[1].

أقول: (ما يصنع به) يموت أو يقتل أو يسجن أو يمرض مرضاً سيئاً أو نحو ذلك، يعني إنه ضعيف غايته فكيف يختال ويفتخر.

وعن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام)، قال: «يا علي، آفة الحسب الافتخار»، ثم قال: «يا علي، إن الله قد أذهب بالإسلام نخوة الجاهلية وتفاخرها بآبائها، ألا إن الناس من آدم، وآدم من تراب، وأكرمهم عند الله أتقاهم»[2].

وعن محمد بن حمران، عن أبيه، عن أبي جعفر محمد بن علي الباقر (عليه السلام)، قال: «ثلاثة من عمل الجاهلية: الفخر بالأنساب، والطعن بالأحساب، والاستسقاء بالأنواء»[3].

أقول: (بالأحساب) حيث كان كل واحد منهم ينتقص فضائل الآخر وينكرها، قال سبحانه: ﴿ولا تبخسوا الناس أشياءهم﴾[4]، (الأنواء) الاعتقاد بأن النجم الفلاني يسبب المطر، إما مستقلاً أو بشراكة مع الله سبحانه.

وعن إسماعيل بن ذبيان، يرفعه إلى أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «افتخر رجلان عند أمير المؤمنين (عليه السلام)، فقال: أتفتخران بأجساد بالية، وأرواح في النار، إن يكن لك عقل فإن لك خلقاً، وإن يكن لك تقوى فإن لك كرماً، وإلا فالحمار خير منك، ولست بخير من أحد»[5].

أقول: (خلقا) أي أخلاقاً رفيعة، لا كما أراك الآن.

---

(١) الأصول: ص٤٦٢.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٣٥.

(٣) معاني الأخبار: ص٩٣.

(٤) سورة الأعراف: ٨٥.

(٥) علل الشرائع: ص١٣٧.

وعن الحسين بن المختار، رفعه إلى أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال: «من وضع شيئاً للمفاخرة حشره الله يوم القيامة أسود»[1].

أقول: مثلاً بنى داراً، وألف كتاباً، أو أطعم الناس أو ما أشبه ذلك، فيكون ما افتخر به يسوؤه في الآخرة.

وعن محمد بن الحسين الرضي في (نهج البلاغة)، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، إنه قال: «ما لابن آدم والفخر، أوله نطفة، وآخره جيفة، ولا يرزق نفسه، ولا يدفع حتفه»[2].

فصل في تجنب قسوة القلب

عن السكوني، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «لمتان، لمة من الشيطان ولمة من الملك، فلمة الملك الرقة والفهم، ولمة الشيطان السهو والقسوة»[3].

أقول: (لمتان) الظاهر أن المراد به في القلب، كما في حديث بهذا المضمون عن الرسول (صلى الله عليه وآله)، وما ذكر في هذه الرواية من إيحاء الملك والشيطان من باب المثال، وإلاّ فكل خير يلقى في القلب إيحاء من الأول، وكل شر إيحاء من الثاني.

وعن علي بن عيسى رفعه، قال (عليه السلام): «في ما ناجى الله به موسى (عليه السلام): يا موسى لا تطول

(١) عقاب الأعمال: ص٣٢.

(٢) نهج البلاغة: القسم الثاني ص٢٥٠.

(٣) الأصول: ص٤٦٣.

في الدنيا أملك فيقسو قلبك، والقاسي القلب مني بعيد»[1].

أقول: إنما يوجب طول الأمل قسوة القلب، لأن القلب يلين للحق إذا وجد رحيله قريباً، فماذا يصنع بالمال ونحوه إذا كان يرحل بعد أيام قلائل. أما إذا طال أمله فيقول أريد بالمال الكثير صرفه في حاجاتي في المدة الطويلة الباقية، ولذا يجد الإنسان بعض المسافرين يتعلقون بأثاثهم الزائد ما داموا في المنزل في السفر، فإذا أرادوا الرحيل قسموه بين الفقراء، إلى غير ذلك من الأمثلة.

وعن حماد بن عمرو، وأنس بن محمد، عن أبيه، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، في وصية النبي لعلي (عليهما السلام): «يا علي أربع خصال من الشقاء، جمود العين، وقساوة القلب، وبعد الأمل، وحب البقاء»[2].

أقول: (بعد الأمل) معناه يأمل أن يبقى سنة مثلاً، و(حب البقاء) يعني يحب ذلك، سواء أمل أو لم يأمل.

وعن الأصبغ بن نباتة، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «ما جفت الدموع إلاّ لقسوة القلوب، وما قست القلوب إلاّ لكثرة الذنوب»[3].

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، عن آبائه (عليهم السلام)، عن النبي (صلى الله عليه وآله)، قال: «من الشقاء جمود العين، وقسوة القلب، وشدة الحرص في طلب الدنيا، والإصرار على الذنب»[4].

---

(١) الأصول: ص٤٦٢.

(٢) الفقيه: ج٢ ص٣٢٦.

(٣) علل الشرائع: ص٣٨.

(٤) الخصال: ج١ ص١١٥.

فصل في حرمة الظلم

عن الوليد بن صبيح، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «ما من مظلمة أشد من مظلمة لا يجد صاحبها عليها عوناً إلاّ الله»[1].

أقول: (أشد) أي على الظالم.

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «اتقوا الظلم فإنه ظلمات يوم القيامة»[2].

وعنه، عن أبيه، عن ابن أبي عمير، عن عمر بن أذينة، عن زرارة، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «ما من أحد يظلم مظلمة إلاّ أخذه الله بها في نفسه وماله، فأما الظلم الذي بينه وبين الله فإذا تاب غفر له»[3].

أقول: يظهر من سائر الروايات ظلم الناس أيضاً يغفره الله سبحانه إذا أصلح الظالم ما أفسده من الظلم، فالمراد إذا لم يتب.

وعن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «من ظلم أخذ بها في نفسه أو في ماله أو في ولده»[4].

أقول: تأثيره في ولده لأن له أثراً وضعياً.

وعن غالب بن محمد، عمن ذكره، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، في قول الله عز وجل: ﴿إن ربك لبالمرصاد﴾، قال: «قنطرة على الصراط لا يجوزها عبد بمظلمة»[5].

أقول: (المرصاد) قنطرة جعلها الله سبحانه لتفتيش الأعمال ومحاسبة الظالمين بسبب الملائكة.

---

(١) الأصول: ص٤٦٣.

(٢) الأصول: ص٤٦٣.

(٣) الأصول: ص٤٦٣.

(٤) الأصول: ص٤٦٣.

(٥) الأصول: ص٤٤٣.

وعن أبي حمزة الثمالي، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «لما حضر علي بن الحسين (عليه السلام) الوفاة ضمني إلى صدره ثم قال: يا بني أوصيك بما أوصاني به أبي (عليه السلام) حين حضرته الوفاة، ومما ذكر أن أباه أوصاه به قال: يا بني إياك وظلم من لا يجد عليك ناصراً إلاّ الله»[(١)].

أقول: الخصوصية لأنه أسوأ الظلم، وإلاّ فكل ظلم حرام، والظالم مأخوذ به.

وعن حفص بن عمر، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «من خاف القصاص كف عن ظلم الناس»[(٢)].

وعن إسحاق بن عمار، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): «من أصبح لا ينوي ظلم أحد غفر الله له ما أذنب ذلك اليوم، ما لم يسفك دماً أو يأكل مال يتيم حراماً»[(٣)].

أقول: الاستثناء من باب المثال، بقرينة الروايات الأخر.

وعن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) في حديث قال: «أما إنه ما ظفر بخير من ظفر بالظلم، أما إن المظلوم يأخذ من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من مال المظلوم»، ثم قال: «من يفعل الشر بالناس فلا ينكر الشر إذا فعل به»[(٤)] الحديث.

وعن عبد الله بن سليمان، عن أبي جعفر (عليه السلام)، قال: «الظلم في الدنيا هو الظلمات في الآخرة»[(٥)].

وعن علي بن سالم، قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: «إن الله عز وجل يقول: وعزتي وجلالي لا أجيب دعوة مظلوم دعاني في مظلمة ظلمها ولأحد عنده مثل تلك

---

(١) الأصول: ص٤٦٣.

(٢) الأصول: ص٤٦٣.

(٣) الأصول: ص٤٦٣.

(٤) الأصول: ص٤٦٤.

(٥) عقاب الأعمال: ص٤٠.

المظلمة»[١].

وعن أبي خالد القماط، عن زيد بن علي بن الحسين، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: «يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر مما يأخذ الظالم من دنيا المظلوم»[٢].

أقول: (دين الظالم) أي ثوابه بسبب أعماله الصالحة.

وعن محمد بن عبد الله الأرقط، عن جعفر بن محمد (عليه السلام)، قال: «من ارتكب أحداً بظلم بعث الله من ظلمه مثله أو على ولده أو على عقبه من بعده»[٣].

أقول: تقدم أن ذلك من الآثار الوضعية، بمعنى أن الدنيا دار جزاء فمن زرع حنظلاً لابد وأن يجني هو أو نسله الحنظل، كما أن من زرع عنباً لابد وأن يجني هو أو نسله العنب، ومن أكل التفاح يجمل ولده، ومن شرب الخمر يضعف ولده.

و(بعث الله) أي إن الله جعل الدنيا هكذا، حسب قانون الأسباب والمسببات، وآية ﴿لا تزر وازرة وزر أخرى﴾[٤]، إنما هي بالنسبة إلى العقوبات الشرعية، وبالنسبة إلى الآخرة، ولذا ورد في الدعاء: (يا من في الميزان قضاؤه)، أي يظهر قضاؤه الكامل هناك، أما المظلومون من ولده فهل يعوضون، نعم إن لهم التعويض في الآخرة، وفي الآية الكريمة: ﴿وليخش الذين لو تركوا من خلفهم ذرية ضعافاً خافوا عليهم فليتقوا الله وليقولوا قولاً سديداً﴾[٥]، فإن من يظلم أيتام الناس لابد وأن يخشى أن يُظلم أيتامه من بعده.

لا يقال: ألم يكن بإمكان الله أن يخلق الدنيا لا على هذا النحو، حتى لا يرى جزاء العمل إلاّ نفس العامل.

---

(١) عقاب الأعمال: ص٤٠.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤٠.

(٣) عقاب الأعمال: ص٤٠.

(٤) سورة الأنعام: ١٦٤.

(٥) سورة النساء: ٩.

لأنه يقال: نعم كان في إمكانه، لكن كانت دنيا أخرى، فإن مثل ذلك يرد في كل ظلم، فيقال: ألم يكن بإمكان الله أن يخلق دنيا لا ظلم فيها، وفي كل حرمان، إلى غير ذلك.

إن الله سبحانه خلق ألوف العوالم، وكل عالم بشكل، كما خلق عالم الطيور والحمائم والأسماك و... بأشكالها المختلفة، وعالمنا له هذا الشكل، ثم يجزى كل إنسان بما عمل، وحيث إن الله فياض مطلق يخلق كل ما من شأنه أن يخلق، أي له قابلية الخلق، فخلق هذا العالم بهذه الكيفية، لأنه من تلك الكلية الممكنة، وفي حديث: إن في كل يوم ينتهي عالم من عوالم الله فتقوم قيامته.

وعن السكوني، عن جعفر بن محمد، عن أبيه، عن آبائه (عليهم السلام)، قال: قال أمير المؤمنين (عليه السلام): «أعظم الخطايا اقتطاع مال امرئ مسلم بغير حق»[1].

أقول: هذا تعبير عرفي عن عظم الخطأ، وإلاّ فمن الواضح أن القتل أعظم، إلى غير ذلك.

وعن حسين بن عثمان، ومحمد بن أبي حمزة، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: «إن الله عز وجل يبغض الغني الظلوم»[2].

أقول: (الغني الظلوم) أسوء من الفقير الظلوم، لأن الغني نعمة يجب أن تصرف في العدل، فإذا صرفت في الظلم كان أسوأ، والخصوصية من هذه الجهة، وإلاّ فالظلم حرام مطلقاً.

وعن الحارث، عن علي (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «يقول الله عز وجل: اشتد غضبي على من ظلم من لا يجد ناصراً غيري»[3].

وعن عبد المؤمن الأنصاري، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): «إني لعنت سبعاً لعنهم الله وكل نبي مجاب، قيل: ومن هم يا رسول الله، قال: الزائد

(١) عقاب الأعمال: ص٤١.

(٢) عقاب الأعمال: ص٤١.

(٣) مجالس ابن الشيخ: ص٢٥٨.

في كتاب الله، والمكذب بقدر الله، والمخالف لسنتي، والمستحل من عترتي ما حرم الله، والمسلط بالجبروت ليعز من أذل الله ويذل من أعز الله، والمستأثر على المسلمين بفيئهم منتحلاً له، والمحرم ما أحل ما أحل الله عز وجل»[1].

أقول: (منتحلاً له) أي ينسب الفيء إلى نفسه، وهذا أظلم ممن يأكل الفيء وهو يعترف بأنه غاصب.

قم المشرفة

محمد بن المهدي الحسيني الشيرازي

---

(١) المحاسن: ص١١.

فهرس الكتاب

صدق الوعد ٥

استحباب الحياء.. ٦

عدم الحياء في السؤال عن أحكام الدين ٨

استحباب العفو.. ٨

استحباب العفو عمن ظلم الإنسان وصلة القاطع والإحسان إلى المسيء ١٠

استحباب كظم الغيظ.. ١٢

استحباب الصبر على الحساد ١٥

استحباب الصمت إلاّ عن الخير ١٦

استحباب اختيار الكلام في الخير.. ٢٠

وجوب حفظ اللسان عما لا يجوز ٢١

كراهة كثرة الكلام بغير ذكر الله.. ٢٧

استحباب مداراة الناس.. ٣٠

جملة من حقوق المؤمن ٣٤

ما يتأكد استحبابه من حق العالم.. ٤٣

استحباب التراحم والتزاور والألفة ٤٤

استحباب قبول العذر ٤٥

استحباب التسليم والمصافحة عند الملاقاة والاستغفار عند التفرق.. ٤٦

آداب استقبل القادم وتشييعه ٥١

تقبيل البساط بين يدي الكبراء والترجل لهم.. ٥٢

حجب المؤمن.. ٥٣

استحباب المعانقة للمؤمن والمساءلة له.. ٥٤

استحباب تقبيل المؤمن ٥٥
كراهة التكفير للناس ٥٧
المراء والخصومة ٥٧
اجتناب شحناء الرجال وعداوتهم ٥٩
المكر والحسد والغش والخيانة ٦١
تحريم الكذب.. ٦٢
شدة حرمة الكذب على الله وعلى رسوله (صلى الله عليه وآله) وعلى الأئمة (عليهم السلام) ٦٦
تحريم الكذب في الصغير والكبير والجد والهزل عدا ما استثني........................... ٦٨
جواز الكذب في الإصلاح دون الصدق في الفساد... ٦٩
لا يقال للمؤمن زعمت.. ٧٢
تحريم كون الإنسان ذا وجهين ولسانين... ٧٢
النهي عن هجر المؤمن واستحباب المسابقة إلى الصلة.. ٧٤
تحريم إيذاء المؤمن ٧٧
تحريم إهانة المؤمن وخذلانه ٧٧
تحريم إذلال المؤمن واحتقاره.. ٧٩
تحريم الاستخفاف بالمؤمن.. ٨٠
تحريم قطيعة الأرحام.. ٨١
تحريم إحصاء عثرات المؤمن.. ٨٢
تحريم تعيير المؤمن وتأنيبه.. ٨٣
تحريم اغتياب المؤمن ٨٤
تحريم البهتان على المؤمن ٩٠
المواضع التي تجوز فيها الغيبة.. ٩١
وجوب التكفير عن الاغتياب ٩٢

وجوب رد غيبة المؤمن.. ٩٢
تحريم إذاعة سر المؤمن وأن يروي عليه ما يعيبه وعدم تصديق ذلك ٩٤
تحريم سب المؤمن وعرضه وماله ودمه.. ٩٦
تحريم الطعن على المؤمن وإضمار السوء... ٩٧
تحريم لعن غير المستحق ٩٨
تحريم تهمة المؤمن وسوء الظن به.. ٩٩
تحريم إخافة المؤمن.. ١٠٠
تحريم المعونة على قتل المؤمن وأذاه ولو بشطر كلمة ١٠١
تحريم النميمة والمحاكاة ١٠٢
استحباب النظر إلى الصلحاء من ذرية النبي (ص) ١٠٦
استحباب النظر إلى الوالدين وإلى الكعبة وإلى المصحف وإلى وجه العالم......................... ١٠٦

التجارة.. ١٠٧
استحباب التجارة واختيارها على أسباب الرزق ١٠٧
كراهة ترك التجارة.. ١١٠
استحباب طلب الرزق ١١٣
كراهة ترك طلب الرزق ١١٧
استحباب الاستعانة بالدنيا على الآخرة ١٢٠
استحباب جمع المال من الحلال لفعل المعروف.. ١٢٣
وجوب الزهد في الحرام دون الحلال.. ١٢٤
استحباب العمل باليد ١٢٥
استحباب الغرس والزرع والسقي.. ١٢٧
استحباب المضاربة ١٢٩

وجوب الاقتصار على الرزق الحلال ١٣١
استحباب الاقتصاد في طلب الرزق ١٣٥
استحباب الرجاء للرزق من حيث لا يحتسب.. ١٣٩
استحباب التعرض للرزق ١٤١
كراهة زيادة الاهتمام بالرزق ١٤٢
كراهة كثرة النوم والفراغ ١٤٣
كراهة الكسل في أمور الدنيا والآخرة ١٤٤
كراهة الضجر والمنى ١٤٥
استحباب العمل في البيت للرجل والمراة ١٤٧
استحباب إصلاح المال ١٤٧
استحباب الاقتصاد وتقدير المعيشة ١٤٩
وجوب الكد على العيال ١٥١
استحباب شراء العقار وكراهة بيعه وكون العقارات متفرقة ١٥٢
استحباب مباشرة كبار ومعالي الأمور في التجارة.. ١٥٤
كراهة طلب الحوائج من مستحدث النعمة.. ١٥٦
استحباب التعامل مع من نشأ في الخير.. ١٥٦
وجوب العمل للدنيا والآخرة ١٥٧
استحباب الاغتراب في طلب الرزق والحاجة والتبكير إليه ١٥٨
بعض مستحبات طلب الحاجة.. ١٥٩
استحباب التفقه فيما يتولاه.. ١٦٠
آداب مستحبة.. ١٦١
استحباب إقالة النادم ١٦٤
استحباب الإحسان في البيع والسماح.. ١٦٥

المشتري لغيره لا ينبغي له أن يعطيه من عنده وكذلك في الشراء........................ ١٦٦
استحباب الأخذ ناقصاً والإعطاء راجحاً ووجوب الوفاء.. ١٦٨
عدم التعرض للكيل إذا لم يحسن بدقة.. ١٦٩
كراهة ربح الإنسان على من يعده بالإحسان وحرمة الغبن ١٦٩
كراهة الربح على المؤمن ١٧٠
استحباب التسوية بين المبتاعين ١٧٢
استحباب ابتداء صاحب السعلة بالسوم وكراهة السوم ما بين الطلوعين ١٧٢
استحباب البيع عند حصول الربح.. ١٧٣
استحباب مبادرة التاجر إلى الصلاة في أول وقتها ١٧٤
استحباب تعلم الكتابة والحساب وآداب الكتابة ١٧٦
استحباب الكتابة للمعاملات والديون.. ١٧٧
حق السبق في السوق وحرمة أخذ كراء السوق غير المملوك ١٧٧
استحباب الدعاء بالمأثور عند دخول السوق وذكر الله فيه.. ١٧٨
استحباب التكبير ثلاثاً عند الشراء والدعاء بالمأثور ١٨٠
كراهة معاملة المحارف، ومن لم ينشأ في الخير ١٨٢
كراهة معاملات ذوي العاهات.. ١٨٤
كراهة معاملة الأكراد ومخالطتهم ١٨٤
كراهة مخالطة السفلة والاستعانة بالمجوس ١٨٥
كراهة الحلف على البيع والشراء صادقاً، وتحريم الحلف كاذباً..................................... ١٨٦
كراهة البيع بربح الضعف فصاعداً إذا لم تكن قيمة السوق ذلك.................................. ١٨٧
تحريم الاحتكار و حدّه ١٨٩
عدم تحريم الاحتكار إذا وجد بايع وغيره.. ١٩٢

وجوب البيع على المحتكر عند ضرورة الناس وأنه يلزم به ١٩٣
المحتكر إذا ألزم بالبيع لا يجوز أن يسعر عليه إلاّ إذا أجحف ١٩٣
استحباب ادخار قوت السنة ١٩٦
استحباب مواساة الناس عند شدة ضرورتهم بأن يبيع قوت السنة.. ١٩٨
استحباب شراء الحنطة، وكراهة شراء الدقيق والخبز ١٩٩
استحباب الأخذ من الطعام بالكيل ٢٠٠
استحباب ملازمة ما ينفع من المعاملات ٢٠٠
كراهة تلقي الركبان ٢٠٢
يكره أن يبيع حاضر لباد ٢٠٣
كراهة منع قرض الخمير والخبز والملح ومنع النار ٢٠٤
كراهة إحصاء الخبز وجواز اقتراضه عدداً.. ٢٠٤
جواز مبايعة المضطر والربح عليه على كراهية.. ٢٠٥
كراهة الوكس الكثير ٢٠٦
استحباب كون الإنسان سهل البيع والشراء والقضاء والاقتضاء ٢٠٧
استحباب اختيار شراء الجيد وبيعه.. ٢٠٨
كراهة الاستحطاط بعد الصفقة وقبول الوضيعة وعدم تحريمه... ٢٠٨
استحباب المماكسة والتحفظ من الغبن ٢١٠
ما تكره المماكسة فيه.. ٢١١
استحباب الاستتار بالمعيشة وكتمها... ٢١١
استحباب شراء الصغار وبيعها كباراً ٢١٢
الزيادة وقت النداء والدخول في سوم المسلم والنجش ٢١٣
استحباب الطلب حتى في قليل الرزق وكراهة استقلاله وتركه... ٢١٤

استحباب اجتناب معاملة من ينفق ماله في معصية الله.. ٢١٤
استحباب جلوس بايع الثوب القصير ٢١٥
كراهة الشكوى من عدم الربح ٢١٥
استحباب العود في غير طريق الذهاب.. ٢١٦
ما يستحب أن يعمل لقضاء الدين وسوء الحال ٢١٦
استحباب بيع التجارة قبل دخول مكة.. ٢١٧
كراهة البيع في الظلال وتحريم الغش.. ٢١٨
استحباب تجارة الإنسان في بلاده... ٢١٨

جهاد النفس وما يناسبه.. ٢١٩
وجوب جهاد النفس... ٢١٩
الفروض على الجوارح.. ٢٢٢
جملة مما ينبغي القيام به من الحقوق ٢٢٩
ذكر نبذة من الصفات الحميدة... ٢٣٧
استحباب التفكر فيما يوجب الاعتبار والعمل ٢٥٠
استحباب التخلق بمكارم الأخلاق وذكر جملة منها... ٢٥٢
وجوب اليقين بالله في النفع والضر.. ٢٥٥
وجوب طاعة العقل ومخالفة الجهل ٢٥٨
وجوب غلبة العقل على الشهوة ٢٦٣
وجوب الاعتصام بالله ٢٦٤
وجوب التوكل على الله والتفويض إليه.. ٢٦٥
عدم جواز تعلق الرجاء والأمل بغير الله.. ٢٦٧
وجوب الجمع بين الخوف والرجاء والعمل لما يرجو ويخاف ٢٦٩

وجوب الخوف من الله.. ٢٧٢
استحباب كثرة البكاء من خشية الله.. ٢٧٦
وجوب حسن الظن بالله ٢٨٠
استحباب ذم النفس وتأديبها ٢٨٣
وجوب طاعة الله.. ٢٨٤
وجوب الصبر على طاعة الله والصبر عن معصيته ٢٨٦
وجوب تقوى الله.. ٢٨٩
وجوب الورع ٢٩٢
وجوب العفة ٢٩٦
وجوب اجتناب المحارم.. ٢٩٩
وجوب أداء الفرائض ٣٠٣
استحباب الصبر في جميع الأمور ٣٠٥
استحباب الحلم.. ٣٠٩
استحباب الرفق في الأمور ٣١١
استحباب التواضع... ٣١٤
استحباب التواضع عند تجدد النعمة... ٣١٧
تأكد استحباب التواضع للعالم والمتعلم.. ٣١٧
استحباب التواضع في المأكل والمشرب ونحوهما................................ ٣١٨
وجوب إيثار رضى الله على هوى النفس ٣٢٠
وجوب تدبر العاقبة قبل العمل ٣٢٣
وجوب إنصاف الناس ٣٢٥
على المؤمن أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه ٣٢٨

اشتغال الإنسان بعيب نفسه عن عيب الناس ٣٢٩
وجوب العدل... ٣٣٣
لا يجوز لمن وصف عدلاً أن يخالفه إلى غيره ٣٣٥
إصلاح النفس عند ميلها إلى الشر ٣٣٦
وجوب اجتناب الخطايا والذنوب ٣٣٨
وجوب اجتناب الشهوات واللذات المحرمة ٣٤٧
وجوب اجتناب المحقرات من الذنوب... ٣٤٨
تحريم كفران نعمة الله ٣٥٢
وجوب اجتناب الكبائر.. ٣٥٣
تعيين الكبائر التي يجب اجتنابها ٣٥٥
وجوب التوبة من الكبائر ٣٦٨
تحريم الإصرار على الذنب.. ٣٧٢
ما يلزم أو ينبغي تركه من الخصال المحرمة والمكروهة............................. ٣٧٣
تحريم طلب الرياسة مع عدم الوثوق بالعدل ٣٨٥
استحباب لزوم المنزل لمن كان دينه في خطر مع الإتيان بحقوق الإخوان ٣٨٩
تحريم اختتال الدنيا بالدين... ٣٩٠
وجوب تسكين الغضب عن فعل الحرام... ٣٩٢
وجوب ذكر الله عند الغضب ٣٩٦
تحريم الحسد دون الغبطة.. ٣٩٧
جملة مما عفي عنه... ٤٠١
حرمة التعصب على غير الحق ٤٠٢

حرمة التكبر ٤٠٥
حرمة التجبر والتيه والاختيال ٤٠٨
حد التكبر والتجبر ٤١٢
حرمة حب الدنيا المحرمة ٤١٤
الزهد في الدنيا وحدّه ٤١٦
ترك ما زاد عن قدر الضرورة من الدنيا ٤٢٣
اجتناب الحرص على الدنيا ٤٢٧
اجتناب حب المال والشرف ٤٢٨
كراهة الضجر والكسل ٤٢٩
كراهة الطمع ٤٣٠
اجتناب الخرق وإساءة الخلق ٤٣٣
حرمة السفه وكون الإنسان ممن يتقى شره ٤٣٥
حرمة الفحش ووجوب حفظ اللسان ٤٣٦
حرمة البذاء وعدم المبالاة بالقول ٤٣٩
تحريم القذف ٤٤١
تحريم البغي ٤٤٢
اجتناب الافتخار ٤٤٤
تجنب قسوة القلب ٤٤٦
حرمة الظلم ٤٤٨
فهرس الكتاب ٤٥٣